مركز الدراسات النسوية

النساء والنزاع المُسلّح والفقدان

الصحة النفسية للنساء الفلسطينيات في المناطق المحتلة

تحرير: د. خولة أبو بكر

تأليف

د. خولة أبو بكر   د. نادرة شلهوب-كيفوركيان   أ. ساما عويضه

د. الياس ضبيط

تشرين ثاني ٢٠٠٤

النساء والنزاع المُسلّح والفقدان:

الصحة النفسية للنساء الفلسطينيات في المناطق المحتلة

١٥٧
ب ج ت

تحرير: د. خولة أبو بكر

تأليف

د. خولة أبو بكر   د. نادرة شلهوب-كيفوركيان   أ. ساما عويضه

د. الياس ضبيط

مركز الدراسات النسوية
القدس

النساء والنزاع المُسلّح والفقدان:

الصحة النفسية للنساء الفلسطينيات في المناطق المحتلة

تحرير: د. خولة أبو بكر

تأليف: د. خولة أبو بكر، د. نادرة شلهوب-كيفوركيان، أ. ساما عويضه، د. الياس ضبيط

جميع حقوق الطبع محفوظة © ٢٠٠٤
مركز الدراسات النسوية

Women, Armed Conflict and Loss:
The Mental Health of Palestinian Women in the Occupied Territories

Copyright © by the Women's Studies Centre, Jerusalem.

الطبعة الأولى
تشرين ثاني ٢٠٠٤

الغلاف والتصميم: كمال فحماوي
ترجمة: د. عابدة سيف الدولة
تحرير لغوي وتدقيق: وسام يعقوب رفيدي
إصدار: مركز الدراسات النسوية، القدس ص.ب. ٥٤٠٧١

تم المشروع وصدر الكتاب بتمويل من Kvinna Till Kvinna و Sida

المحتويات

إهـــــــداء ١

الفصل الأول: ٢
أ. ساما عويضة
تقديم: مشروع المرأة الفلسطينية وصدمة الإجتياح

الفصل الثاني: ٥
د. نادرة شلهوب كيفوركيان
تحليل مفاهيمي لأصوات المضطهدين في مناطق الصراع

الفصل الثالث: ٣٨
د. الياس ضبيط
تحليل المعلومات الإحصائية

الفصل الرابع: ٦٦
د. خولة أبو بكر
تحليل مجموعات الدعم

الفصل الخامس: ١٠٢
أ. ساما عويضة
بعض الروايات كما ترويها صاحباتها

خاتمـــــــة: ١٣٤
د. خولة أبوبكر
تلخيص شمولي لإنجازات المشروع

الملحـــــــق: ١٤٤
استطلاع: الصحة النفسية للمرأة في ظل للفقدان أثناء الحرب

إهداء

إليهن حيث لا يشعر بألمهن أحد كما يشعرن

إليهن وقد سطّر الفقدان في أفئدتهن سطورا دون أن يرحمهن

إليهن وهن يصرخن على العالم الأصم يسمعهن

نوثق قصصهن وآلامهن لنبدأ جميعا من عندها ليس من أجلنا بل من أجلهن

الفصل الأول

تقديم

مشروع المرأة الفلسطينية وصدمة الإجتياح

ساما عويضة
مديرة مركز الدراسات النسوية

مع اشتداد الهجمة الصهيونية على شعبنا الفلسطيني خلال الإنتفاضة الثانية وما صاحبها من قتل وتدمير ماديين ومعنويين, كان لا بد لنا في مركز الدراسات النسوية شأننا كشأن كل منظمات المجتمع المدني الفلسطيني أن نتوقف أمام ما يحدث وأن نراجع معا دورنا كمنظمة فلسطينية ملتزمة أولا وكمنظمة حقوقية نسوية ثانيا لتحمّل مسؤولياتنا تجاه ما يجري. فكان قرارنا حول ضرورة دراسة الواقع الجديد للمرأة الفلسطينية من أجل التجاوب مع إحتياجاتها بما يتلاءم ودورنا ورسالتنا وأهدافنا.

وقد تمّ التباحث حول الفكرة مع الدكتورة نادرة شلهوب كيفوركيان في وقت شكّلت فيه مجزرة مخيم جنين أهم وأقسى حدث على الساحة الفلسطينية. فكان القرار بأن نبدأ من هناك حيث ما زالت الجريمة تحكي واقعها البشع. فكانت زيارتنا للمخيم المنكوب. وما زالت آثار الجريمة واضحة.

هناك في مخيم جنين كانت الكارثة ما زالت تحدّث عن نفسها. وكانت النساء ما بين انهيار وذهول. فيما رأينا الضياع في عيون الأطفال وكنّا شاهدتا عيان (نادرة وأنا) على كثير من الجرائم التي لن تمحى من ذاكرتنا ما حيينا. مما زادنا تصميما على بدء العمل دون تأخّر.

ومن أجل أن نعمل, كان علينا أن نجيب على الأسئلة التالية:

- ما هو شكل التدخل المطلوب؟
- من هو الفريق الذي سيعمل؟

شكل التدخل الذي اخترناه كان Action Oriented Research أي دراسة ذات منحى عملي. وذلك لأن الوضع لا يحتمل أن نعمل إجراء بحث نظري. توثق فيه الأمور، وتحلل، ويكتب عنها، ويتم التعامل فيه مع الضحايا كموضوع بحث بغض النظر عن الألم الذي يعانين . ودون أن يكون هناك تدخل عملي يستهدف هؤلاء النساء في محاولة للتخفيف من جراحهن وإعادة تكيفهن مع الحياة.

أما فريق العمل فكان لا بد من اختياره من نسويات مناضلات ومهنيات في المواقع التي حددنا العمل فيها وهي جنين، نابلس، وبيت لحم.

فيما وافقت المؤسسة السويدية Kvinna til Kvinna (من امرأة لإمرأة) على تمويل المشروع بالكامل.

رحلتنا في العمل

لقد مرّ المشروع في مسار طويل ابتداء من تحويله من فكرة إلى مشروع حيث عملت كافة عضوات مجلس الأمينات ومديرة المركز والباحثة د. نادرة شلهوب كيفوركيان على ذلك. ومن ثمّ كان لا بد لنا أن نختار الأماكن التي سنعمل معها. وقد عملنا بجد لإختيار المواقع الأكثر تضررا ووفقا لمعايير وضعتها الباحثات الرئيسيات، ومن ثمّ كان علينا أن نعين فريق العمل. وأن ندربهن إلى أن كانت البداية.

مع بداية العمل اتضحت لنا أكثر فأكثر صعوبة الوضع. وكادت الميدانيات أن ينهرن لفظاعة الواقع. ولكن وجود د. خولة أبو بكر خفف من ذلك. حيث كانت دائمة الإتصال معهن بهدف التوجيه والإرشاد وحتى التفريغ النفسي الذي بدأ عبر الهاتف. ثمّ ما لبث أن تحول إلى جلسات تفريغية لكامل الطاقم الميداني والتي تمّ تنظيمها في القدس إلى جانب التدريب المستمر الذي قامت به د. خولة أبو بكر أيضا بالتعاون مع الدكتور محمود بيضون مع بداية كل مرحلة من مراحل المشروع لتأهيل الطاقم للقيام بأدوارهن وفقا للمنهجية وخطة العمل المقرّة. فيما كان المركز يتابع كل الأمور الإدارية والتنظيمية ويسهّل الإتصال والتواصل إلى أن كان هذا العمل.

عرض نتائج الدراسة

نظرا لأهمية النتائج التي خرجت بها الدراسة. فقد قام مركز الدراسات النسوية وبالتنسيق مع وزارة شؤون المرأة الفلسطينية بعقد يوم دراسي تمّ فيه نشر وتداول نتائج الدراسة حيث حضر اليوم ممثلات وممثلين عن مؤسسات نسوية وحقوقية وتنموية ووزارات حكومية بالإضافة إلى عضو عن المجلس التشريعي الفلسطيني. تلاه يوم نظمته وزارة شؤون المرأة للتباحث في إستراتيجيات العمل المترتبة على نتائج الدراسة.

هذا ويعتزم المركز تنظيم مؤتمر إقليمي حول نتائج الدراسة تشارك فيه نساء من بلدان عربية تعرضت أو تتعرض بلدانها لنزاعات مسلّحة بهدف تبادل التجارب وإثراء العمل العربي النسوي في هذا المجال.

فيما يقوم المركز حاليا بالتخطيط للمرحلة الثانية من المشروع. والتي ستتضمن توسيع دائرة التدخل في المناطق المنكوبة من خلال تأهيل النساء أنفسهن واللواتي كنّ هنّ الضحايا التي عملنا معها في الفترة الأولى ليتدخلن من أجل مساعدة النساء اللواتي يتعرضن لتجارب مشابهة.

وأخيرا ونحن نضع بين أيديكم/ن هذا العمل. فلا بد من كلمة شكر وتقدير لكل عضوات وأعضاء فريق العمل اللواتي والذين عملن وعملوا طوال فترة المشروع دون كلل رغم كل الصعاب حيث مثّل إيمانهن وإيمانهم بهذا العمل وأهميته المنارة التي قادت هذا العمل حتى نهاية هذه المرحلة من هذا المشروع.

- ★ الباحثات الرئيسيات الدكتورة خولة أبو بكر والدكتورة نادرة شلهوب كيفوركيان وساما عويضة.
- ★ المحلل الإحصائي الدكتور إلياس صبيط
- ★ الإخصائي النفساني الدكتور محمود بيضون.
- ★ الفريق الميداني المكوّن من روضة البصير وأمل الأحمد من نابلس. فاطمة المؤقت وإيمان صالح من بيت لحم. ورانية السلعوس وهنادي شبراوي من جنين.
- ★ المنسقة الإدارية للمشروع مي ياسين من مركز الدراسات النسوية.
- ★ فريق الترجمة والتدقيق اللغوي المكون من د. عايدة سيف الدولة. هربسمة بطارسة. زهرة الخالدي. آلين بطارسة. وسام الرفيدي. وعدنان الجولاني.
- ★ مؤسسة Kvinna Till Kvinna وSida على تمويل المشروع.
- ★ وجميع طاقم المركز الذين واللواتي كان لكل منهن ومنهم دورا وبصمة خاصة في إنجاح هذا المشروع.

★ ★ ★ ★ ★

الفصل الثاني

تحليل مفاهيمي لأصوات المضطهدين في مناطق الصراع

د. نادرة شلهوب كيفوركيان

"للأفراد التزامات نحو العالم تتجاوز التزامات الطاعة الوطنية..لذلك فإنه من واجب المواطنين كأفراد أن يخرقوا القوانين المحلية لمنع الجرائم المعادية للسلام والانسانية"

محاكمات نورنبرج لجرائم الحرب, ١٩٥٠

مقدمة

لقد مثّل البحث والعمل الإكلينيكي مع الأفراد الذين تعرضوا لصدمات شديدة خبرة جوهرية تجاه فهم أعمق للموضوع. ومع ذلك فإن كل من يعملون كباحثين أو ممارسين إكلينيكيين أو نشطاء حقوق إنسان سيدركون سريعا التأثير القوي للأحداث التاريخية والسياسية على المشكلات الإجتماعية والطبية والنفسية وتلك المرتبطة بالنوع بالنسبة للفرد الواحد. حيث تصبح العلاقة بين الشخصي والسياسي والمتعلق بالنوع الإجتماعي والنفسي أكثر وضوحا. لقد كان لزيارة كل من ساما ونادرة لجنين أثر كبير على قدرة كل منهما على الإستيعاب الموضوعي والعاطفي للكارثة. وقد كتبت كلّ منهما عن خبرتها. وتناقشنا حولها مع عضوات مجلس أمينات مركز الدراسات النسوية. فكان القرار حول ضرورة جمع مزيد من المعلومات والإستماع بدقة أكثر لمعاناة النساء في مناطق الصراع. إن الوقوف على نقطة الإلتقاء بين انتهاكات حقوق الإنسان والصحة النفسية والبحث جعلنا ندرك حاجتنا إلى تطوير قدراتنا باتجاه فهم أفضل لتلك الانتهاكات ومن ثم القدرة على إستخدام مداخل إكلينيكية متعددة، مع ما يتضمنه ذلك من تأثير على فهم حالة النساء في وضع الضحية، وكيفية تجاوزهن للصدمة وشفاءهن من آثارها. ليس من السهل الوقوف عند مفترق الطرق هذا. بل قد يشعر الإنسان أحيانا بإغراء الإنسحاب سريعا إلى الحالة الإكلينيكية الخالصة أو حالة الباحث/ة أو الموثق/ة لانتهاكات حقوق الإنسان.

إن هذا التقرير والدراسة التي يستند إليها هي دعوة مفتوحة للبقاء عند مفترق الطرق.

والإستماع إلى صرخات النساء. وفي نفس الوقت ملاحظة الخريطة الإجتماعية والسياسية للأنماط التاريخية والثقافية، وتلك المرتبطة بالنوع الإجتماعي التي خلقت تلك المآسي الشخصية والوطنية.

إننا نأمل أن يبحح ذلك المنظور الواسع والدراسة متعددة المدخلات في تشجيع ممثلي الدراسات السياسية والإقتصادية والقانونية والأخلاقية والدينية ودراسات النوع الإجتماعي وآخرين أن يضموا جهودهم في عمل مشترك بهدف الحول دون تكرار تلك الجرائم. في كثير من المناطق وبلدان العالم، خاصة مناطق الحرب منها، لم تلق معاناة النساء وأحوالهن كضحايا، وأساليب تأقلمهن مع الواقع، سوى القليل من الإهتمام على إعتبار أنها أمور لا تستحق الإنتباه أو البحث الجدي.

وفي خلال العشر سنوات الأخيرة بذل المجتمع الدولي بعضا من الجهد لدراسة المعاناة التي تحملتها النساء وأساليبهن الخاصة في التكيّف والبقاء. وكان ذلك بمثابة إعتراف بما يفرض على النساء من عذاب بشكل مباشر وغير مباشر في مناطق الحرب والصراع. لكن ما يدعو للسخرية أن وجوه وقصص هؤلاء النساء لم تبرز سوى عند الحاجة للحفاظ على مصالح البنى التحتية للقوى العالمية المهيمنة سواء في مظاهرها الإقتصادية أو السياسية أو الدينية. فقد استمرت هيمنة المصالح الأبوية التي طالما فضلت أصوات الرجال وسعت إلى إسكات النساء.

إن علاقات القوى تلك طالما اهتمت بقصص الحرب وإبراز رؤى وقصص تدور كلها حول الرجال، وخلقت بذلك تاريخا مزورا مؤسساً على المصالح الأبوية والعسكرية. إن التأثير السياسي والمعرفي لتلك القصص الجزئية أدى إلى رسم خريطة غير صحيحة للسياق السياسي والتاريخي، يتجاهل دور النساء بإعتبارهن مواطنات فاعلات ومبدعات، خاصة في أوقات الصراع.

ان الإشكالية النظرية التي نتناولها هنا هي إشكالية متعددة ومترابطة فيما بينها. من ناحية، هل يمكن فهم التأثيرات المتباينة للسياق الإجتماعي والسياسي والتاريخي والثقافي في المنطقة دون الإستماع إلى من لا صوت لهم؟ ثانيا، هل يكفي فهمنا الحالي للصدمات والضغط النفسي وخبرة الفقدان لكي نؤسس عليها إستراتيجيات تدخل؟ وأخيرا كيف يمكن لنا أن نشتبك بشكل نقدي مع تراثنا المهني والعلمي في محاولة لتمحيص وإعادة تعريف تلك المفاهيم، خاصة حين ننظر إلى السياق الإجتماعي والسياسي والثقافي الخاص بالنساء في أوقات الحرب والصراع.

نحن نعتقد أنه على النسويات والنشطاء والباحثين والمعالجين أن يكونوا على درجة من الوعي السياسي في أوقات الصراع، وأن يشتبكوا في عملية ديناميكية بصدد رفض الممارسات المهنية التي تقهر الآخرين سواء بشكل مباشر أو غير مباشر. عليهم أن يكونوا دائما على إستعداد للتعرف على الموارد المتاحة ضمنيا في حالات الصراع، وتنمية تلك الموارد بأفضل شكل لتحقيق أهدافنا.

تهدف هذه الدراسة إلى إرساء بداية عملية تتضمن دراسة عن قرب لمشكلات النساء في أوقات الصراع السياسي، آملين أن ينجح ذلك في بلورة الخبرة الفلسطينية والمعاناة الفلسطينية طبقا لما ترويه النساء عوضا عن الرجال، وذلك في محاولة لتغيير الميل التاريخي لتجاهل أصوات النساء في أوقات الحرب والصراعات السياسية، وإذ نفعل ذلك فإننا نستهدف:

١. التعرف على ردود فعل النساء الفلسطينيات إثر الإجتياح الأخير لجنين ونابلس وبيت لحم وما صاحب ذلك من جرائم حرب ثم تحليلها وفحصها.
٢. مداواة بعض الجروح المشتركة مع عدد من النساء الفلسطينيات اللاتي عاصرن تلك الجرائم، وسوف تركز عملية المداواة على مقابلات فردية ومجموعات دعم آملين في بلورة أساليب جديدة للتدخل.
٣. بلورة وتطبيق إستراتيجيات علاجية جديدة للتدخل بهدف التقليل من أثر تلك الصدمات على النساء.
٤. توثيق وتوزيع قصص النساء الفلسطينيات عن جرائم الحرب، مستخدمين لغة وكتابات النساء التي تعكس إدراكهن الخاص لتلك الجرائم.

وهنا يجب التنويه ان القائمين على المشروع يدركون ان فريق البحث قد يضطر أثناء المراحل المختلفة من تنفيذ المشروع إلى تقديم مساعدات فعلية لضحايا سوء المعاملة، خاصة إذا كن في حاجة ماسة لذلك، وسوف يتم التعامل مع هذه النقطة الأخلاقية من خلال التعاقد والتنسيق مع منظمات غير حكومية فلسطينية ودولية لمواجهة الإحتياجات النفسية والطبية والإقتصادية والإجتماعية للنساء المشاركات.

وقد حصل مديرو المشروع فعليا على موافقة منظمات مثل جمعية الدفاع عن الأسرة - نابلس ، مركز المرأة للإرشاد القانوني والإجتماعي - القدس، هيئة الإغاثة على الاستجابة لأية إحتياجات قد تبرز أثناء البحث.

استعراض دراسات في موضوع النساء والنزاع المسلّح

لقد كان موضوع الصراع وتأثيره على النساء موضوعا للدراسة في عدد من البلدان مثل جنوب أفريقيا، يوغوسلافيا، لبنان، فلسطين، اليمن، ماليزيا، شمال إيرلندا وبلاد أخرى كثيرة. (انظر على سبيل المثال شولتز، كريستين، مارتين ستوكس وكولين كامبيل، ١٩٩٨، شهاده ١٩٩٩، بيتيت ١٩٩٧). وإذ ندرس أحوال النساء في مناطق الحرب فإننا ندرك أننا بحاجة إلى نظرة أشمل لإشكالية الضحية وجرائم الحرب وأساليب التكيّف، نظرة أوسع من النظرة الغربية المطروحة. (عبده ولانتين ٢٠٠٢، عبده ١٩٩٤، شلهوب كيفوركيان ، تحت الطبع، أبو نصر ١٩٩٦، كوك ١٩٩٨).

فالنساء بشكل عام هن مقاتلات الصفوف الأولى وإن غاب الإعتراف بهن. إن الإعتراف بدورهن والإستماع لصوت مختلف وخطاب مختلف بأن يبرز على السطح قد يوجهنا نحو صورة جديدة للحقيقة. على سبيل المثال نجد أن التعامل مع النساء على إعتبار أنهن مقاتلات في الصفوف الأولى، مثلما فعل والير وريسنجر (٢٠٠١). قد عنى وضع الخطوة الأولى في عملية مراجعة الخطاب السائد. فهما يقولان: "إن خطوط الحرب الأمامية هي ذلك المكان الذي يشهد المعارك وذروة الصراع وفي العادة. وبشكل يتزايد. نجد أن الصفوف الأمامية هي الأبعد عن الجنرالات ورؤساء الدول وصانعي السياسات: فالمرفهون لا يعيشون في الصفوف الأولى للمعارك. وهم لا يلوثون أياديهم في زمن الحروب المتلفزة والمستندة إلى دقة الكومبيوترات والتحكم بعيد المدى في قصف القنابل. فالصفوف الأمامية. بإعتبارها مكان ومفهوم وفترة زمنية. وبإعتبارها مكاناً للنمو والتغيير والتشكل. هي واقع وحقيقة شائكة ومتعددة الوجوه (ص ١٩).

إن النظر عن قرب للمقاتلين في الصفوف الأمامية ومحاولة فهم سياقهم الإجتماعي والثقافي والسياسي بالإضافة إلى علاقات النوع في الثقافة السائدة. كلها أمور تؤثر على تحليلنا للديناميات المعقّدة بين النساء والمعاناة وغريزة البقاء في مناطق الصراع.

وعلى حين يمكن للصراعات السياسية أن تكون منشطا لتحرير النساء ومن ثم تمكينهن. إلا أن منطقة الصراع يمكن أيضا أن تكون مصدرا لمزيد من الإضطهاد المبني على النوع الإجتماعي والقهر. كوك (١٩٩٨) على سبيل المثال قامت بدراسة النتاج الأدبي للنساء أثناء الحرب اللبنانية. ووصفت كيف أن هؤلاء النساء قد مررن بما تطلق عليه اسم "التبدل في الوعي". فقد أدركت النساء أنهن قد بقين خارج دائرة الحرب انطلاقا من شعور بالمسئولية نحو الآخرين وأنهن قد نجحن في البقاء. إن إدراكهن لتلك القدرة على البقاء أصبح في حد ذاته دافعا لدرجة أن المدافعين عن اللامركزية في بيروت بدأوا في وصف واستيعاب مجتمع تجاوز الذكورية المركزية والمدعومة ثقافيا والتي عادة ما تسود في أوقات الحرب. بل أن المجتمع اكتسب درجة غير مسبوقة من التأنيث.

أبو النصر (١٩٩٦) يناقش إبداع النساء ومبادراتهن في التكيّف والبقاء أثناء الحرب في لبنان. فقد رصدت كيف ان غياب الرجال والأزواج قد أدى إلى تحول النساء فجأة إلى رئيسات لأسرهن. وارتفعت نسبة مساهمتهن في القوى العاملة وكذلك ارتفع تسجيلهن في المستويات التعليمية العليا (نظرا لعدم قدرتهن على الزواج بسبب غياب الشباب من الرجال). ويوضح أبو النصر في مناقشته للإستراتيجيات التي تستخدمها النساء للتكيف كيف ان أنشطة هؤلاء النساء مثل التطوع في خدمات الإغاثة الطبية والمؤسسات التعليمية بالإضافة إلى المشاركة في التظاهر ضد الحرب أصبحت كلها آليات تمكين وتدعيم للقدرة على البقاء. ومع ذلك. تؤكد أبو النصر إن أهم إنجازات النساء في تلك الأوقات. هو الدور الذي تلعبه النساء في منازلهن حيث يستجبن للإحتياجات المنزلية. وكثيرا ما يتمكنّ من إنقاذ حياة أزواجهن وحماية أطفالهن من عنف الصراع. ثم تختم أبو النصر بأن

النساء اللبنانيات استطعن تجاوز الحرب من خلال ثراء ما يملكنه من موارد وما حققنه من إنجازات وما لعبنه من أدوار.

وقد دفعت الأساليب التي تبتدعها النساء في التعامل مع الصراع السياسي مقديسي (١٩٩١) إلى لفت الإنتباه أن ارتداء الحجاب أثناء الحرب اللبنانية كان شكلا من أشكال دعم فصيلهن الديني في الصراع. وتختلف مقديسي مع ما تسميه التنميط الغربي لقضية الحجاب. وقد شهدنا نماذج مشابهة للتنميط في فلسطين، حيث قام الإعلام الغربي، وخاصة الأمريكي، بتصوير أمهات الشهداء الفلسطينيين على أنهن يفتقدن إلى الكفاءة، على إعتبار أنهن أمهات يرغمن أبناءهن على القتل والموت. وترد شلهوب كيفوركيان (تحت الطبع) على تلك النظرة المنحازة، حيث اكتشفت من خلال عملها مع هؤلاء النساء ان خطابهن كان خطاب سلام وحب ورعاية ولم يكن بالمرة خطابا يدعو أو يرحب إلى عمليات القتل الإجرامية.

تدفع بيتيت (١٩٩٧) بحجة رائعة تتحدى الصورة النمطية للنساء كرموز للأمة والنساء في أماكن الصراع. قامت بيتيت بدراسة ممارسات الأمومة بين النساء الفلسطينيات، في مخيمات اللاجئين في لبنان أثناء الحرب الأهلية وأثناء الإنتفاضة الفلسطينية الأولى (١٩٨٧-١٩٩٣). وتستند بيتيت في حجتها إلى كونها اكتشفت بزوغ ما أطلقت عليه اسم تبدل في الممارسة والمشاعر النسائية، مما أدى إلى تقوية النساء كفاعلات سياسيات. ومع ذلك تشير بيتيت إلى ان ذلك التبدل لم يكن بالدرجة الكافية بحيث يتضمن إعادة صياغة، أو وضع حد، لأشكال التمييز السائدة بين النساء والرجال.

كذلك فإن الحركة الوطنية الفلسطينية أصبغت على أمهات الشهداء صبغة رموز الأمة ومع ذلك فإن هذه الهوية الوطنية والمستوى من المشاركة لم يمهدا الطريق للمساواة في المواطنة بين الجنسين. كذلك تتناول شلهوب كيفوركيان (٢٠٠٣) عملية تقوية الممارسات النسائية غير المرتبطة بالتغيير الفعلي لتلك الممارسات فتوضح كيف أنه، ورغم المكانة الوطنية السامية الموكلة لأمهات الشهداء، إلا أن بعضهن قد حرم من لفتة بسيطة كأن يسمح لهن بوداع جثامين أبنائهن، والبعض الأخر حرمن من البكاء أو المشاركة في جنازات أبنائهن أو زيارة مقابرهم أو المشاركة في الأنشطة الوطنية المرتبطة باستشهادهم، بالإضافة إلى كافة القيود الأخرى المفروضة بحكم التمييز بين الجنسين.

من الضروري أن نتذكر أن الهدف من وراء الإستماع لأصوات النساء وإستخدامها في حياتنا المهنية ليس استبدال صوت بآخر، بمعنى أن يصبح هو الصوت الممثل لكل النساء دون شروط، لكن الهدف خلق هياكل معرفية جديدة تسمح بتطوير برامج تدّخل فعالة تستند على أصوات المقهورين (انظر أيضا فرير، ١٩٧٢).

الصدمة النفسية:

الحياة في منطقة صراع هي أمر مجهد عصبيا. ومع ذلك فمن الخطأ أن نستنتج من ذلك أن كل ضحايا الحرب يعانون من صدمات نفسية شديدة أو فاقدين للقدرة على الحياة. فقد أشارت الدراسات (جارسيا وبيلتونيمي. ١٩٩١) ان الناجين من الحروب. وبضمنهم من يعانون من أعراض طويلة المدى مترتبة على الصدمات التي تعرضوا لها. ليسوا دائما عاجزين. ولا هم دائما يعانون من مشكلات في التكيّف والتأقلم. كذلك فإن الأبحاث التي أجريت على تأقلم اللاجئين بعد إعادة توطينهم. أوضحت أن أكثر العوامل تسببا في المشكلات النفسية طويلة المدى والمؤدية إلى عدم التكيّف هي: البطالة والإنفصال عن أفراد مقربين من الأسرة. أي أنها كلها عوامل تأتي لاحقا على الصدمة أو كارثة الحرب. (بايزر. ١٩٩٠).

وجد كرم (١٩٩٩) أن التأثير النفسي للحياة في منطقة حرب أو صراع يتضمن ارتفاعا في معدلات الإكتئاب والقلق. واضطراب كرب ما بعد صدمة وإضطرابات نفسية أخرى. كما وجد أن النساء يعانين بدرجة أعلى من نوعي الإكتئاب واضطراب كرب ما بعد صدمة. وأنهن أكثر عرضه للإكتئاب من الرجال. كذلك فقد أظهرت الدراسات التي أجريت في فلسطين عددا من الأعراض النفسية الشديدة التي تعاني منها الأمهات الفلسطينيات نتيجة فقدان أطفالهن بسبب القمع العسكري أو السياسي (انظر على سبيل المثال بايكر وكيفوركيان ١٩٩٥؛ البيدور. بايكر. شلهوب كيفوركيان. إيرفين وبيلمايكر. ١٩٩٩).

ولم تكن أعراض القلق والإكتئاب وأعراض الجسدنة واضطراب كرب ما بعد صدمة. لم تكن أكثر شيوعا بين النساء عنها بين الرجال فحسب. بل كانت أيضا أكثر شدة منها لدى الرجال (عبد الحميد عفانه وآخرون. ٢٠٠٢). كما وجد أن تأثر صحة النساء بشكل عام وصحتهن النفسية بشكل خاص لا يكون فقط بسبب الأوضاع السياسية العنيفة. وإنما أيضا بسبب الأعباء المتزايدة عليهن في أدوارهن التقليدية كمسئولات عن الإستقرار المنزلي والأسري وتربية الأطفال. إن تبعات تلك الضغوط الإجتماعية والسياسية والإضطرابات النفسية التي تعاني منها النساء يمكن أن تكون مدمرة بالنسبة للمرأة نفسها. كما يمكن أن تكون كذلك بالنسبة لأسرتها والمجتمع ككل (لمزيد من التفاصيل انظر فارهود ١٩٩٩. كرم ١٩٩٩. شلهوب كيفوركيان ١٩٩٧. ٢٠٠٣ تحت الطبع).

تقول روزماري صايغ في دراستها للنساء الفلسطينيات انه يجب على المرء ان يبحث في الطبيعة الإجتماعية والثقافية للمجتمع محل البحث. مع توجيه أهمية خاصة لما ترويه النساء وتعددية الأصوات النسائية المنعكسة في تلك الروايات. إنني أعتقد أنه بدون عمل ذلك لا يمكن للمرء أن يبلور نموذجا للتدخل يكون ملائما من الناحية النفسية ومسئولا من الناحية السياسية في سبيل التقليل من تأثير تلك الصدمات يجب علينا أن نستمع لمزيد من أصوات النساء. أن نستمع لخبراتهن وأن نتعلم من إستراتيجياتهن للبقاء والتأقلم قبل أن نتبنى أي فرضية بشأن مساعدتهن

إن المعرفة المستقاة من مناطق صراع أخرى تقول لنا ان العوامل الشخصية والعامة كلاهما يلعب دورا هاما في تشكيل رد فعل الإنسان للصدمات الحياتية. أما العوامل الشخصية فتتراوح بين الموارد التعليمية والمالية والخبرات السابقة في التأقلم الجيد وبلورة إستراتيجيات جيدة للتكيف. إضافة إلى درجة الفقدان الإنساني والمادي وظروف الهرب وظروف إعادة التوطين بعد الهرب. وشبكات العلاقات الأسرية والمعتقدات الدينية. أما بالنسبة للعوامل العامة فإنها تؤثر على كل الناس. وتتضمن نسبة السكان المتأثرين مباشرة بالحرب/الإنتفاضة. ودرجة توقع الحدث وسرعة التأثر به.

والمقصود بتوقع الحدث هو ما إذا كان الحدث منتظرا أو متوقعا. أما سرعة التأثر فالمقصود بها هو السرعة التي يجب على الناس أن يتعاملوا بها ليكونوا قادرين على الفرار وإنقاذ ذويهم وممتلكاتهم. المأساة في المناطق المحتلة هي أنه لا يكاد يكون هناك مكان يمكن للناس أن يفروا إليه. والفرار مرتبط بشكل وثيق بالإخلاء والتحول إلى لاجئين. وبالتالي فإن أي إخلاء أو فرار يحمل أثرا شديد الألم على الأفراد.

بالإضافة إلى ذلك فإن الشعور الدائم بعدم الأمان. فقدان الناس. الموت. الإعتقالات. هدم المنازل. الاقتحامات الليلية. والغزو.... الخ. كلها حالت دون انتقال الناس بعيدا عن مناطقهم. ويحضرنا هنا ما قالته أم محمد. إحدى الضحايا" إننا ننتظر أسوأ الأمور من قوات الاحتلال. لكن ما من شيء سوف يجعلنا نترك ديارنا. الموت هنا أفضل من أن نصبح لاجئين مرة أخرى". الفلسطينيون يتوقعون المصائب والمشكلات طوال الوقت. إلا أن عنصر التوقع هنا أقل قوة منه في حالات الحرب. القدرة على التوقع تقلل من التوتر والإجهاد العصبي وتسمح ببلورة أساليب للتأقلم مع درجة أقل من التبعات النفسية السلبية.

بالاستناد على دراسات سابقة في فلسطين (لمزيد من التفاصيل انظر شلهوب كيفوركيان. ٢٠٠٣. ١٩٩٧) وبالرجوع إلى بعض من عملنا الإكلينيكي في الميدان مع العائلات المتضررة. لاحظنا عددا من الظواهر: ان البعد الجسدي بين أفراد الأسرة يؤثر على مشاعر أفراد الأسرة بالأمان. وتجنب التواصل المفتوح من خلال الإفراط في الحماية. وقطع التواصل بين الناس بسبب الخوف ومشاعر أخرى مرتبطة به. وأن الصدمة تقطع عبر الأجيال. إضافة إلى التغيير المفاجئ في الأدوار والهرمية الأسرية. وتحمل الأطفال لمسئوليات أسرية عوضاً عن الوالدين.

إن العنف المنظم. مثلما هو الحال في جميع الحروب. يؤدي إلى وضع يصبح فيه أي إجراء. أو يمكن أن يفسر فيه أي إجراء على انه إجراء معارضة. ومن ثم فإن كل فرد في المجتمع يصبح معرضا للعنف. إن العنف الجسدي المرتبط بالهلع النفسي يخلق ما يمكن أن نطلق عليه اسم الحرب الإجتماعية النفسية (لافيك ١٩٩٤. سفياس ١٩٩٤).

إن تلك الحرب تتضمن أفعالا ذات اثار نفسية على درجة من الشدة بحيث تتسبب في حالة من الشلل النفسي. كما هو الملاحظ في بعض حالات أمريكا اللاتينية حيث يطلق عليه اسم سياسات الخوف. وما يترتب عليها من تبعات اجتماعية ونفسية (على سبيل المثال ليرا ١٩٩٠ وكاستيلو وليرا ١٩٩١). كذلك هناك العشوائية التي تستهدف الإرباك، حيث يصفها كاستيلو وليرا كالتالي: "أي شيء يمكن أن يحدث في أي وقت. بغض النظر عمن تكون. عما تفكر فيه أو عما تفعله" (ص٣). ومن ثم فالأمر المقبول اليوم قد يصبح في الغد موضوعا للإنتقام الشديد. أن التهديد المستمر يخلق حالة من عدم الأمان. وفي حالة الفلسطينيين فإن السؤال الدائم هو: من سوف يستهدفون في المرة القادمة؟

المنهج:

اقترحت عالمتا الانثروبولوجيا ليلى أبو اللغد (١٩٩٠) وروث بيهار (١٩٩٣) التوقف عن إستخدام التحليل ثنائي الأقطاب بين الذات والاخر. الذاتي والموضوعي وهو التحليل السائد في علم الأجناس التقليدي. فهما تعتقدان أن "الحدود غير المحسومة" (أبو اللغد. ١٩٩٠. ص ٢٦) تحمل وعدا بتحرير التخصص من الهيمنة الاستعمارية لماضيها الاستعماري (بيهار ١٩٩٣. ص ٣٠٢). وتتحدى باتريشيا هيل كولين تلك الحدود وتعمل على زعزعة أسس علم الاجتماع على وجه الخصوص والعلوم الإجتماعية بشكل عام (لمزيد من التفاصيل انظر أعمال باتريشيا هيل كولينز ١٩٨٦. ١٩٩٠).

في أثناء سعينا البحث في واقع النساء الفلسطينيات. اخترنا ان ننظر إليهن على وجه التحديد من خلال منظومة السياق الاستعماري القمعي الذي تعيشه النساء الفلسطينيات رغما بالضرورة. يستند مدخلنا النظري في دراسة أوضاع النساء الفلسطينيات إلى عدد من المناهج النسوية التي عرفت بكونها مبادرات لدحض الصبغة الاستعمارية للمناهج الأخرى. إن تلك المناهج الضد استعمارية تقدم بديلا لسيطرة النماذج الغربية فيما يتعلق بفوائد البحث والبحث عن المعرفة. كما أنها تتحدى الافتراض المتعالي القائل بأن البحث والمنهج البحثي يمكن أن يكون لهما وجود مستقل خارج الايدولوجيا. وأن كلاهما يمكن أن يكون متحررا من التأثير الثقافي. وأن الباحثين قادرين على ان يحتلوا موقعا أخلاقيا فوق الواقع يمكنهم منه أن يراقبوا مبحوثيهم وأن يصدروا بشأنهم أحكاما خالية من الانحياز. أما المداخل الضد استعماري فإنه يضع في إعتباره نظرة المستعمرين (بفتح الميم).

ومع ذلك. من المهم أن ننوه إلى ان التوجه البحثي المطروح هو أكثر من كونه مجرد تفكيك ساذج للمداخل الغربية من حيث كونه يسمح للمضطهدين أن يحكوا رواياتهم وحسب. **إنه يتجاوز الكشف عن النصوص المؤسسة له أو سماع صوت أو الإعتراف بالمعرفة الفطرية. ذلك ان تلك العوامل وحدها لن تحسن الظروف المادية للمضطهدين. إن مجهوداتنا قد توفر الراحة التي**

تأتي من الكلمات والفهم الذي قد يساعد على تفسير بعض الخبرات. لكنه لا يحمي الإنسان من الهم والمعاناة.

كثير من الناس يستمرون في العيش في ظروف سياسية واجتماعية تفاقم وباستمرار من مستوى الفقر والمرض وقلة الفرص التعليمية. المشكلة هي ان الجهود المستمرة المبذولة من قبل الحكومات والدول والمجتمعات والمؤسسات باتجاه إنكار الأسس التاريخية لتلك الظروف تحرمنا/تحرمهم في نفس الوقت من سعينا/سعيهم نحو الإنسانية، نحو التعرف على تاريخنا أو نحو الأمل. لذلك فإن الماضي، الروايات المحلية والعالمية، والحاضر والمجتمعات والثقافة واللغة والممارسات الإجتماعية، كلها يمكن أن تكون مساحات للتهميش. لكنها يمكن أيضا أن تتحول إلى مساحات للمقاومة والأمل (توهيواي سميث وليندا، ١٩٩٩).

لذلك فقد كان بحثنا بحثا بهدف التغيير، بحثا يستند إلى نظرية منهجية واقعية، يعتمد فيها الإستراتيجيات التالية:

١. مقابلات فردية مع الناجيات من النساء.

الهدف من هذا المنهج هو الإستماع مباشرة ووجها لوجه لكلمات النساء في وصف مشاعرهن وآلامهن وذكرياتهن المؤلمة ولحظات قوتهن وضعفهن الخ. وذلك كي يتمكن فريق البحث من الكشف عن أثر الصدمة من منظور النساء. إن ذلك المنهج لا يسعى فقط لفهم إدراك الناجين لجرائم الحرب، وإنما يسعى أيضا إلى التعرف على أساليب ملائمة لمساعدة الناجين الآخرين. لقد تضمنت الدراسة ٣٠ سردا شخصيا بمعدل عشر مقابلات من كل منطقة بهدف التعرف على الخبرات الحياتية والأزمات التي مرت بها النساء.

٢. مجموعات نقاشية بؤرية مع الناجيات ومقدمي الخدمات

الهدف من المجموعات البؤرية مع الناجيات هو التعرف على الصعاب التي واجهتها النساء أثناء الإجتياح. كما نهدف أيضا إلى التعرف على أساليب التكيف والتأقلم الأساسية واثارها على كل واحدة من النساء (الأم، الفتاة الصغيرة، المرأة المسنة). أما اللقاءات البؤرية مع مقدمي الخدمات فتسعى إلى التعرف على الخبرات المختلفة لهؤلاء الذين عملوا مع النساء الناجيات من جرائم الحرب. إنها تسعى إلى مساعدة فريق البحث على التعرف على الأعراض الأساسية (النفسية منها والإجتماعية) المصاحبة للصدمات والعمل على تنسيق العمل مع مختلف المنظمات الناشطة في المجال من أجل تجنب تكرار المجهودات. مجموعات المناقشات البؤرية والمقابلات الفردية كلتيهما تساعدان الباحثين على تحديد متغيرات الدراسة الأساسية وتصميم استبيان البحث.

في كل من المواقع الثلاثة قمنا بعمل مجموعات نقاشية بؤرية: ثلاث مع نساء من مخيم لاجئين وقرية ومدينة، وواحدة مع مقدمي الخدمة. في نابلس شاركت ١٩ من مقدمي الخدمة في الدورة الأولى من النقاشات البؤرية، ثم ثلاثة عشر في الدورة الثانية في حين شاركت أربعة وأربعون امرأة في باقي المجموعات البؤرية. في منطقة بيت لحم شاركت سبعة عشر من مقدمي الخدمة وستون امرأة في المناقشات الجماعية البؤرية. وفي منطقة جنين شاركت ٢٠ من مقدمي الخدمة وخمسة وعشرين امرأة في تلك المناقشات.

٣. علاج المجموعة الداعمة

تهدف المجموعة الداعمة إلى البحث عن المشاعر والآلام المسكوت عنها، وتحرير أصوات الألم والبحث عن سبل لتحسين وتقوية إستراتيجيات التأقلم للنساء. لقد كان افتراضنا الأساسي هو أن بعض السلوكيات أو الأعراض المضطربة، نتجت عن إستراتيجيات تأقلم مشروعة مع العنف السياسي، خاصة وأن النساء كن محرومات من فرصة اكتساب مهارات معينة للتعامل مع الصدمات.

إن هذا الحرمان- خاصة في حالة الصدمات المستمرة والفقدان الدائم للأعزاء والأحباب والأرض والإحتياجات الإقتصادية الأساسية نظرا لحالة الصراع- قد يؤدي إلى حالة من الشعور بفقدان القدرة على التحكم في الأمور، وفقدان القدرة على التعبير عن النفس. أما سبب اختيارنا أن نعمل من خلال مجموعات بدلا من العمل على أساس فردي فمرد ذلك لقناعتنا إن الشفاء حين يتم في سياق مجموعة يصبح لدى النساء المشاركات القدرة على معالجة شعورهن بالفقدان في نفس الوقت الذي يكتسبن فيه علاقات جديدة مع من عانين من ذات الصدمات. إن صيغة الجماعة تسمح للنساء بخلق علاقات مع نساء أخريات، ولذلك فإن خلق تلك العلاقات يعتبر عنصرا أساسيا في عملية الشفاء.

في هذا القسم قمنا بتجميع المعلومات من عينة عشوائية من حوالي ثلاثمائة امرأة نجوا من الغزو الإسرائيلي لجنين ونابلس ومنطقة بيت لحم، وقد استخدمنا استبيانا صممناه بالاستناد على المعلومات التي حصلنا عليها من تحليل السرد، ومن نتائج المجموعات البؤرية وذلك لمعرفة تأثير صدمة الحرب على النساء.

تحليل مناقشات المجموعات البؤرية

لقد تم عقد المجموعات النقاشية في ثلاثة مواقع: جنين ونابلس وبيت لحم. وكان الهدف الأساسي هو التعرف على آثار العنف السياسي على حياة النساء الفلسطينيات وذلك على ثلاثة مستويات: المستوى الشخصي والأسري والإجتماعي- والاقتصادي. وقد ناقشنا جميع المستويات

وحددناها وحللناها من حيث جوانبها الفسيولوجية (الصحة الجسدية) والنفسية والأسرية والإجتماعية والإقتصادية ومن حيث النوع.

يجب التنويه أيضا ان المجموعات النقاشية ضمت في داخلها نساء ناجيات من العنف السياسي، ومقدمي الخدمات للنساء حين يقدرون على ذلك. إن الإستماع إلى أصوات النساء وأصوات مقدمي الخدمة تمكننا من فهم أعمق لمضمون المعاناة، ومن التعلم أكثر عن إستراتيجيات النساء في التأقلم والتكيّف. لقد أثّرت نتائج هذا الجزء من الدراسة على تشكيل مجموعات الدعم كما على طبيعة الموضوعات التي تمت مناقشتها وتحليلها في الجلسات الأوسع وفي جو أكثر دعما.

قامت المشاركات عموما بتوضيح أن العنف السياسي وما يترتب عليه من شعور بعدم الأمان وعدم القدرة على توقع الأحداث والرعب الذي يتسبب فيها هو عنصر أساسي يؤثر على وضعهم الحالي كما على ردود فعلهن تجاه هذا العنف.

جميعهن تحدثن عن فقدان الأزواج والأحباء والمنازل وهدمها، والصعوبات الإقتصادية، وعدم قدرة الأطفال على الوصول إلى مدارسهم، والخوف من إرسالهم إلى المدارس.... الخ. وأكدن أن تلك العوامل جميعها تؤثر على أساليب تكيفهن مع ذلك العنف سواء على المستوى الشخصي أو الأسري أو الإجتماعي. على سبيل المثال تقول كل من مها وليلى وندا وابتسام من نابلس عن رؤيتهن للوضع:

"صعوبات اقتصادية وزوجي مريض عاجز عن العمل."

"صعوبات السكن والشتات، وخوف أولادي من الطريق إلى المدرسة."

"أعاني من صعوبات نفسية وصحية صعبة. بالإضافة إلى تناول المسكنات والمهدئات بشكل دائم."

"أوضاع اقتصادية سيئة ما أدى إلى حدوث مشاكل أسرية"

أما عنايات وسهام وخولة من بيت لحم فقلن

"أكثر الأمور صعوبة هي الوضع.. زوجي يعمل وأحيانا لا وهذا يؤثر على البيت. ابنتي الصغيرة عمرها ٤ سنوات. في الليل تكون خائفة وتنادي علي وأحيانا تبول"

"ويتسلط على ابني اللي عمره ٨ سنوات. عنده حالة نفسية أظافره يأكلها حتى نزول الدم من يده. الدروس لا يدرسها وعندما اطلب منه ان يدرس أو يذهب إلى المدرسة يقول

بانه اليوم منع تجول وأقنعه بعدم وجود المنع. ابني جدا تراجع كان معدله ٩٢ والان ٦٢ يرسم الرشاش ومحمد الدرة. لا أستطيع أحيانا التصرف معهم فاطلب منهم الذهاب إلى الغرفة وعندما اهدا اسألهم عن إحتياجاتهم مثلا يقول لي ابني بانه يريد ٧٠ شيكل. لأنه لا يعمل, هدا أكثر شئ يؤثر على زوجي"..

" عمري ٣٩ سنة لدي ٧ أطفال. الظروف صعبة على الجميع.. انهدم بيتي ولا يوجد أي جهة تساعد وأولادي جدا يخافون ولا أستطيع تركهم لوحدهم. أطفالي وهم نائمين يصرخون.. كثير من المؤسسات عرفت عن مشكلتي وسجلت في دفاترهن ولكن لا يساعدون. مليت! دهبت إلى مؤسسة الدوحة. أولادي جدا يخافون ودائما يصرخون في الليل.. لو يكون مساعدة لأطفالي بإحضار كتب تلاوين للبيت. أنا أتمنى شراء أغراض لأطفالي ولكن لا يوجد ميزانية"

"٢٥ سنة.. عندي ولد وبنت.. تأثرنا نفسيا واقتصاديا. عندي طفل كبير كان ابني يصرخ جدا ويخاف وهو نائم وعندما اجت فترة الإنتفاضة كان فيه قصف في المنطقة."

"بنتي عمرها ٣ اشهر نشف حليبي مع ان كنت أفضل جدا ان امصصها لسنتين. كنت خائفة جدا على أطفالي وزوجي وعلى حالي طبعا خفت ولكن على أطفالي أكثر"

لقد دفعت الصعوبات الإقتصادية نتيجة الوضع السياسي، بعض ممثلي الخدمات إلى القول بأن غالبية من يلجأون إلى المنظمات المساعدة طلبا للدعم هن من النساء. يوضح لنا مدير واحدة من المنظمات قائلا:

"مشكلات اقتصادية من خلال طلبات المساعدة والعمل على إحالة الكثير من الحالات للمؤسسات المعنية. فعلى سبيل المثال من تاريخ ٢٠٠٣/١/١ ولغاية ٢٠٠٣/٣/٤ قُدم لنا ٢٠٥ طلبا من المتضررين للمساعدة وخاصة أن ٨٠٪ منهم نساء."

ويبقى السؤال عما إذا كان تأنيث الفقر قد وجد طريقه إلى فلسطين أيضا أم أن الرجال يفضلون إرسال زوجاتهم لطلب المساعدة حياء منهم أو حرصا على كبريائهم الذكوري، أو نتيجة للقيود المفروضة على الحركة أو خوفا من أن يقابل طلبهم بالرفض. إن الإجابة على هذا السؤال لا تزال غير واضحة.

ولكي نشارك القارئ الصعوبات الرئيسية وأوجه الضعف والقوة في عمليات الصراع من أجل البقاء فسوف نقسم هذا الجزء إلى سبعة عناوين فرعية. لافتين الإنتباه ان تلك هي الموضوعات التي اعتبرنا أنها ذات أهمية خاصة فيما يتعلق بموضوع الدراسة.

١. **العنف السياسي والتكيّف**
٢. **العنف السياسي واجتياح المنازل**
٣. **العنف المرتبط بالنوع الإجتماعي**
٤. **الرعب، التحرش الجنسي وسؤ المعاملة الجنسية**
٥. **الصعوبات السياسية، والقيود الإقتصادية وصحة النساء.**
٦. **الخوف الدائم وعدم الشعور بالأمان**
٧. **مصادر القوة، كيف يتكيفون؟**
٨. **ماذا عن المستقبل؟**

أولاً: العنف السياسي وعمليات التكيّف

لقد عجزت النساء عن فهم ومتابعة معدلات تزايد جرائم العنف. وقد أدى ذلك في بعض الحالات إلى شعور النساء بالشلل والعجز على حين ساهم ذلك في تنشيط البعض الآخر. لكن أغلب المشاركات أكدن أنهن كن ينصرفن بسرعة لمساعدة أطفالهن وإنقاذ أنفسهن. ومع ذلك فهناك بعض الحالات، كأن تفقد المرأة أي خيط بينها وبين أحد أفراد أسرتها أو بضرب أمامها أو كأن يهدم منزلها، حالات تشعر فيها النساء بالعجز الكامل وباختلاط الفهم، بل وفي بعض الأحيان يشعرن بالإنفصال عن العالم. وقد اتضح أن الشعور بالعجز يكون في أشد درجاته حين يتعرض أحد أفراد الأسرة للإذلال أو إعتقال أو بالأساس حين يقتل رميا بالرصاص كما حدث في حالة أم جمال من نابلس، حين حدثتنا أم جمال عن استشهاد ابنها وردة فعل ابنتها الحامل لفقدان أخيها واجتياح المنازل وإذلال إخوانها وأبيها الخ."

"ابني الثاني راح يشتري كولا لأولاد أخته، وجاء ابني يقول لي الحقي يا أماه أخوي استشهد. أنا جننت وما تقبلت الخبر لأنه قبل شوي كنت معاه.. طار مخه ووقع على الأرض ودمه مثل الحنفية وقال له الجندي موت أنت جننتنا وصاروا يدعسوا عليه. لكن الشباب سحبوه ونقلوه للمستشفى بصعوبة إلا أنه راح عند ربه وفارق الحياة. ثالث يوم خلعوا علينا الباب ولاقاهم زوجي ومسكوه من رقبته وطلبوا منه أن يحضر أولادي الثانيين. ابني الكبير خبطوا رأسه بالحيط. لكن أنا بطلت أقدر أحكي وضربوا ابني الثاني ونزل الدم من منخاره حتى ابنتي كان موعد ميلادها ولدت بصعوبة وصار بعدها عندها انهيار عصبي وحتى الآن خايفة"

وقد فاقم من عدم قدرتها استيعاب استشهاد ابنها أن قام الجنود باجتياح المنزل وضرب باقي أفراد الأسرة ما سبب حالة من الهلع الشديد للابنة الحامل. لقد تكررت تلك الروايات. على سبيل المثال تحكي لنا أم عليا عن قصتها فتقول التالي:

"... وصار الجيش ينادي إطلعوا من البيت لكن ما ردينا عليهم ورموا على البيت قذيفة استشهد زوجي. طلبت الإسعاف ما في حد يسمعني. أربعة أيام وزوجي شهيد نائم جنبي على التخت أنا كنت مش مصدقة اللي صار ولحد الآن عقلي مش مستوعب. خامس يوم جاؤوا الجيش حوالي ١٠٠ جندي وطلبوا منا أن نخرج كلنا من البيت لكن ما رديت عليهم لأني لا أريد أن أترك زوجي شهيد لوحده في البيت. وفي نهاية المطاف ودعت زوجي وودعوه أولاده وبناته وحتى الجيران ودعوه وتركته لوحده. وأخذونا إلى مدرسة ابن الهيثم لليلة واحدة وأنا على أعصابي عشان تاركة زوجي لوحده"

كذلك تحدثت نهله من قرية في بيت لحم عن الأثر النفسي للعنف السياسي حين روت لنا عن تأثر فقدان سلفتها ليس فقط على صحتها النفسية، وإنما أيضا من حيث مفاقمة ذلك لمسئولياتها العائلية. حيث شعرت أنها قد أصبحت أما لأطفال سلفتها. تقول نهله:

"أعاني نفسيا قبل سنه ونصف استشهدت زوجة أخي وأولادي أخي اعتقلته تأثرت جدا على زوجة أخي ولكنه لغاية الآن لا استوعب استشهادها وبأنها راحت وانتهت مع ان أخي تزوج شاهدت حدث استشهادها في شهر ١٠ حيث كانت تمشي في الشارع ودبابة طخت على رأسها ابنها معتقل ودائما يتصل عندما لا يتصل نصير على أعصابي أحس بأنني أمه نفسي نفسي انفجر بشارون"

هنا نتعلم ان إخلاصها لسلفتها تزايد نتيجة كونها قد شاهدت الأسلوب الذي قتلت به. وفيما بعد زاد تأثرها حين قرر أخوها (زوج سلفتها) الزواج واكتشفت أن الحياة تستمر رغم أن ابنه لازال معتقلا بعد أن فقد أمه. إن هذا التراكم في المصائب والصدمات جعلها تشعر بالمسئولية نحو الطفل المعتقل (١٦ سنة) وقد ساعدها إستعدادها لأن تكون له بمثابة الأم، ساعدها على التكيّف مع غضبها وشعورها بالإحباط نحو النظام العسكري والذكوري. كذلك أكدت المشاركات أن العنف السياسي لم يفاقم من مخاوفهن وآلامهن وعدم شعورهن بالأمان وحسب وإنما أثر أيضا على ردة فعل أطفالهن. الأمهات منهن روين كيف أن شعورهن بالعجز وعدم الأمان قد انتقل إلى أبنائهن ما جعل الأمهات غير قادرات على مساعدة أو دعم أطفالهن حين كان بإمكانهن أن يفعلن ذلك. على سبيل المثال كانت هناك نعيمه من بيت لحم التي روت لنا عن التغيرات التي أصابت حياتها بعد الغارة وبعد اعتقال زوجها الذي يحمل بطاقة تعريف أردنية وليس فلسطينية إضافة إلى قتل عمها في كنيسة المهد. تقول نعيمه

"تغيرت حياتي طبيعي بعد الإجتياح حيث كنت اشعر دائما بالخوف. عصبية ومتوترة وان هذه التصرفات انعكست على طفلتي وقد أصبحت مثلي خائفة جدا ولذلك لا نشعر بالأمان نهائيا"

كما تحدثت النساء الشابات المشاركات في المجموعة النقاشية عن شعورهن بالعجز واليأس. سماء امرأة تعيش في واحد من مخيمات اللاجئين في منطقة بيت لحم. وقد روت لنا سماء عن مصابها في نفس الوقت الذي عبرت فيه عن خوفها على مصيرها ومستقبل أحبائها. لقد دفعها الشعور بالألم واليأس إلى ترك المدرسة، ذلك أنها شعرت بأنه لا يوجد معنى للدراسة. قالت:

'عندي ستة إخوة وست خوات. كان الجيش يدخل كثير على بيتنا. ابن عمي استشهد، وتم اعتقال اثنين من أبناء عمي ، حيث قبل استشهاده تصاوب ٣ مرات .. وان الوضع كثير صعب علينا والواحد فينا بحس نفسه محبوس. عمري ١٦ سنة حاليا.. وزوجة أبي ولدت فترة الإجتياح والطفلة ماتت.. أمي كثير تأثرت بالإجتياح كانت كثير تخاف وأكثر شيء بقلقها صور الشهداء (والنكافة) وكثير كان بقلقها وجود أختها عند النفق وتضل خايفة على إخوته.. وأنا لما بخاف أو بتضايق ببكي وبحكي مع أمي قررت اطلع من المدرسة بإرادتي، يعني لاش الواحد بده يتعلم.

لقد تعرضت نوال، ١٧ سنة، لخبرة مماثلة في أحد مخيمات نابلس. لقد شرحت لنا كيف ان الغارة والوضع السياسي أثرا عليها بحيث أصبحت شديدة العنف والعدوانية. فقد بدأت في تحطيم الأشياء في المنزل وعزلت نفسها عن أسرتها وعن المجتمع. ورفضت مغادرة المنزل وانتهى بها الأمر إلى ترك المدرسة رغم انه لم يكن متبقياً لها سوى عام واحد على التخرج. تقول:

"بداية الإجتياح كنت كثير أخاف من الجيش. كنت اكسر التلفزيون، عندما أرى أي شهيد أو مصاب، تدهورت الحالة النفسية والصحية، خسرت أمور كثير من الإنتفاضة، من الناحية التعليمية اخسرتها.. ولكن الخوف ملك قلبي. بخاف كثير على إخوتي وأولاد خالي، عندي ٨ أخوة وأصغرهم ولد عمره ١٢ سنة، كل إخوتي ما بخافوا مثلي"..

- ماذا تفعلين عندما تخافين؟

"لا اخرج من البيت كان أهلي يحكوا لي لازم اخرج من البيت، بس أنا بحس بعزلة وبحب اقعد لحالي. وكثير قلقانة من الحرب وخايفة على إخوتي وعلى كل الناس، ولم يتم اعتقال أي من إخوتي حتى اللحظة.. حياتي بشكل عام فقدت الأمان والإستقرار، درست توجيهي وخرجت من المدرسة من الخوف."

حين ناقشنا تأثير العنف السياسي على مقدمي الخدمة لاحظنا درجة عالية من التوتر، إذ شعروا إنهم غير قادرين على تنظيم جهودهم أو مساعدة جمهورهم بالدرجة الكافية في أثناء الغارات أو الحصار أو أي صعوبات حادة. تقول سلمى من بيت لحم:

".. أهمية وجود طريقة واضحة للعمل وانه نحن كمهنيين يوجد لدينا نقص بالمعلومات عن طبيعة المعاناة التي تعيشها ليس فقط المرأة بل الأسرة والأطفال كذلك. وأهمية وجود طريقة لتوفير مثل هذه المعلومات وإضافة إلى وجود طريقة لان نكون نحن المهنيين على تواصل دائم مع بعض من اجل تسهيل العمل أثناء ظروف الطوارئ ومنع التجول".. وأضافت "دورنا كمهنيين مش بس بالوضع العادي، لكن كمان دورنا بمثل هذه الظروف الصعبة وإحنا لازم نكون شبكة واحدة اللي إذا صار اشي مثل حصار ال٤٠ يوم نعرف نلاقي طريقة نشتغل ونساعد الناس".

إن إدراك سلمى للأمور قد انعكس في بعض ما ذكرته المشاركات حين قلن أنه على مقدمي الخدمة أن يبذلوا مجهودا أكبر وأن يكونوا اقرب للنساء ليتمكنوا من تقديم الخدمات الملائمة. وقد أكد مقدمو الخدمة على الصعوبات الإقتصادية بإعتبارها الهم الأساسي، حيث أنها تزيد من العدوانية والعنف ضد النساء. تقول منال:

"إحنا عشان نعرف شو احتياجا ت المرأة بمنع التجول لازم نشتغل مكثف في المنع وهذا مش سهل علينا بس أهم قضية بتواجه النساء الوضع الاقتصادي السيئ كثير وموضوع العلاقات داخل البيت وزيادة العنف ضدها أو ضد الأولاد وهذا بسبب الضغط اللي الكل بعيشه"

ثانياً: العنف السياسي واقتحام المنازل

برز اقتحام المنازل كأكثر أشكال العنف السياسي تأثيرا على النساء. يحدث اقتحام المنازل عادة في منتصف الليل حين يكون أفراد الأسرة نائمين، حيث تقوم قوات الاحتلال باقتحام المنازل مصحوبة بكلاب ضخمة وهم يرتدون الأقنعة السوداء على وجوههم، ويحملون البنادق وأسلحة ضخمة أخرى. وكما سوف نعلم لاحقا فإن اقتحام المنازل في العادة ما يصاحبه أو يترتب عليه تكسير للأدوات المنزلية والتفتيش في البيوت واعتقال أحد أفراد الأسرة الخ، محدثا بذلك حالة من الفوضى والشتات الشديدين. تلك كانت بعض الأسئلة التي تناولت الخوف والهلع الذي ينتاب الأسر أثناء الاقتحامات والغارات:

"وإذا بهم الجيش حجزونا عند الجيران سبع ساعات وخلوا فقط جنود اثنين يحرسونا. كنا ٢٥ نفر في بيت الجيران بغرفة واحدة حتى الحمام كنا لا نستطيع قضاء حاجتنا وأطفالنا الصغار وبقينا على أعصابنا في رعب وهلع وخوف حتى نور الدبابة وضعوه أمامنا حتى يرعبوا الصغار وبعدها انصرفوا"

"في اجتياح شهر ٢٠٠٣/٢ دقوا علينا في الساعة الرابعة صباحا وقالوا وين الشباب وين المطاردين؟ قلت له: عندي أطفال صغار وما فيه شباب. قال خذيهم على الشارع لأنه بدنا نفجر البيت. وحجزونا عند الجيران ٢٥ نفر ومن كثر الخوف بولوا الأطفال تحتهم وأخذ الجيش بيتنا بالكامل وبدأوا بالتحفير وحفروا الجدران وخربوا كل شيء في البيت وبعد أن بقينا ١٢ ساعة عند الجيران وبعد أن انصرفوا رأينا البيت دمار شامل والبيت خراب لا يوصف ولحد الآن أنا وأولادي وزوجي نعيش عند الجيران ولا نعرف وينتا حلتها."

"في احتياح شهر أربعة سنة ٢٠٠٢ كل الجيران تركوا المنطقة إلا نحن وأسلافي بقينا في خضم ووسط المعارك. الطخ والدبابة عند الدرج. عند المغرب كل واحد فينا حمل الحرام والمخدة وهربنا عند بيت سلفي.وبقي الجيش في البيت مدة عشرة أيام. وبعد ما راحوا الجيش رحنا نشوف إيش عملوا وجدنا الدمار والوحشية البرادي محروقة وحتى السجاد.. لنرى ما حصل كل شيء خراب ودمار لا يتصوره عقل الإنسان. كان عدد الجنود في البيت ما يقارب المئة جندي . استخدموا كل شيء يخصنا حتى الحرامات توسخت والمخدات وكانوا يطلعوا على خزائن المطبخ عشان يراقبوا المطاردين. الحرامات الجديدة استعملوها. ماذا أريد أن أتحدث مثل البغال لا أستطيع الوصف."

يترتب على اقتحام المنازل عدد من ردود الأفعال النفسية. وهي بالأساس مرتبطة بعدم القدرة على توقع سلوكيات الجنود. وعدم الثقة من أنهم سوف يغادرون أو متى سوف يغادرون. وفي بعض الحالات تسبب الاقتحام المتكرر للمنازل في شلل بعض المشاركات حيث شعرن بالعجز الكامل وفقدان لأي قدرة على عمل أي شيء في مواجهة تلك الفظائع.

تقول أم أيمن:

"إلا أنهم كسروا لنا كل شيء الواجهات والبلاط والقوس والخزائن والشماعة وسرير اسي. أنا عندي حكي كثير لو أظل أحكي من هون للصبح ما بخلص. خلطوا الأكل ببعضه في المطبخ كنت منشفه ٥٠ ضمة نعنع كبوهم. في كل اجتياح بدخلوا على البيت صاروا لحد الان داخلين ١٢ مرة. الموت أرحم من هذه العيشة صار عندي مرض الأعصاب وصار عندي وجع دائم في رجلي وصار دواء الأكمول والمسكنات ملازمة لي دائما."

لقد اتفقت كل النساء على أن للعنف السياسي أثر شديد على صحتهن الجسمية والنفسية. بعضهن قالت أنهن بدأن في المعاناة من مشكلات صحية بعد أن تم اجتياح منازلهن أو اعتقال أبنائهن. أم محمود شاركتنا مصابها. تقول

"بيتنا قريب من الصبانة واليهود بفكروا أنه يوجد في الصبانة مطاردين وفي شهر ٤/ ٢٠٠٣ عندما كنت نائمة في الصالون وهاربة من غرف النوم أطلقوا نار كثيف وصواريخ أنيرجا ودخلت النيران على غرف النوم والصالون. بعدها دقات القلب عندي صارت مش منتظمة ولم أعد أتحمل ما يجري."

"ليلة العيد حصل حادث مؤلم لن أنساه: الجيش صار عنده جرأة أكثر ويدخلوا إلى عمق البلد وعندما دخلوا في الساعة الثانية والنصف بعد منتصف الليل كنا نائمين وصاروا يطلقوا الرصاص بكثافة أنا بدك الصحيح مت من الخوف وبعدها رأيت ابني في البيت الثاني قال لي تعالي هنا أحسن لكن زاد الطخ من عند بيتنا صرنا ندعي ربنا وأملنا بالله كبير يا الموت يا الحياة.. طلعوا الجيش.. وضربوا صاروخ الأنيرجا في قلب المطبخ.. من أثر الصاروخ كل شيء انحرق.. ودخلوا بيت ابني ووضعوا السلاح على رقبتي وصاروا يسألوني: وين المطاردين قلت لهم ما بعرف أي شيء وأنا عندي ولد وحيد ومسكوه وبدأوا بضربه ويسألوه عن المطاردين. وبعدها سحبوا ابني على المطبخ وكان حافي بدون حذاء ويدعس على الزجاج وهو مكسر واعتقلوه ١٨ يوم لأنهم وجدوا سلاح على السطوح.... اخ اخ ما في شيء في المطبخ كل شيء خراب أطلقوا الرصاص والقذائف على أجهزة المطبخ وخردقوا الثلاجة والغاز وكل شيء في المطبخ حتى عندما أحتاج أن أطبخ أذهب وأطبخ عند الجيران وصار ما في مجال ننام في البيت صرت أنام عند أهلي.. وعندما صار الإجتياح الثاني كمان مرة اقتحموا البيت ولكن لم يجدوا أحد ومكثوا في البيت ٤ أيام خربوا الخزائن وأخرجوا كل شيء منها حتى الصور والكتب ومزقوهم. وبعدها صار عندي القلب والضغط."

ثالثاً: العنف المرتبط بالنوع الإجتماعي

اتفقت المشاركات ومقدمو الخدمة على ارتفاع معدل العنف ضد النساء والعنف المستند إلى النوع الإجتماعي. أما المشكلات المثارة فقد تراوحت بين حرمان الفتيات من اكمال تعليمهن تحت وطأة الوضع الاقتصادي، أو حرمانهن من اختيار أزواجهن، وفرض الزواج المبكر عليهن وحتى المشكلات الإجتماعية والنفسية التي تنبع من تقاطع السياق السياسي والاقتصادي والنوعي والنفسي والقانوني. على سبيل المثال عبرت مقدمات الخدمة عن قلقهن بشأن ما يشهدن عليه من عنف ضد النساء وعنف أسري على كافة المستويات. هاله ونعيمه ومحمود وإيمان يوضحون لنا ذلك:

"التي زاد التردد لها فهي الحالات النفسية من قبل النساء وأعراضها آلام معدة وأوجاع رأس. ازدياد التوتر والعنف داخل الأسرة من خلال وجود الروح المتكرر في

البيت بسبب عدم وجود عمل ما أدى إلى الضغوطات الأسرية وبالتالي التفكك الأسري."

".. انا شفت ان المشاكل والضرب زاد بشكل مش طبيعي. وكمان الحمل والخلفة زادت وكان الرجال انجنوا"

"انت بتعرفي انه كلامها صح بتعرفي انه كثير زادت نسبة الحمل والولادة. إحنا في الجمعية بنسجل كل شيء ولما عملنا مقارنة لقينا الزيادة اشي مش معقول. بتعرفوا كنوا الزلمة لما بنضغط بصير بده هديك الشغلة اكثر"

"انتوا بتعرفوا ان حتى مشاكل الأولاد والبنات كثير زادت بالمدارس هذا غير موضوع التراجع الأكاديمي ولما سالت ولد لانه كثير بيعمل مشاكل قال لي: انا بعمل هيك من كثر ما بشوف. انا ابوي بيضل يضربني وبيربطني ' شبح ' بالكرسي.. عندما سالته عن امه قال لي: هي مش قادرة تفتح ثمها لأنها بتاكلها أكثر مني ... وابوي بيضل قاعد في الدار لا بروح ولا بيجي"

لقد تفاقمت الضغوط النفسية ومشكلات العوز الاقتصادي والبطالة إضافة إلى بقاء الرجال وقتا أطول في المنزل وعدم القدرة على التحرك بحرية. وترى مقدمات الخدمة أن ذلك قد ساهم في زيادة العنف ضد النساء. مها، ممرضة، تشرح لنا ذلك:

"الحالة والوضع النفسي للمرأة صعب بسبب وجود الرجل في البيت ولا يوجد عمل يلهي نفسه به ما يزيد من حالات العنف ضد المرأة وبالتالي العنف على الأولاد؟"

بسمه، أخصائية اجتماعية من نابلس، تضيف شارحة:

"أغلب الحالات التي تتوجه إلينا هي في الغالب مشاكل أسرية ونفسية بسبب سوء الوضع الاقتصادي وعدم تلبية الإحتياجات للأسرة وتدخل الرجل في كل صغيرة وكبيرة في البيت أدى هذا إلى وجود عنف ضد المرأة مثل الهجر الجنسي والضرب والطلاق حتى أن القاضي الشيخ عزام الخراز قال أن نسبة الطلاق ازدادت النصف عن الفترة السابقة"

لقد انعكست المشكلات المترتبة على الوضع السياسي وردة الفعل الإجتماعي له على أكثر من مستوى. فقد ناقشت المشاركات العنف السياسي وقاطعوا ما بينه وبين العنف المبني على النوع الإجتماعي. تقول واحدة من مقدمات الخدمة في نابلس:

"إن إسرائيل دولة تخطيط، أصبح خلخلة في الأدوار وحركة المرأة صارت أسرع وأسهل من حركة الرجل وهذا أدى إلى خلق مشكلات نفسية كثيرة عند الرجل وبالتالي زيادة العبء والحمل "تثقيل على عاتق المرأة حتى الطفل في الوقت الحالي يعيل بعض الأسر. والإستعداد للعمل المنزلي صار كبير بسبب سوء الأوضاع الإقتصادية. وبالتالي استغلال حاجة المرأة للعمل ودفع أقل الرواتب لها. كل هذه الأمور أدت بالتالي اختلاف العلاقة الزوجية وفي كثير من الأحيان زيادة حالات العنف في الأسرة التي تقوم على الشتات والضياع."

وقد اتضح ذلك أيضا حين استمعنا إلى هموم مقدمات الخدمة فيما يتعلق بتأثر الاستشهاد على نساء الأسرة عموما وعلى زوجات الشهداء على وجه الخصوص. لقد ناقشنا الموضوع في كل من الثلاثة مواقع. وقد اتضحت هموم مقدمات الخدمة بشأن قدرة المرأة الضحية على التكيّف مع الضغوط الرهيبة التي تتعرض لها: مها، أخصائية اجتماعية، تقول:

" .. موضوع زوجات الشهداء والمشاكل اللي بتعرضوا الها بتخيل هذا هو المهم نركز عليه المشاكل اللي بواجهوها من أهلهم وعيالهم وسلافهم انتوا بتتصوروا شو يعني لما زوجة شهيد ممنوع تروح وتيجي وبصير أهلها بدهم يجوزوها من سلفها عشان الاولاد وعشان تبقى في الدار دون ما حدا يخرجها منها"

وقال طبيب اخر

"مزبوط . هذه المشاكل كثيرة انتوا بتعرفوا ان امرأة الشهيد X جوزوها لسلفها الصغير وفي حصار ال٤٠ يوم جوزها الثاني اعدوه على غزة . اتصوروا وضعها واصلا لما جوزوها سلفها ما كان برضاها بس لأنها زوجة الشهيد"

"اكثر المشاكل هو موضوع نظرة الناس لزوجة الشهيد وكلامهم عليها اذا طلعت من الدار او اذا حتى ضحكت انه لازم تراقب نفسها وتحركاتها كل صغيرة وكبيرة."

بالإضافة إلى ما سبق ذكره من عنف بسبب النوع الإجتماعي، أشار مقدمو الخدمات أن الآباء بدأوا في حرمان بناتهم من الاستمرار في التعليم بل وفرضوا عليهن الزواج في سن مبكرة خوفا من ألا يصبحوا قادرين على إعالتهن. لقد كان ذلك الأمر واضحا فيما ذكره سمعان، الأخصائي الإجتماعي:

"طرحت موضوع التسرب من المدارس وموضوع الزواج المبكر وتحدثت لاكثر من قضية حول هذا الموضع حيث الاب اجبر ابنته على الزواج من ابن عمها وتبلغ الفتاة ١٦ عام وقد اصبح لديها فتاة رضيعة"

أحد الهموم التي تكرر ذكرها من قبل مقدمي الخدمة والنساء المشاركات على وجه السواء هو عدم قدرة النساء الحوامل على الولادة في جو آمن وصحي. وقد وضحت لنا النساء والعاملات الصحيات كيف أنهن أصبحن يستخدمن الطرق التقليدية القديمة في توليد الأمهات وذلك بالاستعانة بالقابلات وإستخدام الأساليب التقليدية في الإجهاض أو في الولادة مما يهدد حياة كل من الأم والجنين للخطر.

وقد عبرت فاطمه، وهي ممرضة تعمل في الميدان على مدى الثمانية والثلاثين عاما الماضية، عن تلك المخاوف:

"الآن تلجأ النساء إلى الولادة المبكرة قبل الوقت المحدد وذلك خوفا من ظروف الإغلاق ومنع التجول، فمجرد دخول الأم شهرها يبدأ التوتر النفسي فتتجه للمستشفى لإجراء طلق اصطناعي للولادة المبكرة ما يعرض المرأة لمعاناة أكبر ولكن في نفس الوقت يسهل من عملية الخوف على الحواجز. في القرى تزداد نسبة الولادة المبكرة بحوالي ٩٠٪ من الحالات بسبب خوفها من الولادة على الحواجز أو تعرضها للقتل أو الإصابة كما حدث مع حالات أخرى."

لقد جاءت النساء بالكثير من القصص وتحدثوا عن تفاصيل العديد من النساء اللاتي لم يتمكن من الوصول إلى المستشفى في الوقت المناسب، وقد كان أغلبهم من المتزوجات حديثا اللاتي عانين من خوف وقلق شديدين خوفا من أن يمتن أثناء الولادة. وقد أعطتنا النساء ومقدمي الخدمة الكثير من أسماء النساء والأماكن والقصص التي ترتبت على عدم تمكن النساء من ولادة أطفالهن في مؤسسة صحية آمنة.

يقول أحد مديري الصحة في نابلس:

عملية الإجهاض كثرت لأن حالات الحمل عند النساء زادت بسبب وجود الرجل دائما في البيت وبالتالي لا تستطيع أن تزيد نسلها بسبب عدم قدرتها على المصروف على هذا الطفل الجديد فتأتي إلى العيادة كي تجهض والنسبة على طلب الإجهاض زادت ٣٠٪ عن السابق.

هذا كله أدى في النهاية التسارع لأخذ موانع للحمل مثل اللولب وحبوب منع الحمل...الخ فيوجد عندي حوالي ١٥٠٠ ملف تنظيم أسرة في هذه الفترة القصيرة. قبل الإنتفاضة كان عندي ٧٥٠ ملف لتنظيم النسل والآن زاد الضعف أصبح ١٥٠٠ ملف بسبب ضيق الظروف المعيشية.

نسبة الولادة المبكرة زادت وخاصة النساء اللواتي يسكن في القرى المحيطة. تخاف المرأة أن تلد في الليل أو على الحاجز فيضطر أن نتعامل معها بإعطائها الطلق الاصطناعي هذه الحالات تتعدى ال ٧٠٪.

ويقول طبيب آخر

"سيدة عمرها ٢٧ سنة تريد أن تلد وصار عندها توسع شبه كامل وكانت في ذلك الوقت على الحاجز وتم إطلاق الرصاص نحوها وأصيبت فهي لم تعد تفرق بين ألم الإصابة وألم الميلاد."

في النهاية، فقد تعلمنا أن العنف المبني على النوع الاجتماعي يحدث في كافة مناحي الحياة، وقد تأثر هذا النوع من العنف بدرجة كبيرة من جراء المناخ العسكري العام، حيث نجحت آلة الحرب الإسرائيلية بأفعالها ومعداتها في انتهاك الحياة الأسرية وشعور النساء بالأمن والأمان، حتى وهن في منازلهن. لقد ساهم هذا الانتهاك في زيادة معدلات العنف وسوء المعاملة. فإضافة إلى العنف الأبوي الداخلي هناك أيضا العنف السياسي وكلاهما يؤدي إلى تحويل النساء إلى ضحايا، لمجرد كونهن نساء.

رابعاً: الفزع والتحرش الجنسي وسوء المعاملة الجنسية

إن مناقشة الخوف من الانتهاك والتحرش الجنسي هو أمر شديد التعقيد وخاصة في المجتمعات العربية. فالرجال والنساء، كلاهما، يميل إلى التكتم في الحديث عن الانتهاك الجنسي واقتصاره في المجال الخاص خوفا من الفضيحة والعار وتلويث شرف الأسرة. لذلك فعند بداية هذه الدراسة وحين بدأنا في المجموعات النقاشية كنا على وعي تام بعدم قدرة أو عدم إستعداد كل من المشاركات ومقدمات الخدمة على السواء للكشف عن مثل تلك الإنتهاكات أو مشاركتنا إياها أو مجرد حتى ذكرها. وبرغم ذلك وبرغم الحواجز والحدود الإجتماعية والثقافية إلا انه تم التطرق إلى الموضوع جزئيا. فقد كانت النساء أكثر إستعداد لمشاركتنا مصابهم فيما يتعلق بالتحرشات التي واجهنها من الجنود أثناء تواجدهن بالمنزل وهو ما تضمن التحرش بساتهن وإجبارهن على خلع ملابسهن الخ. أم أيمن من نابلس كانت واحدة من النساء اللاتي كانت لهن خبرة أليمة في هذا الموضوع. تقول أم أيمن:

"فتحوا علينا الأسلحة من خلال التحصير تفاجأت بعد ذلك أنني أنام في الغرفة أنا وأولادي وزوجي مع مجموعة كبيرة من الجنود وأخذوا زوجي درع واقي لهم حتى يفتشوا كل غرفة في البيت. يومين ونحن ننام في الغرفة مع الجنود. حتى أنه تحرشوا في ابنتي التي هي طالبة في الجامعة. مما أدى الى إصابتنا بالذعر والخوف وصاروا يتفننوا في تمزيق الملابس والبرادي وصاروا يهددوني بتفجير البيت. كنت لا أكل ولا أشرب"

لم يقتصر الانتهاك والتحرش الجنسي على الجنود الإسرائيليين فحسب وإنما امتد للرجال الفلسطينيين أيضا. على سبيل المثال، فقد أخبرتنا مقدمات الخدمة عن ارتفاع معدلات الإجهاض والتحرش الجنسي والانتهاك الجنسي إضافة إلى أفعال أخرى مرتبطة ذات صبغة عاطفية وجنسية. تقول لنا واحدة من العاملات الإجتماعيات في منطقة بيت لحم:

'انتوا بتعرفوا ان نسبة الإجهاض في بيت لحم زادت وصار أكثر من ١٠ بنات عملوا عمليات إجهاض في بيت لحم؟! '

'هذه من الأمور اللي بتصير وبتصير كأنها رد فعل نتيجة الوضع اللي مجتمعنا بعيشه للأسف بالدقة ما بعرف كيف ممكن نربط بس مع بداية الإنتفاضة موضوع الاعتداءات الجنسية في مجتمعنا زاد وموضوع العلاقات الجنسية خارج إطار الزواج برضى الطرفين زاد"

'يعني كان إذا انضغطوا الرجال بتزيد عندهم الحاجة الجنسية وأكثر قضايا الاعتداءات الجنسية بتكون من داخل العيلة ومش من برا"

كما وجدنا أن هناك علاقة بين الإنتهاكات الجنسية من ناحية وبين حالة عدم الإستقرار السياسي والفوضى التي تعم المنطقة. في واحدة من المناقشات الجماعية شاركتنا ممرضتان وطبيبة فيما رصدنه من وقوع النساء فريسة للاغتصاب والانتهاك الجنسي. كما هو في الحالة التالية:

'تتعرض النساء من جراء الوضع الاقتصادي السيئ والأوضاع الأمنية الخطيرة إلى بعض الاعتداءات فمثلا قد تعرضت امرأة إلى الاعتداء من قبل مسلح ما أدى إلى حملها وغياب الزوج لأكثر من سنة أشهر تعاني تلك المرأة من مشكلة الحمل والآثار الظاهرة عليها. وأيضا وكقابلة في العيادة والمستشفى لاحظت زيادة الاعتداءات على الفتيات من داخل الأسرة."

يجب هنا أن نشير إلى ان بياناتنا الإحصائية، التي حصلنا عليها بتحليل الثلاثمائة استبيان، قد بينت أنه حين سئلت المبحوثات عن معدل انتشار الإنتهاكات الجنسية أثناء الإنتفاضة، فإن ٤٩٪ منهن قلن أن هناك زيادة في معدلات الاغتصاب على حين وافقت ٦٠٪ منهن على أن هناك زيادة في معدلات التحرش الجنسي. ويبقى السؤال مفتوحا لمزيد من البحث ما إذا كان التحرش الجنسي قد أصبح أحد أدوات القمع السياسي في السياق الفلسطيني.

خامساً: الضغوط السياسية، القيود الإقتصادية وصحة النساء

لقد اتضح لنا من جميع المجموعات النقاشية ان الصعوبات الإقتصادية وارتباطها الوثيق بالعنف السياسي تنعكس على أسلوب الحياة في مناطق الصراع كما على إمكانيات الصراع من أجل البقاء. حيث جاء على لسان واحدة من مديرات المنظمات غير الحكومية في نابلس:

"نلخص القول هنا أن الاقتصاد هو عصب الحياة. نلاحظ ازدياد هذه المشكلة بشكل كبير. وبالتالي تأتي عندنا حالات من هذا القبيل للمساعدة المادية ولتقديم مواد غذائية والبعض نحوله إلى الشؤون الإجتماعية. هذا كله نتيجة الأوضاع المأساوية التي تتعرض لها الأسر في البلدة القديمة من هدم البيوت والإعتقال والاستشهاد التي طالت الجميع ولا زالت."

على حين وضحت لنا مشاركة أخرى كيف ان الوضع السياسي يؤثر في النهاية على صحة النساء. تقول منار:

"قبل الإنتفاضة كان ٩٨٪ من النساء يراجعن عيادات الحوامل. أما الآن فهناك تردي في الخدمات المقدمة والخدمات التي تقدم هي أقل نوعية و٩٥٪ من النساء كن ينجبن في المستشفيات أما الآن فـ١٨٪ من النساء ينجبن في البيوت. وبلغ عدد النساء اللواتي أنجبن على الحواجز ٥٧ حالة. أما بالنسبة للحالات فقد زادت كميا ونوعيا. ظهور نوعية جديدة من المشكلات بسبب الظروف من قصف الطائرات والخوف الشديد وتقسيم المدينة ومنع التجول. وأيضا زيادة حالات الولادة على الحواجز أو الولادة المبكرة."

لقد أثرت الصعوبات السياسية والإجتماعية والإقتصادية المركبة على الصحة النفسية والجسدية للنساء ما انعكس في زيادة كبيرة في معدل زيارة النساء للعيادات الخارجية وطلب الدواء والشكوى من الأعراض الجسدية. وقد أكدت على ذلك كل من المشاركات ومقدمات الخدمة. في واحدة من المجموعات النقاشية التي أجريناها في إحدى عيادات المخيم التي تخدم حوالي ٥٠٠ من النساء يوميا رصدنا ارتفاعا في عدد النساء اللاتي يلجأن إلى مقدمات الخدمة الصحية. كذلك فقد اتضح الارتباط بين فقدان الأحباء والاستشهاد وبين القضايا الصحية فيما رواه لنا المتخصصون في الصحة والصحة النفسية. يقول د. أسامه:

"عدد الشهداء بازدياد وأغلبها إصابات في الصدر والرأس. ويوجد إصابات في الأطراف تؤدي إلى الكسر والشلل الحتمي. يوجد حالات موت سريري.

.. أكثر الحالات التي نلاحظها فهي الصدمة والانهيار العصبي للأهالي في حالة استشهاد الزوج أو الابن...الخ

.. زوجات الشهداء يفقدن الوعي بعد الصدمة.
..أهالي الشهداء بعد وقوع الصدمة حصلت مشاكل نفسية ما أدى إلى تعاطيهم المهدئات والمسكنات وأحيانا المواد المخدرة حتى يظلوا فترة أطول في غياب عن الوعي.

.. إهمال النساء اللواتي يفقدن أزواجهن لصحتهن ويقل التردد للمراجعة".

تقول نهاية، ممرضة:

" أن نسبة النساء اللواتي يتوجهن للعيادة حوالي ٨٠٪ من المراجعين."

على حين تقول إلهام، وهي طبيبة بشرية:

"أحيانا لا يوجد مشاكل صحية لدى أولئك النساء ولكن ازداد الخروج من البيت للعيادة من أجل التفريغ وأيضا ازدادت نسبة النساء اللواتي يطلبن تنظيم الأسرة فعدد الطلبات ازدادت بنسبة ٣٠٪ ويعود السبب في ذلك لسوء الظروف الإقتصادية.

أيضا ازدادت نسبة النساء اللواتي يطلبن الإجهاض بنسبة ١٠٪ رغم الوازع الديني عند كثير من النساء إلا أن الزيادة في الطلب تعود إلى حاجتها للعمل لمواجهة الحياة ما يزيد من أعبائها والضغوطات عليها. بالإضافة إلى تعرض بعض النساء لحلف يمين الطلاق من قبل الزوج إذا لم تتخلص من الطفل."

عرفنا إذن أن النساء يلجأن إلى العيادات بحثا عن الدعم النفسي والفسيولوجي في محاولة لتخفيف المشكلات والإنتهاكات التي يواجهنها داخل العائلة. إن ارتفاع معدلات الإجهاض، كما ورد في روايات ممثلي مقدمي الخدمة، وارتفاع معدلات التهديد بالطلاق حين تكون النساء شديدات الاعتماد اقتصاديا على الزوج ورغبتهن العمل خارج المنزل. كلها أمور تستدعي دراسة جادة لإحتياجات النساء. إن تلك الأحوال يمكن أن تفاقم من ضعف وضع النساء وتزيد من تأثرهن بواقع القمع الداخلي/الأبوي والخارجي/السياسي على السواء.

إن اعتمادية النساء والقيم الإجتماعية الأبوية فاقمت من الشكاوى الصحية للنساء. لكن مشكلة الصحة لا يمكن فصلها عن الثقافة التمييزية الأبوية في مجال السياسة والاقتصاد.

كما سوف يتضح في الرواية التالية. تروي لنا رانيه، وهي عاملة صحية:

" في هذه الفترة ازداد عدد النساء اللواتي شكون من أوجاع الظهر والرقبة، كنا نقوم بعمل صورة أشعة لهن فكان لا يبدو أي مشاكل في العامود الفقري أو في الرقبة فكان السبب هو الضغط النفسي والقلق والتوتر التي عاشته النساء في مثل هذه الظروف العصيبة.

أيضا مطلوب من المرأة أن تكون مربية وزوجة وفي نفس الوقت مطلوب منها عدم الحمل فعلى سبيل المثال توجد امرأة تسكن في مخيم بلاطة وزوجها متزوج من أخرى ويسكن في إحدى بركسات الأغنام والأبقار وهذه المرأة عندها أربعة أطفال وعندما تأخذهم لزيارة أبيهم يمرضون ويتعرضون للرشوحات. مؤخرا طلب منها أن تأتي إلى البركس لكي يجامعها فرفضت فحلف عليها يمينا إذا لم تأت فإنه سيطلقها وعندما استجابت رغما عنها عادت ورائحتها عبق الحيوانات. وعندما عبرت عن مخاوفها من مرض أطفالها أجابها الزوج: سأرسل زوجتي الثانية لترعاهم."

كما أثر القمع والعنف المستند على النوع الإجتماعي أيضا على قدرة النساء على رعاية ومساعدة أطفالهن. يقول أحد المشرفين على الطب الوقائي:

"لاحظنا إهمال كبير من قبل النساء لمواعيد تطعيم أبنائهن وذلك للوضع الأمني والوضع الاقتصادي. في السابق كان هناك التزام كبير في المواعيد ولكن اليوم وبسبب عدم وجود الإستقرار وخوف النساء من الخروج"

الآن تلجأ النساء إلى الولادة المبكرة قبل الوقت المحدد وذلك خوفا من ظروف الإغلاق ومنع التجول. فمجرد دخول الأم شهرها يبدأ التوتر النفسي فتتجه للمستشفى لإجراء طلق اصطناعي للولادة المبكرة ما يعرض المرأة لمعاناة أكبر ولكن في نفس الوقت يسهل من عملية الخوف على الحواجز.

في القرى تزداد نسبة الولادة المبكرة بحوالي ٩٠٪ من الحالات بسبب خوفها من الولادة على الحواجز أو تعرضها للقتل أو الإصابة كما حدث مع حالات أخرى.

الدكتور نضال يقول: ألاحظ من خلال عملي ازدياد نسبة القلق والتوتر والإكتئاب لدى النساء غير المتزوجات وأحيانا كثيرة تلك الضغوطات تقودهم إلى طريق الخطأ وأشعر أنها زادت في هذه الفترة. أما بالنسبة للمرأة المتزوجة فقد لاحظت عدم قدرة المرأة على

الأداء الوظيفي اتجاه الزوج. وفي ظل غياب الزوج تتحمل المرأة كافة الأعباء. كذلك مع ازدياد نسبة البطالة تراجع دور الآباء في الإعالة مما قلل من نظرة الإحترام من قبل الأبناء للآباء".

أضاف الطبيب حول المعاناة التي تعيشها نساء الشهداء من حدوث الصدمة في البداية تؤدي في نهاية الأمر إلى انهيارات عصبية وأمراض نفسية على الرغم من أخذهن المهدئات والمسكنات.

سادساً: الشعور الدائم بالخوف وعدم الأمان

لقد حدثتنا النساء المشاركات عن الخوف والرعب الشديدين وعدم قدرتهن توقع ما سوف يحدث في اليوم التالي، وعدم استطاعتهن ضمان أمانهن وأمان أسرهن ولو ليوم واحد. بعضهن قلن أنهن يشعرن بخوف شديد وتبلد وإكتئاب. على حين قالت الأخريات أن الضغوط الإقتصادية والبطالة تسبب الكثير من الإحباط واليأس. البعض منهن شعر أنهن محظوظات بعد أن استمعن لقصص ومصائب الأخريات. تقول نهاد:

"عندما استشهد زوجي صار عندي انهيار أعصاب أشعر أن مصيبتي أفضل من مصيبة غيري على الرغم من أنني أشعر بمشاعر الضياع والتيه والتشرد وعدم وجود الأمان."

على حين شعرت أخريات بأنهن على شفا الجنون كما شعرن بالوهن الشديد نتيجة لعدم استطاعتهن حماية أطفالهن. تقول حلوة، والدة أحد الشهداء:

"مشاعر الجنون وعدم التصديق لما حصل، ومشاعر الانتقام، والخوف على الأولاد، حتى أنني أقضي معظم وقتي تائهة بالشوارع وعلى التربة. (المقبرة)."

كما تقول أم نوال أنها تبكي طوال الوقت نتيجة قلقها على حياة أبنائها:

" دائما أبكي لعدم شعوري بالأمان، والخوف على الأطفال، وأطلب الموت دائما"
' مشاعر الخوف على الأولاد لأن أولادي صاروا يبولوا تحتهم، ومشاعر التشتت لأنني بدون مأوى أستقر به."

وقد أثرت مخاوف النساء وعدم شعورهن بالأمان على كل أدوارهن النوعية والأسرية في المجتمع. يقول أحد الأطباء من مدينة نابلس:

"أكثر الحالات وصلتنا هي تردي الوضع الاقتصادي مما أدى إلى سوء العلاقات الأسرية، بالإضافة إلى مشاكل على الصعيد التوعوي لنساء البلدة القديمة فبعض النساء يتركن بيوتهن في الليل خوفا من قدوم الجيش وبعدن أثناء النهار يتفقدن بيوتهن."

سابعاً: مصادر القوة: كيف يتعاملن مع الواقع؟

تناولت المناقشات البؤرية أساليب النساء في التكيّف ومصدر قوتهن وتمكينهن والأساليب التي ينتهجنها ليواصلن الحياة في هذا الجو العنيف. ومن خلال المناقشة عرفنا أن النساء يستجمعن قواهن من دعم الأقارب وحب ورعاية الأصدقاء والتضامن الإجتماعي. ومن مجرد المعرفة بأن أبنائهن في صحة جيدة ومن قناعتهن بالقضية الفلسطينية ومن مصادر أخرى كثيرة. وبرغم غياب الأمان والعنف المستمر إلا أن النساء قلن ما يلي:

"أستمد قوتي عندما أرى أولادي سالمين حولي."

"بعد كل اجتياح عندما أطمئن على أولادي وأرى أنهم حولي وسالمين أشعر بالقوة. أيضا الذي يشعرني بالقوة هو عدالة قضيتنا التي يناضل شعبنا من أجلها."

"عندما أشعر أنني لا زلت صابرة وأتحمل أشعر أنني قوية. أيضا أنا كل يوم أنام في الليل عند أهلي وفي الصباح الباكر أعود إلى بيتي وأراجع المسؤولين من أجل إصلاحه والعودة إليه."

"أشعر بالقوة عندما أرى الخوف في عيون جنود الاحتلال. كذلك أشعر بالقوة عندما أبقى صامدة في بيتي. مهما فعلوا لن أترك بيتي."

"أشعر بالقوة عندما لا يكون زوجي في البيت وأشعر وقتها بالراحة وأن زوجي بأمان."

"القوة هي التضحية والمشاركة بالهم العام وحماية شباب وأبناء شعبنا."

"أشعر بالقوة عندما استدعي رب العالمين."

"أشعر بالقوة عند الاعتماد على رب العالمين."

ناقش مقدمو الخدمات الجهود التي يبذلوها من أجل مساعدة وتطوير قدرات النساء على التأقلم وتجاوز الصدمات المتكررة. من خلال تنسيق العمل بين مختف المنظمات، وتقسيم العمل وتبادل المعلومات والتخصص في شكل أو شكلين من أشكال المساعدة. يقول أحد العاملين في نابلس:

"ضوعف المشروع والعمل به مع زيادة عدد الموظفين وتوزيعهم على المناطق المختلفة والبعيدة لتسهيل العمل على الموظف وبسبب صعوبة الطرق. وأصلا حجم العمل ازداد على صعيد محلي ومؤسساتي من ثالث يوم في الإنتفاضة.

قمنا بعمل خطط للحالات الطارئة. بالإضافة إلى التنسيق والتشبيك مع المؤسسات والعمل المشترك وزيادة عدد المتطوعين.

قمنا بمساعدة عدد من الطالبات والطلاب في المدارس في دفع الأقساط بالإضافة إلى ذلك أنها تأتينا مساعدات من أهل الخير وأحيانا نجمع مساعدات مالية من أغنياء البلد فعلى سبيل المثال قمنا بمساعدة فتاة من مخيم عسكر بحاجة لعمل عملية في قرنية العين....الخ من المساعدات."

عل حين تقول سعاد، أخصائية اجتماعية من نابلس:

"أننا عملنا خط مجاني وخط اتبعني في البيت مدة ٢٤ ساعة متواصلة.. .. زيادة عدد المتطوعين.

العمل على إيجاد أطر داعمة في المناطق لمراقبة الوضع وللتنسيق مع الحالات.. .. عمل دورات تفريغ وتطوير مهني للموظفين."

ورغم ذلك فقد كان من الواضح أن مقدمي الخدمات أنفسهم متأثرون بدرجة كبيرة من هذا السياق الملىء بالفقدان والعنف. بعضهم قال أنه رغم كل الصعوبات إلا أنهم يكتسبون القوة من قدرتهم على المساعدة والمساهمة في دعم مجتمعاتهم في ذلك الوقت الصعب. على حين قال آخرون ان التعاون بين مختلف المنظمات يساعدهم. وذكر الباقون أهمية أن يكون للإنسان مصدر للدعم مثل الأصدقاء والأسرة. كذلك اتفقت النساء المشاركات على أهمية القيم والمعتقدات الدينية كمصدر للدعم. كما هو موضح في المقتطفات التالية المأخوذة عن عشرة من المشاركات:

"قناعتنا بهدفنا وعدالة قضيتنا وإيماننا بالخالق . بالإضافة إلى ارتياحي من عمل المؤسسات في هذه المرحلة فهي تخطو خطوات سريعة هذا سبب رئيسي أيضا في قوتي."

"كل يوم عندما أرى الشمس تشرق أشعر أنني قوية."

"الذي يشعرني بالقوة هو إحساسي بالمسؤولية. وهو بالتالي الخد تعود على اللطم كما يقولون. عندما أشعر بالضغط أسمع موسيقى أو أستمع إلى القرآن."

"الدعم المؤسسي من خلال تعاون الجميع فيما بينهم."

" يشعر الإنسان بالقوة عندما يمتلك أصدقاء يسمعون له ويخففون عنه وأنا كذلك"

"صمودنا في هذه المرحلة مهم"نحن في عنق الزجاجة" ووجود الحركة المجتمعية والتغيرات والمواضيع الجوهرية هذا كله يعطينا دفعة إلى الأمام وأيضا أستمد قوتي من الناس الأقوياء."

" قوتي تكمن من خلال تكاتف الشعب وتماسكه".

"وجود شخص يدعمني باستمرار هذا له كبير الأثر في قوتي ونجاحي في عملي يعطيني القوة أي الرضا بالإنجاز هو قوتي "

"التصميم يعطيني القوة والإرادة وشعوري أن الناس ترتاح عندما أقدم لهم أي خدمة هذا يريحني لأن هذا واجبي"

"الرجوع إلى الدين ولكن بعدم التقييد يعطيني قوة."

"التقييم العالي من قبل الحالات والناس التي أقوم بزيارتها يعطيني القوة بالإضافة إلى ارتياحي لتقديم الخدمة ومجرد دخولي إلى المنزل وسؤالهم عني وين أنت؟ هذا يشعرني بأنني أريد أن أقدم المزيد."

" تقييمي لذاتي وعمل استرخاء بشكل مستمر حتى أستطيع متابعة عملي في اليوم التالي"

"حب العمل وكسب الرزق يعطيني الأمان ويشعرني بالاستقلالي و هذا كله دافع لقوتي وأحيانا الصلاة وقراءة القرآن تدفعني إلى الأمام."

"عندما أكون في ضيق أتوجه لربي عسى أن يفقدني. وأيضا تفهم المسؤولين لمدى صعوبة عملنا يعطيني القوة

ثامناً: ماذا عن المستقبل؟

عبرت المشاركات من مقدمات مختلف الخدمات عن كثير من أوجه القلق والتساؤلات بشأن قدرتهن تقديم مستقبل أفضل سواء لأنفسهن أو لجمهورهن. وقد استندت مخاوفهن جزئا إلى ما يشعرن به من إحباط نتيجة عدم استطاعتهن تقديم المساعدة في الوقت المناسب، أو فشلهن في الوصول إلى المصابين في الوقت اللازم، أو مساعدة النساء في منازلهن أو إعطاء وقت كاف لكل واحدة منهن أو عدم امتلاكهن ما يكفي من الموارد للمساعدة، الخ. لقد كان المستقبل في علم الغيب تماما، وخاصة المستقبل القريب. إذ قالت واحدة منهن أنها غير قادرة على التخطيط لما سوف يحدث في الأسبوع التالي. في واحدة من المناقشات التي دارت في نابلس عبرت مدرسة من المشاركات في المناقشات البؤرية عن قلقها بشأن الأجيال القادمة، خاصة النساء منهن وخاصة في ضوء مختلف أشكال القمع التي ذكرت أعلاه. تقول سعاد:

"الطالبات هن أمهات المستقبل. وبالنسبة لطالبات التوجيهي فالمستقبل عندهن مبهم وغير واضح ومجهول ولا يوجد رؤيا مستقبلية"

كان موقف النساء المشاركات من المستقبل موقفا مركبا للغاية. من ناحية كان من الواضح أن النساء غير قادرات على التخطيط للمستقبل، أو الاستثمار في تعليم أنفسهن أو تعليم أبنائهن كما كان ربطهن بين مستقبلهن وبين مستقبل فلسطين واضحا. على سبيل المثال تقول أم جمال:

' المستقبل مجهول وإن شاء الله مستقبل أولادنا أحسن ولا نعرف ماذا يخبيء لنا المستقبل."

على حين قالت أم مصطفى والكثير من النساء المحبطات بها:

'المستقبل عندي أن تتحرر فلسطين '

'المستقبل هو هداة البال. '

'أن يخرج اليهود من عندنا. '

'نريد دولة والقدس عاصمة لها. '

'أريد أن تتغير الحياة وتتحرر فلسطين. '

'أن تصير لنا دولة ويصير أمان واطمئنان. '

'اللي ما استطعنا تحقيقه أن يحققه أبنائنا ونعيش بأمان '

'هداة البال والإستقرار وعدم التشتت."

'المستقبل يعني الأمان وهداة البال ورفع علم فلسطين '

'لا نريد غنى فقط نريد أمان وإستقرار '

الخلاصـــــــة

نحن نتصور أن الشعور الذي يعيش به الفلسطينيون. وهو توقع الأسوأ دائما. قد ساعد في بناء إستراتيجيات النساء للتكيف. كما تقول أم محمود: "نحن نتوقع الأسوأ منهم (قوات الإحتلال) لكن شيئا لن يجبرنا على أن نترك منازلنا. إن الموت هنا أفضل من أن نصبح لاجئين مرة أخرى". من هنا فإن الدراسة الفلسطينية. إذا ما قورنت بالوضع في زغرب (انظر أرسيل لبيي. ١٩٩٤) تشير إلى ان الفلسطينيين يتوقعون المصائب والمشكلات. كما أن عنصر "توقع نسبي للأحداث" أقل منه لديهم عنه في أي حرب أخرى. إن هذه القدرة النسبية على التوقع تساعد في تقليل الضغط النفسي والإجهاد النفسي وتساهم في بلورة آليات تكيف ملائمة وبالتالي يترتب عليها تبعات نفسية أقل.

لقد أوضحت كلا من اللقاءات الجماعية وتحليل المضمون للمقابلات الفردية أن هناك ظواهر معينة مرتبطة بالإطار السياسي الخاص بالصراع السياسي تؤثر بشكل عميق على قدرة النساء على التعامل مع العنف اليومي والتهديد المستمر أثناء الإنتفاضة. تلك الظواهر تضمنت أمورا مثل: الإنفصال الجسدي بين أفراد الأسرة والذي يحدث إما لعدم القدرة على الإنتقال من قرية إلى أخرى أو من منطقة إلى أخرى أو بسبب إعتقال أو الدخول إلى المستشفى أو إصابة بعض أفراد الأسرة. إن مثل هذا الإنفصال في مجتمع مبني على الشعور بالانتماء إلى الجماعة ودعم ومساعدة العائلة الممتدة قد أثر بالضرورة على مشاعر الأمان لدى أفراد الأسرة. وحال دون إستعدادهم للانفتاح في التواصل بشأن مخاوفهم أو أي مشاعر أخرى مرتبطة بذلك. مثل انتقال الإحساس بالفقدان من جيل لآخر أو قيام الأطفال بدور الوالدية أو التغيير المفاجئ في الأدوار والتراتبية الهرمية داخل العائلة.

كذلك. وكما ورد على لسان مقدمات الخدمة والمشاركات على حد سواء. فإن الأدوار المرتبطة بالنوع الإجتماعي قد تأثرت واختلطت بشدة. في بعض الحالات كان المتوقع من النساء ان يكن ضمن الصفوف القتالية الأمامية مع الجنود ليوفرن الحماية للرجال من إعتقال والإهانة والتعذيب والانتهاك أو القتل.

إن قدرة الفتيات والنساء على الحركة والمساعدة في تنظيم المجتمع المحلي أو المقاومة المحلية جعلتهن متساويات إن لم يكن أقوى من الرجال. وساعدهن على الشعور بالقوة والفائدة في تلك الحالة من الفوضى العارمة. وفي حالات أخرى كانت النساء مقيدات في حركتهن. فانتهى الأمر بالفتيات إلى ترك المدارس نتيجة للصعوبات والتحرشات التي تعرضن لها في محاولتهن الوصول إلى المدرسة. أو أنهن تركن المدرسة من باب اليأس والشعور بالعجز. إن فقدان دعم الأسرة الممتدة وعدم القدرة على زيارة الأقارب أو المساعدة أو تقديم الحب لأفراد الأسرة المصابين أو المتعرضين للعنف. إضافة إلى القيود المفروضة على الحركة وغياب الموارد الإقتصادية اللازمة للحياة. كل ذلك أثر سلبيا على الفلسطينيين عموما وعلى النساء الفلسطينيات على وجه الخصوص.

كذلك فإن العنف السياسي قد امتد ليصل إلى داخل المنازل. فقد عبرت النساء بأن آبائهن وإخوانهن وأزواجهن قد أضحوا أكثر عدوانية وأكثر توترا إذ أصبحوا يعيشون في حالة من الترقب المستمر. فالرجال لم يعتادوا المكوث في المنزل لأوقات طويلة ولم يعتادوا التعامل مع إحتياجات الأطفال أو بكائهم أو صراخهم. الخ كما أن غياب الدخل المادي والبطالة أثرا على منزلة الرجال في الأسرة والمجتمع. كل ذلك زاد من شعور الرجال بالإحباط ومن ثم أصبحت النساء هن كبش الفداء لتفريغ سخط الرجال وإحباطهم. أن هذا العنف السياسي الخارجي الممثل في العدو السياسي إضافة إلى العنف الداخلي الممثل في النظام الأبوي وما يحمله من قيم. كلاهما وضع النساء في حالة دقيقة ومرهقة للغاية.

ويبقى السؤال قائما: هل يمكن للمشروعات النفسية والإجتماعية أن تساعد على بناء ليس فقط الجسور النفسية وإنما أيضا الجسور الإجتماعية والثقافية لدعم الشعور بالجماعة والاستمرارية؟ هل يمكن للتدخل النفس اجتماعي أن يحول دون الفوضى وانتهاك حقوق الإنسان من قبل كل من العدو الخارجي والقوى الداخلية القمعية؟

نحن نعتقد أن الحاجة لأن نتعلم أكثر وأن نتدخل أكثر تقودنا إلى بلورة أشكال مختلفة من أساليب التدخل النفس- اجتماعي بهدف التمكين العاطفي والمساعدة على التكيّف الإجتماعي. من خلال تقديم مساعدات محددة وعملية في مجال رعاية الطفل وتفقد آثار أفراد الأسرة المفقودين. ومتابعة أفراد الأسرة المعتقلين وتقديم الدعم التعليمي والمنح الدراسية للطلاب. الخ. كذلك من خلال المشاركة في مجموعات عمل ذات مهام محددة مثل المجموعات التعليمية. مجموعات أشغال الإبرة. الأنشطة المدرة للدخل. تدريب العاملين. وتنظيم الأنشطة الترفيهية وما أشبه. كلها تدخلات يمكن أن تعيد الشعور بالحب والدعم. كما ان هناك من الطرق ما قد يقدم الدعم وفي نفس الوقت يقلل الشعور بالضغط النفسي والتوتر. مثل مجموعات التفاعل النفسي كمجموعات مساعدة الذات. مجموعات الناجين من الصدمة. مجموعات الشهادات. ومجموعات الدعم النفسي سواء على المستوى الفردي أو الأسري أو الجماعة (بالتركيز على الحاضر والمشكلات التي تواجهها النساء بشكل مباشر). إضافة إلى العلاج النفسي المركز مع الأفراد والأسرة والمجموعات والذي يتناول بشكل خاص الآليات النفسية للتعامل مع الصدمات.

★ ★ ★ ★ ★

الفصل الثالث

تحليل المعلومات الإحصائية

د. إلياس ضبيط

١. البيانات الديمغرافية

المشاركات كن جميعا فلسطينيات وعددهن ٣٠١ امرأة. ٦٧٪ متزوجات، ١٣٪ غير متزوجات وحوالي ١٦٪ أرامل (جدول رقم ١). وحيث أردنا أن نجمع بياناتنا من مناطق فلسطينية جغرافية مختلفة فقد اخترنا ١٠٠ مشاركة من البلدة القديمة في نابلس ومخيم جنين و١٠١ من قرية في بيت لحم.(جدول ٢). ٦٥٪ من المشاركات حصلن على تسع سنوات من الدراسة. ٢٤٪ حصلن على ما يتراوح بين ١٠ و ١٢ سنة من الدراسة والباقيات تراوحت سنوات دراستهن بين ١٣ و ١٦ سنة (جدول ٣). الغالبية العظمى من النساء المشاركات (٩١٪) لا يعملن بأجر وقت عمل الدراسة (جدول ٤). أما فيما يتعلق بالمستوى الاقتصادي فإن النساء متساويات تقريبا بين من يعانين من فقر اقتصادي أو فقر اقتصادي شديد (٤٩٪) ومن يعانين من يعشن وضع اقتصادي متوسط (٤٥٪). من ناحية أخرى فإن ٧٪ منهن اعتبرن أن وضعهن الاقتصادي جيد (جدول ٥). أكثر من ٥٠٪ من المشاركات جزءاً من أسر كبيرة العدد يتراوح عددها بين ٦ و ١٠ أفراد. و٣٦٪ من النساء كانت أسرهن تتراوح بين فرد و خمسة أفراد (جدول ٦).

جدول رقم ١: الحالة الإجتماعية

الحالة الإجتماعية	العدد	٪
متزوجة	٢٠٢	٦٧,٣
غير مرتبطة	٤٠	١٣,٣
مطلقة	٥	١,٧
أرملة	٤٩	١٦,٣
مخطوبة أو فقدت خطيبها	٤	١,٣
الإجمالي	**٣٠٠**	**١٠٠**

جدول رقم ٢: محل الإقامة

مقر الإقامة	العدد	٪
مدينة (نابلس)	١٠٠	٣٣,٢
قرية (بيت لحم)	١٠١	٣٣,٦
مخيم (جنين)	١٠٠	٣٣,٢
الإجمالي	**٣٠١**	**١٠٠**

جدول رقم ٣: سنوات الدراسة

عدد سنوات الدراسة	العدد	٪
١-٦ سنوات	١٠٣	٣٥,٠
٧ - ٩ سنوات	٨٨	٢٩,٩
١٠ - ١٢ سنة	٦٩	٢٣,٥
١٣ - ١٦ سنة	٣١	١٠,٥
١٧ - ٢٠ سنة	٣	١,٠
إجمالي	**٢٩٤**	**١٠٠**

جدول رقم ٤: العمل

العمل	العدد	٪
تعمل بأجر	١٨	٦
لا تعمل بأجر	٢٨٣	٩٤,٠
الإجمالي	**٣٠١**	**١٠٠**

جدول رقم ٥: الحالة الإقتصادية

الحالة الإقتصادية	العدد	٪
فقيرة/فقيرة جدا	١٤٢	٤٨,٩
متوسطة	١٢٩	٤٤,٥
جيدة	١٩	٦,٦
الإجمالي	**٣٠١**	**١٠٠**

جدول رقم ٦: عدد أفراد الأسرة

عدد أفراد الأسرة	العدد	٪
١ - ٥ أفراد	١٠٨	٣٥,٩
٦ - ١٠ فرد	١٦٤	٥٤,٥
١١ - ١٥ فرد	١٩	٦,٣
أكثر من ١٦ فرد	١٠	٣,٣
إجمالي	**٣٠١**	**١٠٠**

٢. النساء كضحايا

كل النساء تقريبا (٩٩٪) كن ضحايا لأذىً مباشر مادي أو معنوي أثناء الإنتفاضة الحالية (جدول ٧) حين طلبنا منهن تقدير درجة الأذى التي تعرضت له أسرهن. قدرت ٧٩٪ منهن أن الأذى كان بالغا، و٢٠٪ أن الأذى كان متوسطا والباقيات قلن أن درجة الأذى كانت منخفضة (جدول ٨). وقد رتبت النساء أنواع الأذى كما يلي بداية من أكثرها انتشارا إلى أقلها انتشارا: تدمير المنازل (٤٩٪). اعتقال أحد أفراد الأسرة (٢٨٪). الإعاقة الجسدية لأحد أفراد الأسرة (١٣٪) وفقدان أحد أفراد الأسرة نتيجة قتله بواسطة الإسرائيليين (١٠٪) (جدول ٩).

جدول رقم ٧: ضحية أذى مباشر

هل كنتِ ضحية أذىً مباشر؟	العدد	٪
نعم	٢٩٥	٩٩
لا	٣	١
إجمالي	**٢٩٨**	**١٠٠**

جدول رقم ٨: درجة الضرر

درجة الضرر	العدد	٪
شديدة	٢٢٨	٧٩,٢
متوسطة	٥٨	٢٠,١
منخفضة	٢	٠,٧
الإجمالي	**٢٨٨**	**١٠٠**

جدول رقم ٩: طبيعة الإذى

طبيعة الأذى	العدد	٪
تدمير المنازل	٢٣٠	٤٨,٥
فقدان فرد/أفراد من الأسرة	٤٨	١٠,١
اعتقال فرد/أفراد من الأسرة	١٣٣	٢٨,١
إعاقة جسدية دائمة	٦٣	١٣,٣
الإجمالي	**٤٧٤**	**١٠٠**

٣. الدعم الإجتماعي

وافقت أكثر من ٧٥٪ من المشاركات على أن الدعم الإجتماعي يخفف من حدة المشكلات والكوارث. (جدول ١٠). حين سألنا المشاركات عما إذا كن مررن بخبرات احتجن فيها دعما اجتماعيا، أكدت أكثر من ٧٥٪ منهن أنهن كن في حاجة لذلك في كثير من المرات، على حين قالت ٢٠٪ منهن انهن شعرن بذلك أحيانا (جدول ١١). على المستوى الفعلي قالت ١٨٤ امرأة (٦٠٪) أنهن حصلن على دعم ومساعدة. (جدول ١٢). حين سألناهن عن مستوى الدعم الذي حصلن عليه، قالت أكثر من ٥٠٪ منهن أن الدعم الذي حصلن عليه كان جيدا أو أكثر من جيد. وقالت ٤٥٪ من النساء أنه كان مفيد بدرجة ما على حين قالت ٢٪ منهن أن الدعم الذي حصلن عليه لم يكن مفيدا. ٦٤٪ من النساء حصلن على ذلك الدعم من الأسرة والأقارب. و١٩٪ حصلن عليه من الاصدقاء والجيران أما الباقيات (١٧٪) فحصلن عليه من المؤسسات بما فيها المؤسسات الدينية والسياسية والنسوية (جدول ١٤).

جدول رقم ١٠: الدعم الإجتماعي يخفف من وقع الكوارث على الناس

الدعم يخفف الكوارث	العدد	٪
أوافق تماما	٣٨	١٢,٨
أوافق	٤٧	١٥,٨
أوافق نوعا ما	١٣٨	٤٦,٥
لا أوافق بالمرة	٧٤	٢٤,٩
الإجمالي	**٢٩٧**	**١٠٠**

جدول رقم ١١: مرت بي ظروف احتجت فيها للدعم الإجتماعي

ظروف احتجت فيها للدعم الإجتماعي	العدد	٪
مرات كثيرة	٢٢٤	٧٥,٤
أحيانا	٦٠	٢٠,٢
لم يحدث	١٣	٤,٤
الإجمالي	**٢٩٧**	**١٠٠**

جدول رقم ١٢: حصلت على الدعم الإجتماعي

حصلت على الدعم الإجتماعي	العدد	٪
نعم	١٥٧	٥٢,٢
أحيانا	٢٧	٩
لم يحدث	١١٧	٣٨,٨
الإجمالي	**٣٠١**	**١٠٠**

جدول رقم ١٣: مستوى الدعم الإجتماعي المقدم

مستوى الدعم	العدد	٪
جيد جدا	٤٤	٢٣,٩
جيد/مفيد	٥٣	٢٨,٨
جيد/مفيد نوعا ما	٨٤	٤٥,٧
غير مفيد	٣	١,٦
الإجمالي	**١٨٤**	**١٠٠**

جدول رقم ١٤: مصدر الدعم الإجتماعي

مصدر الدعم الإجتماعي	العدد	٪
الأسرة والأقارب	١١٦	٦٣,٧
الأصدقاء والجيران	٣٥	١٩,٢
المؤسسات	٣١	١٧
الإجمالي	**١٨٢**	**١٠٠**

٤. العنف المرتبط بالنوع الإجتماعي

الغالبية العظمى من النساء المشاركات في الدراسة (٨٧٪) اعترضن على أن في الضرب تعليم للنساء (جدول رقم ١٥). أردنا أن نكوّن صورة عن مدى انتشار العنف ضد النساء في المجتمع الفلسطيني فسألنا المشاركات أن يحددن معدل انتشاره بتحديد نسبة عدد المنازل من كل ١٠ منازل التي يعلمن أن بها نساء تعرضن للإهانة أو سوء المعاملة. ٢٣٪ من النساء قلن أن النساء يتعرضن للعنف في ١ - ٣ منازل من كل ١٠. ١٨٪ منهن كن على علم بأن ذلك يحدث فيما يتراوح بين ٤ - ٦ منازل من كل ١٠ و١٢٪ حددن النسبة بـ٧-١٠ منازل من كل ١٠ منازل. (جدول رقم ١٦). أما عن تأثير الإنتفاضة على معدلات زيادة العنف ضد النساء فقد أشارت البيانات أن ٣٠٪ من المشاركات يعتقدن أن العنف النفسي والعاطفي ارتفع أثناء الإنتفاضة. ٢٥٪ منهن رأين ان العنف الجنسي قد ازداد و٢٣٪ رأين أن العنف الجسدي قد ازداد. أما الباقيات (١٩٪) فقلن أن اغتصاب النساء قد زاد أثناء الإنتفاضة (جدول ١٧).

جدول رقم ١٥: في الضرب تعليم للنساء

في الضرب تعليم للنساء	العدد	٪
نعم	٤٠	١٣,٣
لا	٢٦١	٨٦,٧
الإجمالي	**٣٠١**	**١٠٠**

جدول رقم ١٦: عدد المنازل التي تتعرض فيها النساء للعنف

عدد المنازل من كل ١٠ منازل	العدد	٪
١ – ٣	٦٨	٤٣,٦
٤ – ٦	٥٢	٣٣,٣
٧ – ١٠	٣٦	٢٣,١
الإجمالي	**١٥٦**	**١٠٠**

٤٧٪ من المشاركات الـ ٣٠١ لم تكن لديهن معلومات

جدول رقم ١٧: أشكال العنف التي زاد انتشارها أثناء الإنتفاضة

العنف	العدد	٪
جسدي	١٦٩	٢٣,٤
نفسي وعاطفي	٢٣٤	٣٢,٥
تحرش جنسي	١٨١	٢٥,١
عنف جنسي (اغتصاب)	١٣٧	١٩
الإجمالي	**٧٢١**	**١٠٠**

٥. القدرة على التكيّف

في هذا السياق اختبرنا قدرة المشاركات على التكيّف مع الوضع الحالي ومدى استمرار حياتهن على ما هي عليه قبل الإنتفاضة. حوالي ٦٥٪ من المشاركات كن غير قادرات على الحياة بشكل طبيعي (جدول ١٨).

من بين من قلن أنهن مستمرات في حياتهن الطبيعية . اعتمدت ٩٠٪ منهن استراتيجية استكمال نمط الحياة الطبيعي مع توجيه مزيد من الدعم لأفراد أسرهن. حوالي ٨٠٪ منهن تبنين استراتيجية أن الوضع سوف يتغير وأن لهن الحق في بلادهن. حوالي ٧٥٪ تبنين استراتيجية انه عليهن أن يعشن حياتهن مثل الأخريات واستخدمن معتقداتهن الدينية في التعامل مع صدمات الفقدان. كذلك، فإن حوالي ٥٥٪ شاركن في أنشطة اجتماعية لتساعدهن على التكيّف مع الفقدان (جدول ١٩).

أما النساء اللواتي قلن أنهن غير قادرات على عيش حياة طبيعية فإن ٥٧٪ منهن يشعرن بعدم القدرة عموما. ٥٣٪ يشعرن أنهن غير قادرات على ممارسة أنشطتهن اليومية وما يزيد عن ٤٥٪ منهن قلن أنهن يشعرن باليأس (جدول ٢٠).

جدول رقم ١٨: القدرة على الإستمرار

القدرة على الاستمرار	العدد	٪
نعم	١٠٧	٣٥,٧
لا	١٩٣	٦٤,٣
إجمالي	**٣٠٠**	**١٠٠**

جدول رقم ١٩: إستراتيجيات التكيّف

إستراتيجيات التكيّف	العدد	٪
تعيش حياة عادية	٩٧	٩٣,٣
تساعد أفراد الأسرة	٩٧	٩٣,٣
تعتقد أن الظروف سوف تتغير	٨٥	٨١,٧
تعتفد ان الأرض من حقنا	٨٤	٨٠,٨
تعيش كالآخرين	٨٢	٧٨,٨
تستخدم معتقداتها الدينية	٨٠	٧٦,٩
تشارك في أنشطة اجتماعية	٦٠	٥٧,٧
إجمالي	**٣٠١**	**١٠٠**

جدول رقم ٢٠: أشكال عدم المقدرة

الشكل	التكرار	النسبة المئوية
عدم المقدرة بشكل عام	١٧١	٥٧,٠
عدم المقدرة للقيام بالأنشطة اليومية	١٦٠	٥٣,٠
العجز الكامل	**١٤٢**	**٤٧,٠**

تـحـلـيـل χ^2 (١)

في محاولة لفهم الترابط بين العنف المستند إلى النوع الإجتماعي من ناحية والمتغيرات الديمغرافية من ناحية أخرى درسنا المتغيرات المرتبطة بغيرها في الاستبيان كما في الأسئلة ٥٨-٦١، ٧٨-٨٣، ٨٥-٩١ والمتغيرات الديمغرافية مثل: الوضع الإجتماعي ومكان الإقامة والسن والحالة الإجتماعية وسنوات الدراسة. فقمنا بتطبيق اختبار χ^2 ووجدنا العلاقات الدالية التالية:

١. كان هناك ارتباط بين الحرمان من إتمام الدراسة ومكان الإقامة (χ^2 (٤) = ١٢,٨٥، الدلالة الإحصائية ١٢٠,٠). ٧١٪ من المشاركات من المدنية يعتقدن أن الإنتفاضة حرمت الفتيات من إتمام دراستهن بالمقارنة بـ ٦٦٪ من المشاركات من القرية و٤٩٪ من مشاركات المخيم (انظر الجدول أدناه)

٪ تبعا لمكان الإقامة

الحرمان من استكمال الدراسة	مكان الإقامة			إجمالي
	المدينة	القرية	المخيم	
لا	٢٦	٢٨	٤٠	٣١,٣
نعم	٧١	٦٦	٤٩	٦٢
لا أعرف	٣	٦	١١	٦,٧
إجمالي	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

٢. الإجبار على الزواج المبكر ارتبط ارتباطا ذي دلالة إحصائية مع مكان الإقامة. (χ^2 (٤) = ٢٥,٣٦. معامل الدلالة الإحصائية (٠,٠٠٠٥). ٨٢,٩٪ من المبحوثات في المدينة يعتقدن ان الإنتفاضة مسئولة عن فرض الزواج المبكر على الفتيات بالمقارنة بـ ٥٧,٦٪ من المبحوثات في القرية و٥٨,٢٪ من المبحوثات في المخيم (انظر الجدول أدناه)

٪ تبعا لمكان الإقامة

الإجبار على الزواج المبكر	مكان الإقامة			إجمالي
	المدينة	القرية	المخيم	
لا	١٢,٢	١٦,٩	٣٧,٣	٢٤
نعم	٨٢,٩	٥٧,٦	٥٨,٢	٦٤,١
لا أعرف	٤,٩	٢٥,٤	٤,٥	١٢
إجمالي	**١٠٠**	**١٠٠**	**١٠٠**	**١٠٠**

٣. كذلك ارتبط الإجبار على الزواج المبكر بعدد سنوات الدراسة (χ^2 (٨) = ١٩,٠٥، الدلالة الإحصائية ٠,٠١٥). ٨٦٪ من المشاركات اللاتي أمضين من ١ إلى ٦ سنوات في الدراسة يعتقدن أن الإنتفاضة مسئولة عن فرض الزواج المبكر على الفتيات. وذلك بالمقارنة بـ ٧٠,٩٪ من الحاصلات على ٧-٩ سنوات من الدراسة، و٥٧,٩٪ من الحاصلات على ١٠-١٢ سنة من الدراسة و٦٣,٢٪ من الحاصلات على ١٣-١٦ سنة من الدراسة (انظر الجدول أدناه)

٪ تبعا لسنوات الدراسة

الإجبار على الزواج المبكر	سنوات الدراسة					إجمالي
	١ - ٦	٧ - ٩	١٠ - ١٢	١٣ - ١٦	١٧ - ٢٠	
نعم	٣٢	١٨,٢	١٨,٤	٢٦,٣	٥٠	٢٣,٨
لا	٦٨	٧٠,٩	٥٧,٩	٦٣,٢		٦٥,٢
لا أعرف		١٠,٩	٢٣,٧	١٠,٥	٥٠	١١
إجمالي	**١٠٠**	**١٠٠**	**١٠٠**	**١٠٠**	**١٠٠**	**١٠٠**

٤. ممارسة العنف من الرجال أوضحت علاقة دالة إحصائيا مع مكان الإقامة (χ^2 (٤) = ١١,٦٣، الدلالة الإحصائية ٠,٠٢٠). حيث اعتقدت ٧٧,٢٪ من مبحوثات المدينة أن الإنتفاضة مسئولة عن ارتفاع معدل عنف الرجال، مقارنة بـ ٦٩,٤٪ من مبحوثات القرية و٨٩٪ من مبحوثات المخيم (انظر الجدول أدناه).

٪ تبعا لمكان الإقامة

الزيادة في عنف الرجال	مكان الإقامة			إجمالي
	بيت لحم	جنين	نابلس	
لا	١١,٩	١٦,٣	٥	١١
نعم	٧٧,٢	٦٩,٤	٨٩	٧٨,٦
لا أعرف	١٠,٩	١٤,٣	٦	١٠,٤
إجمالي	**١٠٠**	**١٠٠**	**١٠٠**	**١٠٠**

٥. كما ارتبط الخوف من سوء المعاملة الجنسية من الفلسطينيين هو الآخر بمكان الإقامة. (χ^2 (٤) = ٣٤,٩٥، الدلالة الإحصائية (٠,٠٠٠٥). ٧٧,٢٪ من المشاركات من المدنية اعتقدن ان الإنتفاضة مسئولة عن زيادة الخوف من سوء المعاملة الجنسية من الفلسطينيين وذلك بالمقارنة بـ ٤٦٪ من المشاركات من القرية و ٦٩,٧٪ من المشاركات من المخيم (انظر الجدول أدناه)

٪ تبعا لمكان الإقامة

زيادة الخوف من الانتهاك الجنسي من الفلسطينيين	مكان الإقامة			إجمالي
	بيت لحم	جنين	نابلس	
لا	١٦,٨	٤١	١٢,١	٢٣,٣
نعم	٧٧,٢	٤٦	٦٩,٧	٦٤,٣
لا أعرف	٥,٩	١٣	١٨,٢	١٢,٣
إجمالي	**١٠٠**	**١٠٠**	**١٠٠**	**١٠٠**

٦. كما ارتبط الخوف من سؤ المعاملة الجنسية أيضا بعدد سنوات الدراسة (χ^2 (٨) = ١٩,٧٦، الدلالة الإحصائية (٠,٠١١). ٦٦,٧٪ من الحاصلات على ١-٦ سنة دراسية يعتقدن أن الإنتفاضة مسئولة عن ارتفاع معدلات الخوف من سوء المعاملة الجنسية وذلك

بالمقارنة بـ ٦٨,٢٪ من الحاصلات على ٧-٩ سنة دراسية، ٥٣,٦٪ من الحاصلات على ١٠-١٢ سنة دراسية و ٦٤,٥٪ من الحاصلات على ١٣-١٦ سنة دراسية و٦٦,٧٪ من الحاصلات على ١٧-٢٠ سنة دراسية (انظر الجدول أدناه)

٪ تبعا لسنوات الدراسة

زيادة الخوف من الانتهاك الجنسي من الفلسطينيين	سنوات الدراسة					إجمالي
				[redacted]	[redacted]	
	١-٦	٧-٩	١٠-١٢	١٣-١٦	١٧-٢٠	
لا	١٦,٧	١٧	٣٧,٧	٣٥,٥	٣٣,٣	٢٣,٩
نعم	٦٦,٧	٦٨,٢	٥٣,٦	٦٤,٥	٦٦,٧	٦٣,٨
لا أعرف	١٦,٧	١٤,٨	٨,٧	١٠,٥	٥٠	١٢,٣
إجمالي	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

٧. ارتفاع معدلات قتل النساء أو جرائم الشرف ارتبط ارتباطا ذا دلالة إحصائية بمكان الإقامة (χ^2 (٤) = ٢٧,١٩ ، الدلالة الإحصائية ‹٠,٠٠٠٥). ٢٧٪ من مبحوثات المدينة يعتقدن أن الإنتفاضة تسببت في ارتفاع معدلات قتل النساء. وذلك بالمقارنة بـ ١٩,٢٪ من مبحوثات القرية و١٥٪ من المشاركات من المخيم (انظر الجدول أدناه

٪ تبعا لمكان الإقامة

زيادة جرائم قتل النساء أو جرائم الشرف	مكان الإقامة			إجمالي
	المدينة	القرية	المخيم	
لا	١٩	٥١,٥	٤٧	٣٩,١
نعم	٢٧	١٩,٢	١٥	٢٠,٤
لا أعرف	٥٤	٢٩,٣	٣٨	٤٠,٥
إجمالي	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

٨. إرتفاع معدلات تحـرر المـرأة وزيادة المســاواة مع الرجل أظهرت ارتباطا مع مكان الإقامة (χ٢ (٤) = ٢٥,٤٧. الدلالة الإحصائية ٠,٠٠٠٥). ٧١,٤٪ من مبحوثات المدينة يعتقدن أن الإنتفاضة مسئولة عن زيادة تحرر المرأة والمساواة بالرجل وذلك بالمقارنة بـ ٣٦,٤٪ من مبحوثات القرية و٥٣,٥٪ من مبحوثات المخيم (انظر الجدول أدناه)

٪ تبعا لمكان الإقامة

تقدم في تحرير المرأة والمساواة مع الرجل	مكان الإقامة			إجمالي
	المدينة	القرية	المخيم	
لا	٢٤,٥	٥٢,٥	٣٥,٤	٣٧,٥
نعم	٧١,٤	٣٦,٤	٥٣,٥	٥٣,٧
لا أعرف	٤,١	١١,١	١١,١	٨,٨
إجمالي	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

٩ ارتفاع معـدلات تحـرر المـرأة وزيادة المســاواة مع الرجل أظهرت ارتباطا مع سنوات الدراسة (χ٢ (٨) = ١٨,٣٨. الدلالة الإحصائية ٠,٠١٩). ٦٥,٧٪ من النساء الحاصلات على ١-٦ سنوات دراسية يعتقدن أن الإنتفاضة مسئولة عن زيادة تحرر المرأة والمساواة مع الرجل بالمقارنة بـ ٥٠,٦٪ من النساء الحاصلات على ٧-٩ سنوات دراسية و٤٧,١٪ من النساء الحاصلات على ١٠-١٢ سنة دراسية و٤٠٪ من النساء الحاصلات على ١٣-١٦ سنة دراسية و٦٦,٧٪ من الحاصلات على ١٧-٢٠ سنة دراسية (انظر الجدول أدناه).

٪ تبعا لسنوات الدراسة

تقدم في تحرير المرأة والمساواة مع الرجل	سنوات الدراسة					إجمالي
	١-٦	٧-٩	١٠-١٢	١٣-١٦	١٧-٢٠	
نعم	٢٦,٥	٣٩,١	٥٠	٥٠	٥٠	٣٧,٩
لا	٦٥,٧	٥٠,٦	٤٧,١	٤٠	٦٦,٧	٥٤,١
لا أعرف	٧,٨	١٠,٣	٢,٩	١٠	٢٣,٣	٧,٩
إجمالي	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

١٠. كذلك ارتبطت الزيادة في تحرر المرأة والمساواة مع الرجل بسن المبحوثات. (χ^2 (٤) = ٢١,٠٣، الدلالة الإحصائية ٠,٠٠٢). ٣٨,٦٪ من المشاركات ما بين ١٨–٢٨ سنة يعتقدن أن هناك زيادة في تحرر المرأة والمساواة بالرجل مقارنة بـ ٥٢,٥٪ من المشاركات ما بين ٢٩–٣٩ سنة، و٦٦,٧٪ من المشاركات ما بين ٤٠–٥٠ سنة و٦٠٪ في المرحلة العمرية ٥١ سنة فما فوق (انظر الجدول أدناه).

٪ تبعا للمرحلة العمرية للمشاركات

تقدم في تحرير المرأة والمساواة مع الرجل	سنوات الدراسة				إجمالي
	١٨ – ٢٨	٢٩ – ٣٩	٤٠ – ٥٠	٥٠ +	
لا	٥٣	٤١,٣	٢٧,٥	٢٤,٦	٣٧,٧
نعم	٣٨,٦	٥٢,٥	٦٦,٧	٦٠	٥٣,٥
لا أعرف	٨,٤	٦,٣	٥,٨	١٥,٤	٨,٨
إجمالي	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

١١. زيادة معدلات عمل المرأة خارج المنزل ارتبطت بمكان الإقامة. ($\chi^2(4) = 7.90, p < .095$) ٩٤٪ من مبحوثات المدينة يعتقدن أن الإنتفاضة تسببت في زيادة عمل المرأة خارج المنزل وذلك بالمقارنة بـ ٨٥,٧٪ من مبحوثات القرية و ٨٢,٧٪ من مبحوثات المخيم (انظر الجدول أدناه).

٪ تبعا لمكان الإقامة

زيادة في معدلات عمل المرأة خارج المنزل	مكان الإقامة			إجمالي
	المدينة	القرية	المخيم	
لا	٤	٨,٢	١٣,٣	٨,٤
نعم	٩٤	٨٥,٧	٨٢,٧	٨٧,٥
لا أعرف	٢	٦,١	٤,١	٤,١
إجمالي	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

١٢. زيادة ممارسة العنف من النساء ضد الرجال ارتبطت بمكان الإقامة $(\chi^2(4) = 19.91, p < .001)$. ٧٣,٧٪ من المشاركات من المدنية يعتقدن أن الإنتفاضة مسئولة عن ارتفاع معدل عنف النساء ضد الرجال، وذلك بالمقارنة بـ ٥٧,١٪ من المشاركات من القرية و ٤٨٪ من المشاركات من المخيم (انظر الجدول أدناه).

٪ تبعا لمكان الإقامة

زيادة في عنف النساء ضد الرجال	مكان الإقامة			إجمالي
	المدينة	القرية	المخيم	
لا	١٥,٢	٣٣,٧	٤٤	٣١
نعم	٧٣,٧	٥٧,١	٤٨	٥٩,٦
لا أعرف	١١,١	٩,٢	٨	٩,٤
إجمالي	**١٠٠**	**١٠٠**	**١٠٠**	**١٠٠**

١٣. زيادة عنف النساء ضد الرجال ارتبط ارتباطا ذا دلالة بالحالة الإجتماعية $(\chi^2(4) = 10.69, p < .030)$. حيث رأت ٥٩,٧٪ من المتزوجات أن هناك ارتفاع في معدلات عنف النساء ضد الرجال، وذلك بالمقارنة بـ ٥٢,١٪ من المشاركات غير المرتبطات والمطلقات والمخطوبات، وبـ ٦٦,٧٪ من الأرامل المشاركات في الدراسة (انظر الجدول أدناه)

٪ تبعا للحالة الإجتماعية

زيادة في عنف النساء ضد الرجال	الحالة الإجتماعية			إجمالي
	متزوجات	غير مرتبطات/ مطلقات/مخطوبات	المخيم	
لا	٣١,٣	٤٣,٨	١٦,٧	٣١
نعم	٥٩,٧	٥٢,١	٦٦,٧	٥٩,٦
لا أعرف	٩	٤,٢	١٦,٧	٩,٤
إجمالي	**١٠٠**	**١٠٠**	**١٠٠**	**١٠٠**

١٤. ارتفــاع معدلات عنف النســاء ضد الرجــال ارتبــط أيضــا بالمرحلــة العمريــة $(\chi^2(6) = 25.51, p < .0005)$. فقد رأت ٥٣,٦٪ من المشاركات من الفئة العمرية ١٨-٢٨ سنة أن هناك زيادة في ممارسة النساء للعنف ضد الرجال وذلك بالمقارنة بـ ٦٠٪ من المشاركات بين ٢٩-٣٩ سنة و٧٢,٩٪ من المشاركات بين ٤٠-٥٠ سنة و٥٣,١٪ من المشاركات في مرحلة ٥١ سنة فما فوق (انظر الجدول أدناه).

٪ تبعا للمرحلة العمرية للمشاركات

زيادة في عنف النساء ضد الرجال	المرحلة العمرية				إجمالي
	١٨ – ٢٨	٢٩ – ٣٩	٤٠ – ٥٠	٥١ +	
لا	٣٨,١	٣٣,٨	٢٥,٧	٢٣,٤	٣٠,٩
نعم	٥٣,٦	٦٠	٧٢,٩	٥٣,١	٥٩,٧
لا أعرف	٨,٣	٦,٢	١,٤	٢٣,٤	٩,٤
إجمالي	**١٠٠**	**١٠٠**	**١٠٠**	**١٠٠**	**١٠٠**

١٥. الزيادة في ممارسة العنف من النساء على أطفالهن ارتبط ارتباطا دالا مع مكان الإقامة $(\chi^2(4) = 20.34, p < .0005)$. ٩٣,٩٪ من نساء المدينة المشاركات يعتقدن أن الإنتفاضة مسئولة عن زيادة عنف النساء ضد أطفالهن وذلك بالمقارنة بـ ٨٧,٨٪ من نساء القرية و٧٣٪ من نساء المخيم (انظر الجدول أدناه)

٪ تبعا لمكان الإقامة

زيادة في عنف النساء ضد أطفالهن	مكان الإقامة			إجمالي
	المدينة	القرية	المخيم	
لا	٦,١	٨,٢	٢٣	١٢,٥
نعم	٩٣,٩	٨٧,٨	٧٣	٨٤,٨
لا أعرف		٤,١	٤	٢,٧
إجمالي	**١٠٠**	**١٠٠**	**١٠٠**	**١٠٠**

١٦. العلاقـــة الجنســـية بـــين الأزواج والزوجـــات تأثـــرت بشـــكل دال بمـــكان الإقامـــة $(\chi^2(4) = 10.78, p < .029)$. ٪٩٠,٨ من نساء المدينة يعتقدن ان الإنتفاضة أثرت على العلاقة الجنسية بين الأزواج والزوجات. كما وافقتهن على ذلك ٪٨٣,٧ من نساء القرية و ٪٧٧,٢ من نساء المخيم (انظر الجدول أدناه).

٪ تبعا لمكان الإقامة

العلاقة الزوجية بين الأزواج والزوجات	مكان الإقامة			إجمالي
	المدينة	القرية	المخيم	
لا	٣,١	١٠,٢	١٧,٤	١٠,١
نعم	٩٠,٨	٨٣,٧	٧٧,٢	٨٤
لا أعرف	٦,١	٦,١	٥,٤	٥,٩
إجمالي	**١٠٠**	**١٠٠**	**١٠٠**	**١٠٠**

١٧. زيادة العنف الجسدي ضد النســاء (الضرب) أظهــر ارتبــاطا دالا مــع مــكان الإقامـــة $(\chi^2(4) = 19.44, p < .001)$. حيث رأت ٪٦٣ من نساء المدينة و ٪٦١ من نساء القرية و ٪٤٥,٥ من نساء المخيم أن هناك ارتفاع في معدل ضرب النساء (انظر الجدول أدناه).

٪ تبعا لمكان الإقامة

زيادة معدلات ضرب النساء	مكان الإقامة			إجمالي
	المدينة	القرية	المخيم	
لا	٩	١٩	٣٣,٣	٢٠,٤
نعم	٦٣	٦١	٤٥,٥	٥٦,٥
لا أعرف	٢٨	٢٠	٢١,٢	٢٣,١
إجمالي	**١٠٠**	**١٠٠**	**١٠٠**	**١٠٠**

١٨. كذلك ارتبط التحرش الجنسي ضد النساء بمكان الإقامة $(\chi^2(4) = 45.79, p < .0005)$، حيث رأت ٨٤٪ من نساء المدينة المشاركات في الدراسة و٥٩٪ من نساء القرية و ٣٨٪ من نساء الخيم أن هناك ارتفاع في معدلات التحرش الجنسي ضد النساء (انظر الجدول أدناه).

٪ تبعا لمكان الإقامة

زيادة في معدلات التحرش الجنسي	مكان الإقامة			إجمالي
	المدينة	القرية	الخيم	
لا	٤	٢٠	٢٧	١٧
نعم	٨٤	٥٩	٣٨	٦٠,٣
لا أعرف	١٢	٢١	٣٥	٢٢,٧
إجمالي	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

١٩. وارتبط التحرش الجنسي أيضا بالحالة الإجتماعية$(\chi^2(4) = 10.62, p < .031)$، حيث رأت ٦٢,٩٪ من المتزوجات و٥٥,١٪ من غير المرتبطات والمطلقات والمخطوبات، و ٥٥,١٪ كذلك من الأرامل أن هناك ارتفاع في معدلات التحرش الجنسي (انظر الجدول أدناه)

٪ تبعا للحالة الإجتماعية

زيادة في معدلات التحرش الجنسي	الحالة الإجتماعية			إجمالي
	متزوجات	غير مرتبطات/ مطلقات/مخطوبات	الخيم	
لا	١٥,٣	٣٠,٦	١٢,٢	١٧,٣
نعم	٦٢,٩	٥٥,١	٥٥,١	٦٠,٣
لا أعرف	٢١,٨	١٤,٣	٣٢,٧	٢٢,٣
إجمالي	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

٢٠. وارتبــط التحــرش الجنســي أيضــا ارتبــاطا ذا دلالــة بالمرحلــة العمريــة $(\chi^2(6) = 14.73, p < .022)$. حيث رأت ٥٧,٦٪ من المبحوثات بين ١٨–٢٨ سنة، و٥٥,٦٪ من المبحوثات بين ٢٩–٣٩ سنة و٦٥,٧٪ من المبحوثات بين ٤٠–٥٠ سنة و٦٣,١٪ من المبحوثات أكبر من سن ٥١ سنة أن هناك ارتفاع في معدلات التحرش الجنسي (انظر الجدول أدناه)

٪ تبعا للمرحلة العمرية للمشاركات

زيادة في معدلات التحرش الجنسي	المرحلة العمرية				إجمالي
	١٨ – ٢٨	٢٩ – ٣٩	٤٠ – ٥٠	٥١ +	
لا	٢٨,٢	١٦	١٢,٩	٩,٢	١٧,٣
نعم	٥٧,٦	٥٥,٦	٦٥,٧	٦٣,١	٦٠,١
لا أعرف	١٤,١	٢٨,٤	٢١,٤	٢٧,٧	٢٢,٦
إجمالي	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

٢١. إرتبط الإغتصاب ارتباطا ذا دلالة مع مكان الإقامة $(\chi^2(4) = 52.62, p < .0005)$. حيث رأت ٧٠,٧٪ من نساء المدينة و ٤٦٪ من نساء القرية و ٢١٪ من نساء المخيم ان هناك زيادة في معدلات الاغتصاب. (انظر الجدول أدناه).

٪ تبعا لمكان الإقامة

ارتفاع في معدلات الاعتداء الجنسي (الاغتصاب)	مكان الإقامة			إجمالي
	المدينة	القرية	المخيم	
لا	٦,١	٢٤	٣٠	٢٠,١
نعم	٧٠,٧	٤٦	٢١	٤٥,٨
لا أعرف	٢٣,٢	٣٠	٤٩	٣٤,١
إجمالي	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

٢٢. كما ارتبطت الزيادة في معدلات الاغتصاب أيضا بالحالة الإجتماعية $(\chi^2(4) = 14.930, p < .005)$. حيث رأت ٥١,٧٪ من النساء المتزوجات في الدراسة مقارنة بـ٣٢,٧٪ من النساء غير المرتبطات/المطلقات/المخطوبات و٣٤,٧٪ من الأرامل أن هناك زيادة في معدلات حدوث جريمة الاغتصاب (انظر الجدول أدناه)

٪ تبعا للحالة الإجتماعية

زيادة في معدلات التحرش الجنسي	الحالة الإجتماعية			إجمالي
	متزوجات	غير مرتبطات/ مطلقات/مخطوبات	الخيم	
لا	١٨,٩	٣٢,٧	١٤,٣	٢٠,٤
نعم	٥١,٧	٣٢,٧	٣٤,٧	٤٥,٨
لا أعرف	٢٩,٤	٣٤,٧	٥١	٣٣,٨
إجمالي	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

٢٣. وارتبطت الزيادة في معدلات الاغتصاب أيضا بالمرحلة العمرية للنساء $(\chi^2(6) = 12.93, p < .044)$. حيث رأت ٤٠٪ من النساء ما بين ١٨-٢٨ سنة بأن هناك زيادة في معدلات الاغتصاب وذلك مقارنة بـ ٤٣,٢٪ من المشاركات بين ٢٩-٣٩ سنة و٥٢,٩٪ من المبحوثات بين ٤٠-٥٠ سنة و٤٨,٤٪ بين النساء اللاتي بلغن من العمر ٥١ سنة فأكثر (انظر الجدول أدناه).

٪ تبعا للمرحلة العمرية للمشاركات

زيادة في معدلات الاعتداء الجنسي (الاغتصاب)	المرحلة العمرية				إجمالي
	١٨ – ٢٨	٢٩ – ٣٩	٤٠ – ٥٠	٥١ +	
لا	٢٩,٤	٢٢,٢	١٨,٦	٧,٨	٢٠,٣
نعم	٤٠	٤٣,٢	٥٢,٩	٤٨,٤	٤٥,٧
لا أعرف	٣٠,٦	٣٤,٦	٢٨,٦	٤٣,٨	٣٤
إجمالي	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

تـــحـــلـــيـــل χ^2 (٢)

لقد استخدمنا اختبار χ^2 لندرس العلاقة بين العوامل المتغيرة: الدعم الإجتماعي، القدرة على التكيّف، ما إذا كان ضرب النساء بواسطة رجال الأسرة سلوكا مقبولا على إعتبار كون الضرب أداة تربوية، وبين المتغيرات الديمغرافية مثل الوضع الاقتصادي ومكان الإقامة والسن والحالة الإجتماعية ووجدنا أن النتائج التالية دالة إحصائيا.

١. وجدنا ارتباطا بين الدعم الإجتماعي والحالة الإقتصادية ($\chi^2(3) = 16.27, p < .001$). حيث عبرت ٨٤,٢٪ من النساء ذوات المستوى الاقتصادي الجيد عن أنهن وجدن من يدعمهن أثناء الأزمات وذلك مقارنة بـ ٥٥,٤٪ من النساء شديدات الفقر و٤٥,٦٪ من النساء الفقيرات و٦٩,٨٪ من النساء ذوات الوضع الاقتصادي المتوسط (انظر الجدول أدناه).

٪ تبعا للمستوى الاقتصادي

الدعم الإجتماعي	المستوى الاقتصادي				إجمالي
	فقير جدا	فقير	متوسط	جيد	
لا	٤٤,٦	٥٤,٤	٣٠,٢	١٥,٨	٣٨,٦
نعم	٥٥,٤	٤٥,٦	٦٩,٨	٨٤,٢	٦١,٤
إجمالي	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

٢. وجدنا ارتباطا بين القدرة على التكيّف ومكان الإقامة. ($\chi^2(2) = 62.41, p < .005$). ١٣٪ فقط من نساء المدينة شعرن أنهن قادرات على تسيير حياتهن بشكل طبيعي كما كان حالهن قبل الإنتفاضة وذلك مقارنة بـ ٢٨,٣٪ من نساء القرية و٦٥٪ من نساء المخيم (انظر الجدول أدناه)

٪ تبعا لمكان الإقامة

القدرة على التكيّف	مكان الإقامة			إجمالي
	المدينة	القرية	المخيم	
لا	٨٧	٧١,٧	٣٥	٦٤,٥
نعم	١٣	٢٨,٣	٦٥	٣٥,٥
إجمالي	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

٣. وجدنا ارتباطا بين القدرة على التكيّف والحالة الإقتصادية. $(\chi^2(3) = 19.34, p < .005)$، حيث شعرت ٥٢,٦٪ من المشاركات ذوات المستوى الاقتصادي الجيد بأنهن قادرات على مواصلة حياتهن مثلما كن يفعلن قبل الإبتماصة وذلك مقارنة بـ ١٨,٩٪ من النساء الفقيرات جدا و٢٧,٩٪ من النساء الفقيرات و٤٦.١٪ من النساء ذوات الوضع الاقتصادي المتوسط. (انظر الجدول أدناه)

٪ تبعا للمستوى الاقتصادي

القدرة على التكيّف	المستوى الاقتصادي				إجمالي
	فقير جدا	فقير	متوسط	جيد	
لا	٨١,١	٧٢,١	٥٣,٩	٤٧,٤	٦٤,٧
نعم	١٨,٩	٢٧,٩	٤٦,١	٥٢,٦	٣٥,٣
إجمالي	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

٤. وجدنا ارتباطا بين القدرة على التكيّف والمرحلة العمرية. $(\chi^2(3) = 9.90, p < .019)$، حيث شعرت ٤٦.٤٪ من النساء بين ١٨-٢٨ سنة أنهن قادرات على مواصلة حياتهن بشكل طبيعي بعد الإبتماصة وذلك مقارنة بـ ٣٥,٨٪ من النساء بين ٢٩-٣٩ سنة و٣٥,٧٪ من النساء بين ٤٠-٥٠ سنة و ٢١,٥٪ من النساء عند سن ٥١ وما فوق. (انظر الجدول أدناه)

٪ تبعا للمرحلة العمرية للمشاركات

القدرة على التكيّف	المرحلة العمرية				إجمالي
	١٨ – ٢٨	٢٩ – ٣٩	٤٠ – ٥٠	٥١ +	
لا	٥٣,٦	٦٤,٢	٦٤,٣	٧٨,٥	٦٤,٣
نعم	٤٦,٤	٣٥,٨	٣٥,٧	٢١,٥	٣٥,٧
إجمالي	**١٠٠**	**١٠٠**	**١٠٠**	**١٠٠**	**١٠٠**

٥. وجدنا ارتباطا بين ضرب النساء لأسباب تربوية وبين مكان الإقامة. $(\chi^2(2) = 24.64, p < .0005)$. حيث وافقت ٥٪ فقط من نساء المدينة على ضرب النساء لأسباب تربوية وذلك مقارنة بـ ٢٧٥ من نساء القرية و٨٪ من نساء المخيم (انظر الجدول أدناه)

٪ تبعا لمكان الإقامة

ضرب النساء بواسطة أفراد الأسرة لأسباب تربوية	مكان الإقامة			إجمالي
	المدينة	القرية	المخيم	
لا	٩٥	٧٣	٩٢	٨٦,٧
نعم	٥	٢٧	٨	١٣,٣
إجمالي	**١٠٠**	**١٠٠**	**١٠٠**	**١٠٠**

تحليل أنوفا

لمعرفة تأثير مكان الإقامة على التكيّف مع الفقدان بعد التعرض للصدمة:

أوضح اختبار أنوفا أحادي المتغير فروقا ذات دلالة فيما يتعلق بالقدرة على التكيّف مع الفقدان قبل حدوث الصدمة. (F (٢, ٢٩٧) = ٩١,٠٧, p < .٠٠٠٥). كذلك أوضح اختبار فـا f أحادي المتغير فروقا ذات دلالة فيما يتعلق بالتكيّف مع الفقدان بعد حدوث الصدمة. (F (٢, ٢٩٧) = ٧,١٦ , p < .٠٠١)

لمعرفة تأثير السن (العمر) على التكيّف مع الفقدان بعد التعرض للصدمة:

أوضح اختبار أنوفا أحادي المتغير أنه لا توجد فروق ذات دلالة فيما يتعلق بالقدرة على التكيّف مع الفقدان قبل حدوث الصدمة. مع ذلك، أوضح اختبار فـا f أحادي المتغير فروقا ذات دلالة فيما يتعلق بالتكيّف مع الفقدان بعد حدوث الصدمة. (F (٣, ٢٩٧) = ٢,٦٢ , p < .٠٥١)

لمعرفة تأثير الحالة الإجتماعية على التكيّف مع الفقدان بعد التعرض للصدمة:

أوضح اختبار أنوفا أحادي المتغير وجود فروق ذات دلالة فيما يتعلق بالقدرة على التكيّف مع الفقدان قبل حدوث الصدمة. (F (٢, ٢٩٧) = ٤,٤٤, p < .٠١٣).

كذلك أوضح اختبار فـا f أحادي المتغير أنه لا توجد فروق ذات دلالة فيما يتعلق بالتكيّف مع الفقدان بعد حدوث الصدمة، بين النساء من الحالات الإجتماعية المختلفة.

لمعرفة تأثير الحالة الإقتصادية على التكيّف مع الفقدان بعد التعرض للصدمة:

أوضح اختبار أنوفا أحادي المتغير وجود فروق ذات دلالة فيما يتعلق بالقدرة على التكيّف مع الفقدان قبل حدوث الصدمة (F (٣, ٢٨٦) = ٦,٧٢, p < .٠٠٠٥).

كذلك أوضح اختبار فـا f أحادي المتغير أنه لا توجد فروق ذات دلالة فيما يتعلق بالتكيّف مع الفقدان بعد حدوث الصدمة، بين النساء من المستويات الإقتصادية المختلفة.

أساليب التكيّف مع معامل الصدمة والمتغيرات الديمغرافية

المحور	المتغيرات	قبل الصدمة	p	بعد الصدمة	p
الصفات الديمغرافية	المدينة (س=١٠٠)	٢,٤٠	٠,٠٠٠	٤,١٤	٠,٠٠١
	القرية (س=١٠٠)	٢,٢٦		٣,٣٥	
	المخيم (س=١٠٠)	١,٤٧		٢,٧٠	
المرحلة العمرية	١٨-٢٨ (س=٨٥)	١,٩٣	٠,١١٢	٢,٩٨	
	٢٩-٣٩ (س=٨١)	٢,٠٦		٣,٢٥	
	٤٠-٥٠ (س=٧٠)	٢,٠١		٣,٣٣	
	٥١+ (س=٦٥)	٢,١٩		٤,١٩	
الحالة الإجتماعية	متزوجة (س=٢٠٢)	٢,٠٢	٠,٠١٣	٣,٥١	٠,٣٢٩
	غير مرتبطة/مطلقة/ مخطوبة (س=٤٩)	١,٩٠		٢,٨٧	
	أرملة (س=٤٩)	٢,٢٨		٣,٤٧	
المستوى الاقتصادي	فقير جدا (س=٧٤)	٢,٢٤	٠,٠٠٠	٣,٥٣	٠,٨٩٤
	فقير (س=٦٨)	٢,٢٠		٣,٣٦	
	متوسط (س=١٢٩)	١,٨٨		٣,٤٣	
	جيد (س=١٩)	١,٨٧		٢,٩٨	

التحليل الإرتدادي

الجدول أدناه يوضح نتائج التحليل الارتدادي التي أوضحت ان القدرة على التكيّف تتأثر بشكل إيجابي بالدعم الإجتماعي وسلبيا بالعنف ضد النساء وكون النساء ضحايا قوات الاحتلال. الدلالة الإحصائية الموضحة أمام كل متغير تمثل إضافة دالة لإمكانية توقع قدرات النساء على التكيّف. بالتالي فإن المتغيرات التي تترابط لترسم التوقعات بشأن قدرة النساء على التكيّف هي العنف ضد النساء والدعم الإجتماعي والتعرض لانتهاك من قبل قوات الاحتلال.

المتغيرات التي تمكننا من توقع القدرة على التكيّف

المتغيرات	B	Wald Statistic	p
العنف المستند إلى النوع الإجتماعي	١٧٩.-	٤,٢٥	٠٣٩.
الدعم الإجتماعي	١,٠١	١٢,٤٢	٠٠٠.
التعرض للعنف من قبل قوات الاحتلال	٧٩٣.-	٨,٥٩	٠٠٣.

بشكل عام وجدنا أن المشاركات لا يعتقدن أن الضرب وسيلة للتحكم في النساء أو تعليمهن. ولذلك فإن أغلب النساء (٨٦,٩٪) عبرن عن أن الضرب ليس وسيلة مقبولة للتعامل مع النساء، على حين ذكرت ١٣,١٪ فقط منهن أنه كذلك.

حين سألنا النساء عما إذا كن ضحايا مباشرات للانتفاضة أجابت ٩٨,٧٪ من النساء بالإيجاب. وحين سألناهن عن تقديرهن للأذى الذي أصاب أسرهن. قال أكثر من ثلاث أرباع النساء (٧٩,٢٪) أن الأذى كان شديدا ورأت الباقيات أنه كان متوسطا. ٧٥,٩٪ من النساء المشاركات قلن أنهن محتجزات داخل منازلهن. على حين أن ١,٣٪ فقط منهن (٤ نساء) كن معتقلات سياسيات. كل المشاركات تقريبا (٩٣٪. العدد = ٢٨٠) واجهن الخوف وأحداثا مرعبة و٣٦ امرأة (١٢٪) تعرضن للضرب الجسدي حين قام الجنود الإسرائيليون بضرب ٣١ منهن. أكثر من نصف النساء (٦١,٤٪) تعرضن للإهانة والسخرية من الجنود الإسرائيليين.

أغلب المشاركات قلن أن العنف الجسدي ضد النساء زاد انتشارا بسبب الإنتفاضة. حيث أغلبهن (١١٦ امرأة) سيدات متزوجات. حين درسنا العلاقة بين مكان الإقامة والاعتقاد أن العنف الجسدي قد زاد وجدنا علاقة دالة بين مكان الإقامة والعنف الجسدي (الدلالة الإحصائية ٠,٠٠١).

حين سألنا النساء عما إذا كانت الإنتفاضة قد حرمت الفتيات من استكمال دراستهن. أجابت ٦٢,١٪ منهن بالإيجاب. و٣١,٢٪ بالسلب على حين قالت الباقيات أنهن لا يعلمن.

أحدى النتائج المثيرة للاهتمام في هذا الدراسة هي ان ٨٢,٧٪ من النساء بشكل عام عبرن عن خوفهن من سؤ المعاملة الجنسية من الجنود الإسرائيليين على حين عبرت ٦٤,٣٪ منهن عن نفس الخوف من الفلسطينيين. ورغم التباين في النتائج إلا أننا نعتقد أن الخوف من الانتهاك الجنسي كان مرتفعا في جميع المناطق.

ارتفاع معدلات العنف أثناء الإنتفاضة الحالية

نوع العنف	لا	نعم	لا أعرف	إجمالي
الاغتصاب	١٨,٨٪	٤٦,٩٪	٣٤,٤٪	١٠٠٪
التحرش الجنسي	١٤,٩٪	٦٠,٢٪	٢٤,٨٪	١٠٠٪
العنف الجسدي	١٥,٦٪	٦٠,٠٪	٢٤,٤٪	١٠٠٪
العنف النفسي	٩,٩٪	٧٨,٩٪	١١,٢٪	١٠٠٪

وجهة نظر المشاركات بشأن الآثار المختلفة للانتفاضة الحالية على النساء

أثـــر الإنتفاضة	لا	نعم	لا أعرف	إجمالي
منعت من استكمال الدراسة	٣١,٢٪	٦٢,١٪	٦,٦٪	١٠٠٪
عوقت التنمية	٢٨,٣٪	٦٦,٣٪	٥,٣٪	١٠٠٪
زيادة الزواج المبكر	١٣,٥٪	٧٩,٧٪	٦,٨٪	١٠٠٪
زيادة في عنف الرجال	١١٪	٧٨,٦٪	١٠,٤٪	١٠٠٪
زيادة الخوف من الاعتداء الجنسي من الإسرائيليين	١١,٧٪	٨٢,٧٪	٥,٧٪	١٠٠٪
زيادة الخوف من الاعتداء الجنسي من الفلسطينيين	٢٣,٣٪	٦٤,٣٪	١٢,٣٪	١٠٠٪

★ ★ ★ ★ ★

الفصل الرابع

تحليل مجموعات الدعم: الإشتراك في مجموعة داعمة لتفريغ الضغوطات النفسية والإجتماعية للفقدان لدى الثكالى والأرامل الفلسطينيات

د. خولة أبو بكر

مدخل

ولّد الإحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية منذ عام ١٩٦٧ أنواعا عديدة من الفقدان, منها المادي (تدمير بيوت, استيلاء على أراض, حرق ممتلكات) ومنها معنوي (الإستيلاء على الحريات الشخصية, منع التجول, التوقيف الإداري, إعتقال والسجن) ومنها الإنساني (الإصابات ذات الإعاقات المستديمة والإصابات المميتة). تعاني الأسر الفلسطينية من أنواع الفقدان الآنفة الذكر أيضا في الإنتفاضة الثانية, وبعضها يعيش ألم تراكمات جميع أنواع الفقدان الآنفة الذكر منذ بداية الإحتلال عام ١٩٦٧. نحرص في هذا التلخيص على نقل صورة العمل داخل المجموعات. صورة أمينة قدر الإمكان للغة وصوت ومضامين النساء المشتركات في المجموعة.

مشروع المجموعات الداعمة

كانت المجموعات الداعمة الخطوة الأخيرة في مشروع بحثي هدف لدراسة الصحة النفسية للأسرة الفلسطينية في ظل الإنتفاضة الثانية. بعد الإطّلاع على الحاجات النفسية للنساء الفاقدات في الضفة الغربية تم تنظيم ثلاث مجموعات داعمة في مخيم منكوب, قرية صغيرة وحي شعبي في مدينة كبيرة. انضمت لكل مجموعة ١٥-١٨ إمرأة من سن ١٩-٦٨ سنة كن يلتقين في مؤسسة جماهيرية عامة غير حزبية في الحي قرب بيوتهن. تم إختيار النساء المشاركات بناء على المعرفة الشخصية للميّسرات في النساء في مراحل سابقة من المشروع. وبناء على توصيات اللجان الشعبية في البلدات المختلفة. بعد اللقاء الأول اتسعت دائرة المشتركات بعد أن انضمت نساء إضافيات بناء على تشجيع المشتركات لهن. زارت الميّسرات جميع النساء المقترحة أسماؤهن قبل بدء العمل في المجموعات لتوضيح طبيعة العمل داخل اللقاءات لهن.

أدارت كل مجموعة ميّسرتان متخصصتان في العمل الإجتماعي أو الجماهيري. التقت كل مجموعة لمدة ١٢ لقاء, ثلاث ساعات كل لقاء. جميع النساء كن فاقدات ويعانين من مشاكل جسدية و/أو إجتماعية و/أو نفسية جراء تجربة الفقدان. تم توثيق جميع الجلسات حرفيا. رافق العمل مع كل مجموعة إرشاد مهني علاجي وأكاديمي بالإضافة لتوفير خدمة الدعم والتفريغ النفسي للميّسرات[١].

بالرغم من الإصرار على بناء إطار محكم ومبني للمجموعة, بما فيها التوقيت الثابت واختيار اليوم الثابت وإلزام النساء به, إلا أن كل مجموعة قامت بتأجيل لقاء واحدا على الإقل بسبب إجتياح الجيش للمنطقة ومنع التجول في تلك الفترة. وهكذا, عاشت المجموعات تجربة الأسر الفلسطينية والمجتمع الفلسطيني حيث أنه لا يستطيع أن يقر قانونا ويلزم نفسه به دون تدخل من الجيش الإسرائيلي. هذه التجربة تؤكد مقولة مهمة أن الفلسطيني, ومهما يكن حاسما في أسلوب عمله, لا يستطيع في هذه المرحلة السياسية أن يستعمل كامل مهنيته أمام قوى جيش الإحتلال, في الأمور المهنية التي يريد من خلالها أن يعلّم الأسر طرقا لمواجهة أذى هذا الإحتلال.

تعددية الفقدانات

إن أفضل صورة نتعلم بها عن تعددية الفقدانات في حياة الأسرة الفلسطينية وأثرها النفسي على الأسرة وكل واحد/ة من أفرادها هي القصص الحقيقية التالية:

قالت أم أمجد[٢]:

احنا تحت خط ستين و هديك المنطقة كلها ادمرت في ٢/٢٩. كنا قاعدين في الدار طبيعي. يومينها من دون الأيام نفرت بابني. ما عمري نفرت فيه. من عشرين سنة وأنا بداريه و بسايره. وصار الطخ على دارنا. قام ابني يلبس البوت حتى يختصر ونزل. انا طلبت منه يقعد في الدار. وانا شفت ضو اخضر على البيت قلت خلص انتهينا! هربنا على الغرفة جوة. وضربوا الدار قذيفة ضربت الدار وما فيها. وابني ثواني بينه وبين الموت. ابني هستر. وساعدونا الهلال مشكورين. ولما دخلت الدار بعد ما

---

[١] أود هنا تقديم الشكر لجميع الميّسرات: روضة البصير, أمل أحمد, رانية سلعوس, هنادي شبراوي, فاطمة المؤقت وإيمان صالح على العمل المهني والشفافية البالغة التي أظهروها في العمل داخل هذا المشروع.

[٢] جميع أسماء المشتركات مستعارة للمحافظة على الخصوصيات ولضمان المحافظة على الأمن الشخصي لبعض أسر المطاردين.

انقصفت عيني انحرقت من ريحة الغاز وراسي صار يوجعني ودخل في جسمي الغاز وشعرت وقتها جسمي ووجهي مثل الفلفل.

وبعدين رحنا على دار سلفي صعب عيلتين في دار بس صعب كثير أكون في داري. أدخل الغرفة أو الحمم فيها مستحيل! زي ما تقولي فيها غول! انا بعت داري وهلأ (الآن) بعيش بالبلدة القديمة في ال(...) أنا وأولادي. مع انها الدار تعمرت مع هيك بعتها أعصابي تعبانة. اما صحتي فحصوا الدكاترة فيها. انا لمّا رحت تحكمت الدكتور قال لي وضعك هيك بسبب لأنك شمّيتي الغاز ونفسيتك وأعصابك تعبانة. ما في اشي عندك عضوي.

وقالت أم غازي:

(الام كانت تحكي وتبكي بحرارة وتكرر كثيرا "الحمد لله").

انا عندي ولدي متصاوب في ٣/٢٣ وهو بعاني. تصاوب بدمدم في ظهره وايديه الشمال. عملنا له أربع عمليات وهو بعاني كثير والحمد لله. اعتقلوه اليهود قبل سنة وثلاث أشهر وبروح بعالجوه مستشفى العفولة وبس بعطوه مسكنا. يا ريت بعملوا له العملية. وضعه الصحي بقطع القلب. عندي ثلاث أولاد وابني المعتقل المتصاوب هو البكر. عندي بنتين متزوجات. بعاني ابني كثير في السجن الي سنة ونصف مش شايفته. ما تسأليني عن الالم الحمد لله صعب كثير! انا بعاني وأبوه بعاني وإخوته بعانوا.

وقالت أم يوسف:

الله يعطيكم العافية ويمكن كثير الّي بتعملوه مهم. تعرضنا لإعتقال وبضرب الغاز ولاجتياح البيت. الحمد لله أولادي اعتقلوا ولكن الآن طلع آخر واحد قبل ثلاث أشهر وابني مصاب و هلا (الآن) بدنا نعمل له عملية. تصاوب في رجليه وفي رأسه بقنبلة منلحة ضربه الجنود بها. وهلأ رأسه مدعدع وبدنا نسوي العملية. عمره ٢٠ سنة. وإن شاء الله بشفى وبنعالج. سنة التوجيهي تصاوب وعمل التوجيهي بالسجن وأخذ ٦٥٪. واعتقلوا أولادي الإثنين بجمير عندنا ضرب غاز كثير. صار عندي حساسية من الغاز. قال لي الدكتور هذا زي توتر أعصاب. إحنا في اي وقت متعرضين لداهمة الجيش ما بنعرف انحط ايشي في دارنا ولا نزينها وكمان اولادي الاتنين اعتقلوهم.

وقالت أم صابر

(عندما بدات الحديث انفجرت بالبكاء وهي امراة كبيرة بالسن، ٦٨ سنة).

ظروف كثيرة مرت على زي العلقم مش بسيطة. أولا إعتقال اولادي شباب اثنين: واحد قضى خمس(ة) عشر شهر، واحد قضى أحد عشر شهر. واحد منهم ما بقدر يمشي ولما ييجي يطلع الدرج ما بقدر يطلع. وهو تزوج قبل سبعة أشهر عمره سبعة وعشرين سنة. والثاني عمره ستة وعشرين سنة. لما اعتقلوه استشهدت اخته. استشهدت بنتي لما اجو يعتقلوا ابني. بنتي لما اجوا اعتقلوا اخوها وصرنا نحاججهم عشان ما يعتقلوا ابني وبنتي قاعدة تحاججهم عن أخوها دقها الجندي في رأسها بس إحنا ما شفناه. الله يعلم بشو دقها هو بايده والا بالبارودة. ولسه الجيش ما طلّعوا الولد لساهم على باب الدار بنتي مسكت رأسها وقالت يّما راسي وعلى طول ارمت ما قدرت تعلّق على إجريها. أخذناها على المستشفى وقالوا إلنا أنه تعرضت لضربة قوية على رأسها وحطّوها بالإنعاش لانها غيّبت. عاشت على الاوكسجين لمدة تسع أيام وبعدين ماتت. انا فقدت الوعي وسمعي خف. بحس راسي ثقيل. بفضّل اتمنى نايمة.

عندي بنت عمرها تسعة وعشرين سنة. بنتي كانت زي التوأم مع اختها الشهيدة. لما صار اللي صار، تغيّرت. لا بتحب تروح ولا تيجي. بالنادر بتقرر تطلع بتروح على المقبرة. إبني انحكم خمس سنين مع وقف التنفيذ والثاني أحد عشر شهر مع وقف التنفيذ.

بحب اروح واجي ولكن دايما مسطلّه (يعني مثل المخدّرة) بروح وبيجي بحب أظل بره. بحبش اقعد في الدار. بتمنى تيجو وتخلوا بنتي تطلع بره. صدقوا بخاطري اطلع انا واياها مشوار. بعد أوقات بتكون البنت هادية وبعد أوقات لو يصح لها تخنق كل الي في البيت ما بتقصّر. مرات بكون فش للبنت حيل تقوم وبنلاقيها فجأة قامت ولبست بساعة (يعني بسرعة) وبتقول هيّني رايحة أزور أختي بالقبر وبتزورها مرة كل يوم ومرات كل يومين يعني زي ما بدها. هذا المحل الوحيد اللي بتطلع عليه هالبنت.

وقالت أميّة:

وفي لحظة ما أخبروني أنه سامي استشهد برصاصة من الجيش فقدت الوعي وما بأعرف شو حصل لي. أخذوني للثلاجة لأشوفه. وكانوا حاطّيني على كرسي عجلات عشان فقدت القدرة على المشي ورجلاي ما كانوا يحملوني. شو بدي أعمل لما ابني عامر بقول لي "أنا شفت مخ أبوي"؟ وأنا في المستشفى لّما كنت غائبة عن الوعي أخذوا ابني وفرجوه على أبوه. ومن هداك الوقت ما بيقدر ينام منيح وبشوف كوابيس وأحلام مزعجة. ابني الثاني بيقول "بدّي بابا بدي بابا". ومن يوم استشهاد أبوه اصابته حالة سخونة واستفراغ بترجع له وما بأعرف شو أعمل معه. ابني سعيد الصغير كمان عيونه توجعه ويقول الدكتور أنه فيروس. بنتي بعد استشهاد أبوها صارت عصبية كثير وعنيفة ولما بوديها على المدرسة بتضرب الأولاد حتى مرة كانت بدها تخنق أختها الصغيرة. أنا يمكن بغلط معها أنا لما بتقول بدي بابا بفرجيها صورة أبوها وهو مستشهد.

شو بدّي أعمل؟ كل ليلة لّما نجلس مع بعض الخمسة بصيروا يقولوا لي "إمتى بابا بدو برجع؟" كلنا بنصير نبكي وبصير في البيت مناحة. شو بدّي أقول وشو بدي أعمل. أنا شاعرة إني وحيدة ومش عارفة أعمل أي شيء. حتى الطبخات اللي كان سامي يحبها أنا ما عدت أعملها ولا بقدر أني أعملها. كل حياتي توقفت بعد سامي. وبعض الأوقات بقوم بعمل شيء مشان أولادي لكن بالنسبة إلي انا بعتبر أنه حياتي توقفت بعد استشهاد سامي. أنا كمان مقصرة مع أولادي كثير. كان أبوهم يحبهم وما يقصر معهم ولكن أنا مش قادرة من مرة ولسه مش مستوعبة فقدان زوجي. ما في حدا يسأل. يوم ما استشهد رحت عند دار حماتي على البلد. لاقتني حماتي بتقول لي: أنت قتلت زوجك وأنت السبب ومن تحت رأسك مات. صار معي حالة هستيريا. وظليت طول النهار أسمع هيك حكي وأنتظر وصول جثمان زوجي وأنا في وضع صعب.

عوامل مسّت في الصحة النفسية للأسرة في ظل الإنتفاضة الثانية

من القصص السابقة نستطيع أن نستخلص التالي:

١) التجربة الثابتة للأسرة السليمة أنها(أي الأسرة) تشّكل مصدر أمان وإستقرار لجميع أفرادها. التجربة الخاصة للأسرة الفلسطينية أنها لا تستطيع أن تَعِدَ أي فرد من أبنائها وبناتها بالأمان ولا تستطيع أن توفره له. الخوف اليومي الدائم والثابت هو رد فعل حقيقي وطبيعي وصحّي وليس مرضي. الخوف يثير الترّقب الذي يجعل الأسرة الفلسطينية حذرة ومصغية لما حولها ومتأهبة لرد فعل سريع تحمي به أفرادها من أي خطر مداهم. الإشكالية هي في كثافة هذه الأحداث, في طول مدة الحدث وفي استمرار وضع التأهب منذ الإنتفاضة الأولى. تجربة عدم الأمان الناتج عن الإحتلال داخل الأسرة الفلسطينية يجعلها تعيش تجربة الصدمة Trauma كنمط حياة يومي وطويل الأمد.

٢) المعنى الخاص لمفهوم البيت للأسرة الفلسطينية هو معنى نفسي وجداني ووجودي في آن. ما زال الإنسان الفلسطيني في كل مكان تواجده وفي كل فئة عمرية يحمل أثر التجربة الجمعية لفقدان البيت. إن حرق البيت, أو هدمه كليا أو جزئيا له معاني نفسية عميقة أهمها أن إسرائيل ما زالت تلاحق الفلسطيني منذ ١٩٤٨ وتنجح في هدم بيته وشعوره بالأمان داخله كلما أرادت ذلك ولمرات غير محدودة. الكثير من الأسر الفلسطينية اللاجئة عاشت شظف العيش لعشرات السنوات بهدف بناء بيت صغير وتوفير الحاجات الأساسية به. حرق هذا البيت أو تدميره يعني حرق حلم وحرق توفيرات الأسرة الوحيدة. ' أكم بيت خرب إلنا يا خالتي في الخمسين سنة؟" ' أنا داري من سنة ١٩٧٤ وأنا أبني فيها (نتيجة للفقر) وبالآخر إجا اليهود وبخمسة دقايق راحت" قالت أم خالد.

٣) سببت الإنتفاضة خسائر مادية جسيمة مباشرة ومتأخرة للأسرة الفلسطينية. أدى هذا الوضع لضغوطات نفسية يومية لكل فرد داخل الأسرة. بالإضافة, هناك شعور الوالد بالعجز التام أمام الصعوبات المادية وعدم القدرة على توفير حاجات الأسرة. أما بعض الخسائر, مثل حرق البيت أو هدمة فهي من حيث وزن تأثيرها تقارن بالضغط النفسي الناتج عن تجربة اللجوء لدى الفلسطينيين.

٤) تؤدّي ملاحقة الجيش للمطاردين لقلق أسرهم وأسر باقي سكان الحي. حيث يفتش الجيش البيوت أثناء الليل مانعا جميع أفراد الحي من النوم. يؤدي هذا لعدم قدرة السكان, بما فيهم الطلاب والعاملون وربات المنازل, من قيامهم بمهامهم اليومية العادية بشكل طبيعي وناجع. تعاني الكثير من النساء في العيّنة المفحوصة من ظاهرة تناذر التعب المزمن Fatigue syndrom. هذا الأرق النفسي الشديد تحول في بعض الحالات لإنهيار أعصاب نتيجة توالي الصدمات وعدم علاجها.

٥) بالإضافة, يعاني السكان من الأرق والخوف المتواصلين بسبب وجود الجيش الإسرائيلي في مشارف البلدات والتجوال فيها بحرية في الليل. إن مجرد مرابطتهم لمداخل أية بلدة يعني للناس إحتمال مداهماتهم للبيوت وترك أذى في الأرواح والممتلكات.

٦) يبقى أهالي المعتقلين الشباب في حالة قلق نتيجة لخوفهم من تأثير سلبي للمعتقلين غير الأمنيين على أبنائهم الشباب.

٧) خلخلة الأدوار العادية (normal and normative) داخل الأسرة العربية. نجد هذا في عدة سلوكيات مثل قلب الأدوار (reversing roles). فأولاد الأم الثكلى أو الأرملة يعتنون بها ويقلقون عليها بدل أن يكون الوضع معكوسا. قالت إحدى الأمهات: كنت أيام الإجتياح أخاف كثير لكن ابني مصطفى كان يشجعني وكلامه كان يعطيني سيطرة على الخوف ويقول لي ليش بتخافي . انا يما لسه صغير واذا دخلوا الجيش ما باخدوني لأني صغير.

٨) الخوف الدائم والحقيقي من حدوث مصيبة وضرر يجعل الجميع يعيش في توتر شديد يؤدي إلى نمط حياة غير عادي في ظروف عادية. فمثلا, بشكل ثابت, عندما يعلم الناس أن الجيش يحتشد, يتم تفييق الأطفال وتلبيسهم بملابس الخروج التي يعودون وينامون بها. كل هذا, حتى يكونوا جاهزين في حالة مداهمة الجيش للبيت واضطرار الأسرة على المغادرة. بالإضافة, فإن من الإجراءات التي اتخذتها الأسر الفلسطينية هي تحضير جميع أوراقها ومستنداتها الثبوتية والهامة في حقيبة في متناول اليد لأخذها عند الطوارئ. هذا إجراء يعتمده الناس الذين يقطنون في مناطق الإعصارات والكوارث الطبيعية المتكررة.

٩) زعزعة صورة الرجل العربي في أسرته. الجيش الإسرائيلي ضرب الآباء في البيوت وفي الشوارع أمام أهلهم، أولادهم، نساءهم وأهل الحي. بهذا قام بمس طابو مهم جدا في مبنى السلطة والقوة وهو مكانة الرجل العربي المحفوظة[*]. إن الأسرة العربية تحافظ على مكانة الوالد بغض النظر عن جيله، وضعه الصحي، النفسي، المهني، المادي وما أشبه. عاشت النساء اللواتي رأين أزواجهن يضربون تجربة صعبة حيث أردن رفع معنوياتهم من جهة أمام أبنائهم ومن جهة أخرى تحويل هذه الصورة لعادية، بمفهوم أنها غير شاذة. حتى لا تكون الإهانة ومس كرامة الزوج تجربة خاصة به وصعبة له. قالت إحدى الزوجات في محاولة للتخفيف وتحويل الأزمة الشخصية لعامة: "إنضرب زوجي أمام أولاده. مين ما أنضربش"؟ ". وقالت امرأة أخرى: " أخذوا زوجي درع بشري وكسروه من الضرب أمام أولاده وسكان الحي وكان عزائي في الحياه أن زوجي رجع سالم".

الوالد أو الإبن البكر الذي كسرت معنوياته من قبل الجيش تحول للعنف الزائد ضد أولاده وزوجته أو إخوته. البعض اختار العنف تجاه نفسه وعانى من الإكتئاب العميق الذي أدّى الى عدم خروجه للعمل وانقطاعه عن الحياة الإجتماعية وأصبح عبئا نفسيا على من حوله. في كلا الحالتين عانت الأسرة من النتائج الفرعية للعنف العسكري. قالت زوجة من أحد المخيمات بعد إحدى عمليات الجيش الإسرائيلي: "انا قلبي انسمط على زوجي. اصفن اصفن فيه بعد ما نهج الجيش (خرج) من عنا واقول امنيح ضليت كامل يا مشحر. لو انك بلا ايد او بلا اجر (رجل) كيف بدنا نساوي؟ الحمد لله. الله سلم. باليوم الخامس والسادس شفنا باقي الرجال قدام دارنا مغمغمين، ومربطين ومشلحين".

١٠) التعبير المبالغ به عن الغضب على أمور ثانوية. تسمى هذه الظاهرة Displacement إبدال أو نقل (نقل الشحنة الوجدانية من موضوعها الأصلي إلى موضوع آخر يمكن السيطرة عليه). كان يرافق اقتحام الجيش للبيت تحطيم ممتلكات، تخريب بهدف تسبيب الحسر والقهر (مثل سكب المؤونة على بعضها البعض، أو السرقة). في مثل هذه الحالات كان الحديث يدور حول الغضب من هذا السلوك أو الحزن على الفقدان المادي. لم تكن النساء تتطرق الى الموضوع الجوهري وهو الإحتلال. هذا السلوك هو آلية دفاعية مهمة تتمسك بها النساء بهدف إستعادة شرعيتها على حقها في الغضب من الجيش. نتيجة للتاريخ الطويل من الإحتلال وفرض وجود الجيش الإسرائيلي في السلطة الفلسطينية، فإن الغضب لا يتركز حول جوهر وجوده في البلد، أو الشارع، أو البيت، وإنما يتمركز حول سلوكيات أخلاقية

[*] ليس هنا المكان لنقاش قبول أو رفض هيمنة الرجل على مبنى السلطة في الأسرة العربية. ولكن هذه الزعزعة، بدون تحضيرات لتغيير اجتماعي/نفسي تمس الرؤية الذاتية كما وتمس مفهوم الوالد concept of parenthood

أساسية مثل حق الآخر في المس بحرمة الإنسان في بيته ليلا, أو السرقة من بيته. وكأنما يصبح المطلب ان يتعامل الجيش مع السكان بطريقة أخلاقية أكثر!

من جهة أخرى, يتركز أبدال (Displacement) آخر في نقل الغضب من عنوانه الأصلي, الإحتلال, لعنوان آخر من الأسهل الغضب عليه, السلطة الفلسطينية أو أجهزتها. قالت أحدى النساء في المجموعة: " أنا كمان غضبانة ومتضايقة من البلدية. لحتى اليوم ما صلحوا أي شيء. وأنا عندي كرامة وأنا ما بشحد على كتاف أولادي".

(١١) بناء على تقرير ذاتي من الأمهات, إزداد عنف الأمهات تجاه أبنائهن. بعضهن فسرن هذا باستعمالهن العنف ضد الأولاد كوسيلة لمنع فقدان إضافي. مثلا بضربن الأولاد حتى لا يرشقوا الجيش خوفا من أن يصابوا أو يعتقلوا. بالمفهوم العام, زاد العنف الأسري وعانى أفراد الأسرة منه.

(١٢) العودة لتزويج الطفلات نتيجة للضغوطات الإقتصادية, وبسبب إنقطاع التعليم المنتظم, ونتيجة للخوف من إمكانية " إساءة الجيش لشرف الفتيات ".

(١٣) إزداد اللوم وتحميل المسؤولية للضحية, الوالدة, بدل الجاني (الإحتلال) بعد إعتقال أو إستشهاد الأبناء. قالت إحدى المشتركات

حسيت اللوم من عمتي (أي الحماة). أزود إشي كان الناس يقولوا انتوا بتخلوهم يطلعوا الساعة عشرة في الليل. بقولوا انت مش مربتيهم. بحطوا اللوم عليّ. ما أبوهم موجود! بتقول لي: لا! انت إلّي قاعدة في الدار. لما اعتقلوا الثاني هو كثير هادي. بطلع بصلي الصبح بالجامع. كنت احاول امنعه كان يرفض ويقول لي: لا. أنا بدي اروح اصلي. حاولت اسيطر عليه عشان الناس تبطّل تحكي وبسبب خوفي عليه. ابني مش كبير. صغير عمره ٢٤ سنة. صرت اسّكر الباب عشان ما يروح على المسجد. صار يقول لنا: انتو بدكم تمنعوني اني اصلي!

(١٤) الصراع على توفير المعيشة اليومية. أصبح هذا الصراع من الهموم النفسية الثقيلة لجميع افراد الأسرة الفلسطينية. ولّد هذا الصراع أنواعا أخرى من الصراعات منها الصراع بين توفير لقمة الخبز وبين النشاط السياسي.

أ. مُنع أهل النشطاء السياسيين أو العسكريين أو كل من اشترك بطريقة أو أخرى في احداث الإنتفاضة من العمل داخل إسرائيل. تعاملت النساء مع هذا المنع كفقدان مادي

جسيم لما يوفره العمل داخل إسرائيل من عائد أعلى من معدل الدخل في أراضي السلطة الفلسطينية. يعنى منع العمل داخل إسرائيل لأسر كثيرة بطالة أكيدة وطويلة الأمد ونقهقر شديد في مستوى الحياة.

ii. إن مطاردة الإبن أو الزوج أو عدد من أفراد الأسرة عنت عدم تمكّنهم هم أنفسهم من العمل نتيجة للمطاردة والإختفاء. بالتالي حمل هذا معنى تخليهم عن توفير الإحتياجات المادية للأسرة وقلبت الآية, حيث أصبح من المطلوب من الأسرة توفير حاجات أساسية للمطارد مثل بطاقة التلفون, الدخان, الملابس والطعام. كل هذا في ظروف بطالة وملاحقة لأفراد الأسرة ومنع تجول.

iii. بعض المطاردين اصيبوا أثناء ملاحقتهم وهكذا عاشت أسرهم مخاوف جدية على صحتهم, وخاصة عندما لم يستطيعوا تلقي العلاج اللازم تحت إشراف طبي في مستشفى خوفا من القاء القبض عليهم. بعض المطاردين بقوا معوقين نتيجة للإصابة أو توفوا مما أدى لشعور الحسرة والشفقة على الذات والشعور بالغبن والظلم الإجتماعي والسياسي لدى الأمهات. أما البعض الآخر فقد اعتقلوا وعانت الأسرة مخاوف شديدة على مصيرهم ومستقبلهم.

١٥) أما أصعب شعور بالفقدان فهو نتيجة للنشاط السياسي الذي عبّرت عنه النساء الفلسطينيات فهو هدم البيت نتيجة لقيام أحد الأبناء بعملية عسكرية أو إستشهادية. تكمن في هذا النوع من الفقدان طبقات متراكمة من الفقدان, يشكل فقدان البيت الطبقة الأخيرة منها. حيث يكون فقدان صحة إبن الأسرة, أو قدرته الجسدية, أو حياته, أو حريته (في حالة الإعتقال) من الفقدانات التي عانت منها الأسرة. أما هدم البيت فهو يعيد الأسرة الفلسطينية مباشرة لتجربة اللجوء وفقدان السقف المادي والنفسي. مع هدم البيت تهدم لدى الأسرة الفلسطينية الكثير من الثوابت اليومية التي لم تناقش علنا من قبل ومنها:

i. التسليم بأهمية الإنتفاضة. يتركز النقاش حول جدوى الإنتفاضة وفائدتها للأسرة والمجتمع الفلسطيني. قالت إحدى الثكالى بألم: "ابني اللي راح في مجزرة المخيم بسوى فلسطين كلها. المسلم الحقيقي اللي بشعر بشعور أخوه المسلم بس وين المسلمين؟"

ii. النقاش حول دور السلطة الفلسطينية أمام الجيش الإسرائيلي من أصعب وأكثر المواضيع المكبوتة لدى النساء هو انتقاد السلطة الفلسطينية على تشجيعها الشباب الإشتراك في العمليات العسكرية من جهة وعدم قدرتها على حماية الجمهور من رد الفعل

الإسرائيلي من جهة أخرى. بالإضافة لذلك, هنالك إنتقادات هامسة أحيانا وصاخبة أحيانا أخرى حول حق الجمهور في تعويضات مادية كافية من السلطة الفلسطينية.

iii. الصراع بين الأسرة النووية والأسرة الممتدة على حق الإبن/ة الإستشهادي/ة بأخذ قرار شخصي يضر بالأمان الوجودي والوضع الإقتصادي لكل أفراد أسرته الممتدة. هنا يكمن صراع مر وأساسي بين الأيديولوجيا وبين صراع البقاء الاولي للإنسان.

شبكات الدعم الإجتماعي: الطاقات النفسية الداعمة داخل المجتمع الفلسطيني

هنالك قيم وعرف إجتماعي داخل الحضارة العربية التي تؤكد وتثبّت وجود آليات وشبكات للدعم الإجتماعي. بالرغم من ان الضرر الإقتصادي والنفسي والمادي وقع على كل المجتمع الفلسطيني, إلا أن هنالك تفاوتات في نسب الضرر. في المجموعات الداعمة برز خطاب النساء الفاقدات كمن ساهمن في إقامة او تم دعمهن من قبل شبكات الدعم الإجتماعي. حيث نجد أن الأقوى نسبيا في كل كارثة أو فقدان تجند كليّا لمساعدة الأضعف. هذا السلوك أعطى الناس بعضا من شعور التمكين (Empowerment) وشعور القدرة على العطاء. من بين الفئات التي تجندت للدعم: الجيران, الأقارب, أهل الحي, وأهل الخير. من الأمثلة على تقديم المساعدة: إيواء من احترق أو تهدم بيتهم حيث تم تخصيص غرفة في البيت لهم, أو شاركوا أبناء البيت فراشهم وطعامهم. يصبح لهذا النموذج وزنا خاصا عندما نشير إلى أن الحديث هو عن مجتمع فقير, أثاثه أولي وبيوته صغيرة جدا ومكتظة. فإن تخصيص غرفة كاملة به تعني ان يتجمع أبناء البيت الأصلي في غرفة واحدة ويعانون في نفس الفترة من ضيق المكان. قالت سيدة ممن مررن بهذه التجربة:

"وبس فتحت الباب كانوا الجيران [الذين حرق بيتهم] تعبانين ست افراد. كانوا البنات نايمين. فيقتهم [أيقظتهم] وقلتلهم يا كل واحده تنيم عندها طفل . احنا عشره وهم ستة صرنا 11 نفر بالغرفة. قعدنا تسع أيام بالبيت قضيناها على الجبنة والخبزة والزيتون والزعتر. أهم اشي منطبخش عشان فشي مي للجلي. طبخنا مجدرة. يعني لازم ناكل عشان نوقف للمقاومة. بس فشي نفس للاكل وبدون أكل كيف بدنا نقف لهالموقف؟"

إن شبكات الدعم الإجتماعي تتجند بسرعة شديدة لتجميع ملابس لجميع أفراد الأسرة التي تهدم أو حرق بيتها, وهذا يعني أحيانا كسوة ١٠ أفراد بكل ما يحتاجون إليه للعودة لحياتهم اليومية. علاوة على ذلك, تم توفير مؤونة الأسرة المنكوبة لموسم كامل بواسطة تنازل الأسر عن بعض من مؤونتها. حيث ما زالت الأسرة الفلسطينية تشتري مؤونتها في المواسم لكل الفصل. أيضا يتم تجميع أموال الزكاة للأسرة وتُقدم الوجبات اليومية على مدار شهر بالتناوب بين الجيران للأسرة

المنكوبة, حتى لو كان ذلك مما يتوفر من البقول مثل العدس أو من المخبوزات مثل المناقيش بالزعتر بسبب ضيق ذات اليد للجميع. لتلخيص مفهوم التكافل الإجتماعي في الإنتفاضة الثانية قالت إحدى المشاركات:

"حرحك جرحي لازم يكونوا المسلمين هيك".

عندما تشارك إحدى الأسر التي نكبت سابقا في توفير أي نوع من المساعدة للأسر التي نكبت لاحقا فإنها تشعر بقدرتها على الإستمرار في أداء دورها الإجتماعي والديني وأنها ما زالت تشكّل مصدرا للتكافل الاجتماعي وأنها تستطيع أن تعيد للمجتمع بعضا من السند الذي وفره لها أثناء حاجتها هي له. إن هذا النوع من سداد الواجب الإجتماعي والديني يساعد الأسرة على الشعور بأنها عادت لوظيفتها السليمة (social functioning) وأنها ليست عالة على من حولها.

من جهة أخرى, يساعد هذا النوع من التعاضد الإجتماعي على هضم معنى التجربة الأليمة التي مرّت بها الأسرة ذاتها. حيث أنه عند حرق المنزل أو هدمه, لا يستطيع أفراد الأسرة استيعاب وهضم هول الحدث. ويعاني الكثير في مثل هده الحالة من وضع الصدمة (Trauma). المشاركة في تفاصيل مساندة أسرة أخرى تمر في نفس الظروف, يجعل كل فرد يتأمل من جديد ويراجع ويتفهم الكارثة التي حدثت له أو لها سابقا. التأمل في الذات في تلك المرحلة, وخاصة عند سلوك به عطاء للآخرين يؤكد للفرد أنه/ا في مرحلة إعادة الأهلية (Rehabilitaition).

بالرغم من كل ما قيل, لم يستطع الأقارب والجيران دائما تقديم المساعدة للأسرة المنضررة حالا لأن الجيش يبقى أحيانا محاصرا المنطقة لفترة طويلة, مانعا التجوال للجميع.

الأساليب التناقضية (paradoxical) في حماية الأسرة لأبنائها

كشف الحديث داخل المجموعات الداعمة أن الأهل (الآباء والأمهات) فضلوا أن يُعتقل أبنهم على أن يستشهد. كانت النساء تعبر عن مخاوفها في المشاركة في هذه الفكرة لأنها تتناقض مع الخطاب العام السائد الذي يدعو الأسر لتشجيع أولادهم للتضحية بأرواحهم من أجل الحق الوطني العام. وجدت النساء أذنا صاغية, تفهما وتشجيعا لدى باقي النساء للإفصاح عن أفكارها ومواقفها فإن الكثير من الأمهات, واللاتي حكين أيضا باسم أزواجهن, اعتبروا إعتقال, مع كل ما يحمله من خبرة لفقدان الحرية الشخصية والمعاناة النفسية, وحدوه مكانا يحرس ابنهم من القتل بنار الجيش الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية. إحدى الأمهات قالت أن زوجها ضرب ابنه لأنه اشترك في مظاهرة ورشق أحجارا وهدده أن يبلّغ الجيش عنه إذا ما كرر مشاركته في أحداث الإنتفاضة. والدة

أخرى أخبرت الجيش عن مكان إختفاء إبنها في البيت حتى لا يستمر في نشاطه العسكري ويُقتل على أثرها." مجرّح ولا مقتول" كان المنطلق الذي قادها في اتخاذ القرار.

الموقف الأخلاقي والعاطفي الذي يضع الأهل أمام وضعية حتمية لإختيار نوع أذى معين لأحبائهم بهدف منع نوع أذى أصعب وأشد خطورة أدّى لوضعية تنافر ذهني وعاطفي (Dissonance) لدى الأهل. فإن مفهوم حماية الوالدة لولدها لم يكن مفهوما ضمنا عندما صرّحت المرأة أمام نفسها, ثم, وهذا الأصعب, أمام جمهور النساء داخل المجموعة أنها سلّمت إبنها للجيش. فإن هذا السلوك يفسّر رأسا ومباشرة للوهلة الأولى أنه تعاون مع العدو, دعم للإحتلال, خيانة للقضية الوطنية ومس بأمان الأسرة. أمام كل هذا, تصرفت الأم بتلقائية وبالسليقة. قالت النساء اللاتي مررن بهذا النوع من التجارب, انه ولوقت طويل بعد هذا, كان النقاش دائرا بين المرأة ونفسها وبينها وبين أسرتها أو بيئتها حول قرارها أو قرارها وقرار زوجها. وهذا الصراع المتعدد الأذرع, النفس-داخلي والأسري والإجتماعي يجعلها غير متوازنة نفسيا, غير واثقة من حكم البيئة عليها وغير مطمئنة بالنسبة لدورها الأمومي الحامي. قالت والدة شاب بتوتر شديد ودفاع عن الذات:

انا يختي مش زي الاميات انا كثير بحب إبني ولما إجى الجيش خفت كثير عليه. انا كان ابني مطارد مع ابن الجيران بس لما الجيش حاصر البيت وابني هرب اجى الجندي وسألني وين إبنك خفت على إبني أحسن يطخوه وهو هارب. عشان هيك قلت الهم وينه. قلت: يسجنوه ولا يطخوه. انا كثير بحب ابني مش زي باقي الاميات اللي بقولوا لابنهم اهرب واذا هرب وطخوه والله بموت بلاه. وهياه إبني راح يطلع. مش مطوّل بالسجن. هدول [الجنود الإسرائيليين] كانوا زي المسعورين بطخوا على كل إشي واي اشي بتحرك وكانت الدنيا ليل والجيش محاصرين كل الحارة مش بس البيت.

أوجه التحرش الجنسي: وسيلة حرب يستعملها جيش الإحتلال تسبب ضائقة نفسية وإجتماعية

مفهوم الحشمة من أهم مفاهيم السلوك الإجتماعي العام للإنسان العربي والمسلم ويعتبر من الرموز السلوكية العامة Social Behavior Codes المتفق عليها. بسبب مفاهيم الحشمة, الحجاب والعيب. فهنالك الكثير من السلوكيات التي تُقبل في مجتمع معيّن ولكن تعتبر خدشا للحياء العام أو ضربا من انواع التحرش الجنسي في المجتمع العربي. لا يمكن تفسير الأمثلة التالية فقط تحت عنوان فروقات حضارية بين أفراد الجيش التابعين للحضارة الإسرائيلية ولكن هنالك سلوك مدروس ومقصود يهدف السيطرة على الإنسان الفلسطيني. يتضح هذا جليا من الأمثلة التي حكت عنها النساء في المجموعات الداعمة والتي تشغلهن وتخيفهن على مصائرهن ومصائر بناتهن:

أ) هنالك تحرش بالنساء بهدف إثارة غيرة الرجال المطاردين المختبئين تقود لتسليم أنفسهم. قالت مشتركة:

"زوجي مطارد. دخل البيت وغير ملابسه وكان في ملابسه الداخلية. دخل الجيش البيت احنا زوجي بسرعة ولما سألني الجيش عليه أنكرت وجوده. فصار أفراد الجيش يتحرشوا، ويتغزلوا ويحكوا ألفاظ جنسية بذيئة"

كل هذا بصوت عال بهدف إغضاب الزوج وإثارة حميته والتسبب في تسليم نفسه. يضع الجيش الزوجين أمام تجربة صعبة جدا في العلاقة بينهما: فهو مطارد لأنه يريد أن يحمي وطنه، ولكنه داخل بيته لا يستطيع أن يحمي زوجته من إعتداء مباشر فظ ومعلن داخل بيتها/بيته. إذا قام بحمايتها بواسطة مواجهة الجنود المتحرشين، فحتما سيؤدي هذا الى إعتقاله أو قتله وبهذا لا يكون قد حماها حقا وفعليا إنما يكون قد حمى صورته كزوج. أما إذا لم يحمها فمن الممكن ان تنظر إليه علنا او سرا على أنه نذل، خاف على نفسه ولم يخف عليها. هذه التجربة الزوجية من أصعب تجارب المأزق المزدوج (Double Bind) الذي تعيشه الأسرة العربية. من تعريف وضعيات المأزق المزدوج أنه الأرضية التي ينشأ بها فصام الشخصية. ام معتقل حكت عن ابنها بحرقة داخل إحدى المجموعات:

"من بداية الانتفاضة كان مطارد ولا يسكن في بيته الا انه في احتياج الاربعين يوم فرر انه يزور البيت، وهو متزوج وعنده ابن وبنت. وبعد اقل من ساعة وكان في ملابسه الداخلية بس حضر الجيش الى البيت وحاصروا البيت وطلبوا من زوجته ان تفتح الباب ولكنها رفضت. هددوها انهم رايحين يعتدوا عليها. كانوا خمسة جنود. مرته تحدتهم وقالت لهم: "تعالوا هيني قدامكم" ولكن ابني سلّم نفسه للجنود على الفور. الجنود ربطوه قدام أولاده الصغار واخذوه الى الجيب [السيارة العسكرية] وراحوا. وقررت المحكمة حبسه لمدة أربع سنين. هذه مش اول مرة بعتقلوه فيها. في الإنتفاضة الاولى اعتقلوه وانحكم عليه لمدة ١٥ سنة. بعدين أفرجوا عنه بعد محادثات السلام. زوجته، أهلها ساكنينا في القدس. رجعت بعد ما انسجن ابني لبيت اهلها مع أولادها. من يومها ما شفتهم. بالرغم من الوجع لأنه بالسجن الا انه أرحم من ان يكون مطارد ويمكن بأي لحظة يغتالوه ويطخوه. على الاقل بالسجن بضمن انه عايش مش ميت"

ب) تبوّل أفراد الجيش أمام مدرسة بنات وكشف أعضائهم الجنسية أمامهن. يقف جمهور المعلمين والأهل مكتوفي الإيدي أمام هذا السلوك حيث لا يستطيع أيا منهم إبداء أية ملاحظة حول السلوك الشخصي لأفراد الجيش. يبقى أمامهم أن يأمروا الطالبات بحدة وخشونة أن لا ينظرن بإتجاه أفراد الجيش وكأنهن هن المذنبات. في هذا السلوك هنالك

إستضعاف إضافي للمقموع واستعمال جهاز دفاعي به إبدال أو نقل Displacement, بمعنى الغضب من سلوك الطالبات بدل الغضب من سلوك الجيش.

ج) طلب أفراد الجيش من الشباب تقبيل فتيات غريبات عنهم عند الحواجز بهدف الكسر المتعمد لأجهزة قيم إجتماعية, أو بالمفهوم الشعبي "كسر شوكة" الأخلاق الإجتماعية للفلسطينيين. يقف الشباب والصبايا, ونتيجة لهذا الطلب, أمام جهازي ضبط: العسكري (الغريب والمعادي) والإجتماعي (الداخلي والأصيل (authentic. يدفع الإنسان عمره أو صحته أو حريته ثمنا لكسر قوانين هذين الجهازين. وحيث أن كسرالقوانين الإجتماعية تصبح في هذه الظروف الحل, فإن الجيش بهذه الطريقة يقرض عمدا جهاز القيم الأخلاقية بهدف تقويض أحد أهم الأعمدة للضبط الإجتماعي في المجتمع العربي. في إحدى الحالات ضرب الجيش الشاب ضربا مبرحا بعد كل مرة رفض بها أن يقبّل صبية غريبة عنه لم يلتق بها في حياته، حتى قامت هي ومسكت رأس الشاب وقبلته حتى يتركه الجيش وشأنه. سلوكها هذا أيضا يعرّضها لوضع تنافر ذهني Cognitive Dissonance بالإضافة لتعريض نفسها للمخاطر الإجتماعية للإشاعات الناجمة عن عدم تفهّم سلوكها هذا في سياق ذلك الموقف غير العادي. هذا مثال إضافي لوضعية المأزق المزدوج Double Bind الذي يعيشه المجتمع الفلسطيني.

د) ادّعت بعض النساء أن الجيش خطفوا امرأة في الأربعين من عمرها وأدخلوها للمجنزرة وهناك تحسس خمسة جنود جسدها بادعاء أنهم يريدون تفتيشها. سواء أكانت هذه القصة حقيقية أم مختلقة, فإنها تنشر الهلع والخوف فيما يخص موضوع الحشمة كلما جاءت الجنزرات العسكرية للحي.

ه) كشف عورات الشباب أمام باقي أفراد أسرتهم. في إحدى الحالات إقتحم الجيش البيت وطلب من شاب أن يخلع ملابسه فبقي في البنطال الشورت. الجندي فرض عليه أن ينزل ملابسه أمام الجميع حتى يتأكد أنه لا يخفي داخلها أي شيء. يعتبر هذا السلوك داخل الأسرة الفلسطينية عملا شائنا اغتُصب الشاب على فعله وباقي الأسرة على مشاهدته.

و) كشف عورات الفلسطينيين الرجال والنساء في الأماكن العامة. إن سقف الإذلال الشخصي وإشعار الفلسطيني أنه لا يملك زمام أمره بلغت أوجها في الأوقات التي كان الجنود يتحكمون في الحاجات الشخصية للإنسان. عندما كان الجنود يأمرون سكان حي الخروج والتجمع في مكان عام بهدف تفتيش بيوتهم بحثا عن مطاردين, كان الوقت يطول لساعات. كانت النساء والأطفال يتجمعون في دائرة والرجال والشباب يتجمعون في دائرة أخرى. كان الفلسطينيون يقفون تحت الشمس أو البرد يعانون الجوع والتعب. وعندما

يحتاج أي منهم قضاء حاجة كان يُمنع منها أو يُطلب منه فعل ذلك أمام الجميع. بهذا إذلال بالإضافة لمحو الكرامة الشخصية والتعامل مع الفرد كمعوق أو طفل غير مسؤول عن سلوكه وفي أسوأ الحالات التعامل معهم كحيوانات لا حياء لها Dehumanization. كمثال لهذا النوع من حدث الحياء والإذلال قالت إحدى النساء:

في اليوم الخامس والسادس شفنا الرجال قدام دارنا مغمغمين ومربطين ومشلحين ومشوا بالشرطات [البنطال القصير] أو بملابسهم الداخلية. اليهود حطوا كل الملابس والبلفونات [تلفون الجوال] والساعات في مكان والصفحة طلعت فوقهن وتفقعت البلفونات... والملابس تمزعت. يعني الواحدة عيب تنطلع [تنظر] على الرجال.. هاي عورة.. اليهود أهانونا يعني واحد عمره خمسين سنة يخرج بالشرط مش هاي أكبر إهانة؟ ...النسوان اللي بدهم يبولوا يحكوا للجنود ياخواجا بدنا انبول ويقول الجندي „ أعملها على حالك. اجت النسوان وعملن دائرة واللي بدها تبول بتقعد بالنص. النسوان بغطوا بالجلابيب عشان يستروا العورة.

هذا النوع من المواجهات تسبب صدمة نفسية Trauma لأنها تضع الفرد أمام تجربة لم يكن قد تعوّد عليها مع افراد أسرته أو سكان الحي الذي يعيش به. هي تجعل الفلسطيني يكسر حواجزا تربى على بنائها والمحافظة عليها. بعد إنتهاء الإحتجاز يبقى الخجل والحياء من السلوك الشخصي أمام الآخرين وكأن الإنسان فعل ما فعل بمسؤوليته وليس كإغتصاب لسلوكه. في المفهوم الشعبي الفلسطيني "لا يبقى للإنسان عين ينظر بها على معارفه". هنا أيضا بدل التركيز في حاجة الجندي للخجل من سلوكه يوجد تركيز على خجل الفلسطيني من سلوكه, وكأنه يقوم بدور الجندي ضد نفسه وضد زملائه في التجربة. هذا ما يُسمى في علم نفس الأقليات المقموعة "التماهي مع الظالم" (Identification with the Opressor).

المشاكل السايكوسوماتية

من النتائج الأولية التي يشير لها بحث ميداني أجري على ٣٠٠ مرأة, أن نسبة الشكوى من الأمراض الجسمية أثناء الإنتفاضة الثانية مقارنة مع الفترة قبلها قد زادت بمعدل٣٩٪, بينما زادت زيارة الطبيب المتكررة بنسبة ١٦,٧٪ كما وارتفعت نسبة تعاطي المسكنات والأدوية بصمة مستمرة من ٢,٧٪ إلى ٣١,٦٪.

من المعروف في مجال الصحة النفسية للنساء في العالم العربي أنهن يلجأن لوصف وضعهن النفسي بالإشارة لوضعهن الجسدي مثل أن تقول الحزينة: "قلبي بوجعني", او أن تقول المكتئبة: "جسمي ذاب ذوب" وتقول الغاضبة: "بحس راسي بطلع منه نار". فإن الوصف

السايكوسوماتي يرافق ثقافة المواجهة العامة للأزمات النفسية لدى النساء في الثقافة العربية. نتيجة للفقدان والوضع النفسي السيء في الإنتفاضة الثانية, شكت الكثير من النساء من مشاكل سايكوسوماتية, سببت أحيانا في تغّيب المرأة عن اللقاءات, بالرغم من الحرص الشديد على الحضور والمتابعة. يخدم هذا المرأة الفاقدة لأن بيئتها تمنعها عن التعبير المتكرر عن نفسيتها إذا ما كانت ضائقتها كبيرة وحاجتها للتنفيس طويلة. عادة ما تتهم المرأة كثيرة الشكوى النفسية من أنها غير صابرة فتزجر ويُقال لها "وحدّي الله وتصبّري بالله" أو تُخوّف من عاقبة تهويل مشاعرها "حرام تعظيم الأمور, بكره بصير إشي أصعب عليك". تكون نتيجة إخراس النساء عن التعبير عن آلامهن النفسية تطوير آلام جسدية.

إن الإستراتيجية "الأفضل" للنساء الفاقدات المحروسات أن يتبنين أمراضا سايكوسوماتية.

أولا: لأن الأمراض السايكوسوماتية مرئية وملموسة, حيث بالإمكان قياس ما يرافقها من ارتفاع نسبة السكر أو الضغط العالي او رؤية الإنتفاخ في العينين.... الخ.

وثانيا: لأن المرأة تحظى بمرافقة من يهمهم أمرها, مثل زوجها, أقاربها أو جيرانها, للزيارات المتكررة للطبيب.

وثالثا: على عكس الأمراض النفسية, كلما طالت مدة المرض السايكوسوماتي, تحظى المرأة بالشفقة والتقدير لمصابها الذي سبب لها المرض. وكأن التنازل عن الصحة الشخصية هو تضحية مقبولة ثقافيا تُظهر به الفاقدة إخلاصها وحبها الصادق للمفقود.

قالت إحدى النساء مشفقة "أمي بكت على إبنها لحد ما عماها السكري. اليوم يا حرام ما بتشوف طريقها". وقالت والدة أحد الأسرى: "الواحد بتعب بنضغط. بس أفكر إنه بالزنازين بالسجن بنضغط. عينيّ من الضغط والسكري بطّلت اشوف فيها".

أمام ثقافة الشفقة على الذات, كان إقناع النساء في حقهن في الإستمرار في حياة كريمة صحية خالية من المعاناة المضافة على معاناة الفقدان والتي تسببها أو تساهم المرأة بتكريسها ضد نفسها, من المهام الصعبة في إدارة المجموعات. تزداد صعوبة المهمة نتيجة الخلفية الثقافية للأسرة العربية التي تؤكد على أن الأمومة تضحية وفناء وليس بناء وهناء.

الطرق الشعبية التي عبّرت بها النساء عن مشاكلها النفسية

سمحت المجموعات الداعمة للنساء الحديث بطريقتهن وباستعمال تعابيرهن للكشف عن الأوضاع النفسية التي كن يعشنها. كان توجه الميّسرات فيه إحترام شديد لطريقة تعبير المشتركة وللهجتها وللغتها. ولم يُفرض عليها أي تشخيص نفسي فيه تمريض لوضعها. كانت لغة الجميع مفهومة ويومية. من جهة أخرى، ساهم توثيق الجلسات حرفيا في تحليل والتعمق في الوضع النفسي للمرأة الذي عبّرت عنه بأسلوبها.

عبّرت بعض المشتركات عن وضعها النفسي بواسطة وصف لسلوك خارجي يُحكم عليه في وقت عاديّ بأنه غير مقبول. يدل هذا على فقدان القدرة على ضبط الذات. قالت إحدى المشتركات: "لمّا بدا البيت ينحرق نزلت عند الجيران بالبيجاما". وعبّرت بعضهن عن الإكتئاب بالشعور بالوقوف في نفس المكان دون أي تغيير فقالت إحداهن تصف نفسيتها المكتئبة: "اليوم زي امبارح وبكره زي اليوم" وقالت أخرى عبّرت عن يأسها من حدوث إيجابيات في حياتها "والله لو ملكوني الدنيا كلها من المحيط للمحيط ما بكون مبسوطة"، وقالت ثالثة يئست من الحياة الدنيا وأمّلت نفسها بالتعويض في الآخرة. فعزفت عن الحياة تماما "هاي الدنيا زايلة والمهم الآخرة". وقالت أم اعتُقل أبناءَها واحدا تلو الآخر كتعبير عن الحزن والإكتئاب المزمن (Chronic Depression) الذي رافقها:

يوم ما اعتقلوا الكبير ما أكلت أربعة ايام و لا لقمة. ويوم ما اعتقلوا الثاني بطّلت أحس شو طعمة اللي باكله. كله نفس الشي".

كان رد فعل الأخريات على عدم القدرة على تحمل الصدمة أو 'كرب ما بعد الصدمة" PTSD[4] بوصف ضغوطات جسدية شديدة. قالت إمرأة فقدت بنتها وابنها واعتقل زوجها:

'أنا بقدرش اضل عايش نفس القصة وأعيد فيها. كل ما بفكر بشو صار بحس إني بدّي افقع"

مجموعة ثالثة عانت من خدر المشاعر Desensitization. قالت إحدى المشاركات والتي عانت من تراكم الفقدان 'لو تنقلب الدنيا فوقاني تحتاني ما بتأثر ولا بتحرك ولا بخصني". وقالت امرأة أخرى تعاني من نشاط المقاومة لإبنها المطارد والذي يَبقى حياته في خطر مستمر 'انا وفتيها

---

[4] Post Traumatic Stress Disorder

حسيت مي بارده و نزلت عليّ. يعني اذا هو مش سائل برّدت. قلت ليش انا معذبه حالي هيك" كانت هذه المجموعة بحاجة للوصول لهذا التخدير حتى تستطيع مواجهة الحياة اليومية. من بين هذه المجموعة هنالك بعض الأمهات لمطاردين طلبن ان لا تُنقل لهن أخبار أخطار مطاردة أبنائهن حتى يجنبن أنفسهن المزيد من حالة القلق التي عشنها باستمرار. من جهة أخرى, لم تعد هذه المجموعة تمتلك القدرة على مشاركة باقي أفراد أسرتها بالفرح العادي أو الخاص. فعندما خطبت ابنة إحدى النساء في هذه الفئة لم تشارك الأسرة فرحها وكأن الحدث يتبع أغرابا لا تربطها بهم صلة. وهكذا انتقلت الأم لوضع الفصل النفسي Dissociation والعزل العاطفي Isolation. وصفت أم عدة شباب مطاردين وضعها النفسي بعد سنوات من القلق 'هسه أنا جثة'.

الحديث التالي لإحدى الصبايا (١٩ سنة) التي إعتُقل خطيبها يعكس وضعها النفسي وأسلوب التعبير عنه:

شعرت أنه كل شيء راح وخاصة أني فقدت فرحتي وأخذوه باليوم اللي كان فيه كتب كتابي ودون أنه نقدر المدافعة عنه. شعرت كل شيء انهدم وجسمي انشل. وبطّلت قادرة أحس بأي شي. وصرت احكي وأصيح بدون ما أعرف شو بحكي. وكان بنفسي أروح معاه. والله يعين كل واحد على بلاه واللي بشوف مصيبة غيره بتهون عليه مصيبته والحمد لله أنهم اعتقلوه وما إنصاب بأي خدش أو إصابة. أنا تعبت كثير حتى بطّلت أخرج من الدار واكتأبت ولبست الحجاب لأني شعرت انو الحجاب بحميني وصرت أروح وآجي براحة وحرية ولبس الحجاب كان مطلب خطيبي وهذا الذي كان ريحني كثير

ضغوطات جسدية ونفسية نتيجة لإصابة جسدية أو نفسية لأفراد العائلة

١) زادت الضغوطات داخل الأسرة نتيجة الحاجات الخاصة للإبن المصاب والتي تتركز معظم أعبائها على الوالدة ولكنها تمس في التالي كل الأسرة. عندما يكون المصاب في المستشفى يترك الأهل باقي أولادهم ويلزمون سرير المصاب. يؤثر هذا ماديا على الأسرة حيث يخسر الوالد دخلا ضروريا ومن ناحية أخرى يُصرف الكثير من المال في الإنتقال من البيت للمستشفى. أما إذا اختار الوالد أن يداوم في عمله فتقع كل المعاناة على الأم حيث يتطلب أحيانا وضع المصاب حَمْله وإزاحته وتقديم خدمات متواصلة له تسبب عبئا جسديا بالإضافة للعبء النفسي. قالت والدة طفل في التاسعة من عمره أُصيب في رجله بحالة شلل مستديمة نتيجة رصاصة :

"ابني ما بقدر يشيل الجهاز عن رجله بالمرة إلا وقت النوم يعني لو بده يروح على الحمام نص الليل لازم يحط الجهاز وأفيق وأكون معه.

يتطلب أحيانا علاج المصاب الإنتقال بين المستشفيات أو الإنتقال من مستشفى داخل إراضي السلطة الفلسطينية لمستشفى في الخارج. وهذا يشّكل ضغطا أضافيا مركّبا على أقتصاد الأسرة وسير يومها وتشابكها. في كثير من الأحيان تكون هذه هي المرة الأولى التي تسافر بها الأم وحدها خارج البلاد, أو المرة الأولى التي يتركها زوجها وحيدة لفترة طويلة مع باقي الأولاد حيث يتابع هو علاج الإبن خارج البلاد. على أية حال, تؤدي إصابة أي من أفراد العائلة عبئاً نفسياً ومادياً وتغييراً لسير الحياة اليومية لكل فرد داخل العائلة.

٢) بسبب الإهتمام بالإبن/ة المصاب/ة تثار غيرة باقي الإخوة والأخوات ويسمع تذمرهم. ولكنهم يُلامون ويُردعون عن التعبير عن مشاعرهم من قبل الأهل والأقارب وبهذا تضاف لمشاعر الغيرة مشاعر الغبن من الأهل والقهر والحقد على المصاب/ة. هذه المشاعر عادة لا تجد لها متنفسا أبدا في أي إطار لأن المجتمع لا يشّرع الغيرة ولا يشرّع انتقاد مصاب الإنتفاضة.

٣) هنالك الكثير من الامهات اللاتي إشتكين من تغيير سلوك الأبناء بعد إصابة إخونهم أو أخواتهم. بسبب الغمر النفسي (Psychological Saturation) للوالدين بالمصيبة التي ألّمت بهم, فلم يكونوا جاهزين لتقبّل أي مشكلة صغيرة من أي إبن أو بنت في الأسرة, وهذا به عدم تقبّل للأبناء. عادة ما يظهر ضيق الإخوة والأخوات من الوضع بواسطة التبول الليلي, التراجع الدراسي, العصبية, العصيان أو الغياب المتعمد عن البيت. كل هذه السلوكات تُدخل الأهل لحيرة ولمواجهات غير صحية مع أولادهم, يشعرون بها أنهم ضحايا متتالين لما يصيب أسرتهم جرّاء الإصابة. أم حسام فقدت إبنيها في الإنتفاضة في فترة ٣ أشهر. فجأة أصبح إبنها الثالث البالغ من العمر ١٦ عاما, البكر في البيت. الإبن يشعر أن أمه لا تطيقه وتفضل أخويه الشهيدين عليه. يطلب أن يعود لحياته العادية والأم تمنعه من هذا بسبب الحداد الذي تعيشه. عندما أراد أن يمسك ملابس إخوته زجرته فنشاجرا وقالت له أنها كانت تتمنى لو أنه هو الذي مات وليس ابنيها الآخرين. الإبن أصبح عنيدا وعنيفا وصار مصدر إزعاج وتوتر لها.

بسبب التبول الليلي المزيد من المهام البيتية للأمهات والمزيد من قلقهن النفسي على أولادهن. وما يزيد من وقع هذا على شعور الأسرة بالضيق أن الأسر تنام في غرفة واحدة في الليالي التي يتواجد بها الجيش في المنطقة للإحتماء معا في أكثر غرف البيت أمانا.

٤) ظاهرة أخرى هي أن الأطفال يطلبون النوم في سرير أهلهم للشعور بالأمان وهذا يؤدي الى شعور الأهل بالتعب الجسدي المستمر وبعدم حصولهم على القسط الضروري من الراحة.

الصراع بين الأسرة الممتدة والأرملة بعد تجربة الفقدان

القاعدة الثابتة في علم نفس الأسرة هو أن الصدمة أو المصيبة تعمل دور المادة الكيماوية الفاحصة لثبات الأسرة. تُفَسِّخ هذه المادة داخل الأسر المفككة- والتي لم تحل مشاكلها بطرق سليمة- عناصر الأسرة عن بعضها البعض, أي تبرز مشاكل قديمة متراكمة وغير محلولة وتؤدي بالتالي إلى التفكيك النهائي للأسرة. أما داخل الأسر المتماسكة والسليمة, فتساهم في استمرار تماسكها وبلورتها وصقلها وإحكام الأدوار والعلاقات السليمة داخلها. بعد الفقدان, تشكّل الضغوطات الأسرية داخل الأسرة الممتدة أسبابا تُضاف للفقدان, وتراكم الضغوطات النفسية على الأرملة وعلى أهل الشهيد.

هنالك بعض المفاهيم الإجتماعية التي تعطي شرعية لمحاربة الكنّة من قبل أهل زوجها (F.o.O) :Family of Origin وهي إعتبار الزوجة التي لا تتبع أصلا لأقارب العائلة (إبنة عم/ة, خال/ة وما أشبه) غريبة عن الأسرة. وتبقى هذه النظرة مرافقة للكنّة بغض النظر عن عدد السنوات التي تقضيها ككنة في الأسرة الممتدة للزوج.

تحاول الاسر الممتدة أن تجد تفسيرات لحيثيات إستشهاد إبنها. بهذه العملية هنالك سيرورة نفسية لهضم ما حدث. من جهة أخرى, هذه العملية تعطي للأسرة شعورا واهما بأنها- وإن أدركت حيثيات الإستشهاد- تستطيع أن تسيطر على المراحل, وبالتالي, تستطيع أن تمنع حادثا مشابها لاحقا. فمثلا, إن خرج الزوج للبحث عن خبز في ساعة متأخرة من الليل وقُتل, فتحاول الأسرة الممتدة التأكيد على عدم وجوب طلب الزوجات من الأزواج مثل هذا الطلب لاحقا وضرورة إهتمامهن بشؤون البيت أفضل من هذا. وفي مثل هذا المثل يعد سوء إدارة الزوجة لشؤون بيتها السبب المباشر في مقتل زوجها.

عمليا, تخرج الأسرة الممتدة, والتي أجّلت أو أخمت خلافاتها مع الكنة, كل غضبها عليها حال استشهاد الإبن. ويحاولون تجميع كل التفاصيل حول استشهاده بهدف تذنيب الكنّة. قالت إحدى الأمهات التي تصاوب إبنها:

إبني ما حملني الذنب. بس يوم ما يكونوا عيالي قاعدين معانا [أهل الزوج] قالوا: الله يجازي إلّي كان السبب. وكأني انا السبب. لليوم بحس أني مسؤولة. بقول لو أني ما فتحت الباب للجيش ما كان إبني تصاوب!

أما بالنسبة لنساء المطاردين, بالإضافة لمعاناتهن المستمرة وطويلة الأمد للضغط والتوتر والحرمان الذي عشنه نتيجة لنمط الحياة الذي فرض عليهن بسبب مطاردة الزوج, فإنهن يُلمن عند

استشهاد الزوج من قِبل أسرته. حيث تدّعي الأسرة(F.o.O) أن الزوجة كانت السبب في القتل لأنها تلّح على روحها الخاطرة في حياته والقدوم للبيت لإيفائها حاجاتها. وعلى الأغلب تقصد الأسر هنا الحاجات الجنسية وكأن الزوجة تُلام أو تُعاير بهذا المطلب.

اللوم الآخر وقع على الزوجات اللاتي طلبن من الزوج العمل في مهنة معيّنة أو في منطقة معينة لتحسين الأحوال المادية وهناك قَتل تُتهم هذه الفئة بالتسبب في مقتل الزوج بسبب الجشع المادي وعدم الإكتفاء. تسعى الأسرة الممتدة لأن تشعر الزوجة بالذنب على ترملها وخسارتها لزوجها. هذه المسؤولية على مقتل إنسان تصبح عبئاً نفسيا شديد الوطء على الأرامل لا يساعدهن في مواجهة الفقدان. ولا في رعاية نفسيات أطفالهن الذين فقدوا والدهم.

أحد الأسباب المركزية التي تؤجج الصراع بين الأرملة والأسرة الممتدة للشهيد هو التعويض المادي أو الدخل الثابت المصروف لأسر المصابين أو الشهداء. تسعى أسرة الزوج (F.o.O) للسيطرة على مدخول المرأة, لأنها تشعر أنها الأحق بهذا المعاش لأنها فاقدة 'مش أقل منها" ولأن الشهيد 'طلع من كيسها هي". أحيانا يحرض أهل الشهيد أولاده ضد والدتهم الأرملة بسبب نقود التعويض.

عمليا يعيد هذا الصراع لصراع سابق جوهري حول مدى استقلالية الأبناء المتزوجين من أسر غير أسرة الوالدين الأصلية. فإذا نجح الأبناء الذكور بالإستقلالية المادية النسبية, ترى أسرة الشهيد أن من حقها شعوريا وإجتماعيا ودينيا ضم أسرة الشهيد, وبضمن هذا, ضم دخله لدخلها وبهذا. يحاول أهل الزوج السيطرة المادية على الأرملة كوسيلة للسيطرة على إستقلاليتها بعد الترّمل خوفا من خروجها عن طوعهم. بعض الأرامل وجدن حلا وسطا بخصوص نقود التعويض وهي Žرشوة أهل الزوج بواسطة شراء بعض الحاجات شهريا لهم, أو كما عبّرت إحدى المشتركات : "تسكتهم بجلباب لعمتها, بسجادة للبيت".

تعد هذه الصراعات من الأزمات الإضافية المرافقة للفقدان وبها تجربة تحويل الفاقدة لضحية للمبنى الإجتماعي وللعادات وليس فقط للفقدان الأساسي. يعطي أهل الزوج أنفسهم الحق بهذا النوع من الصراع ضد الأرملة مستعملين: العادات, بعض التفسيرات الدينية, تهديد الأرملة بإستعمال الإشاعات والقيل والقال ضدها, وباتباع الكثير من إشفاق المجتمع عليهم.

تعد الإشاعات المنشورة ضد الأرملة من أهم وأخطر وسائل الضغط الإجتماعي المتبعة للسيطرة على سلوكها. هنالك الكثير من الأرامل اللواتي ينصعن لطلبات أهل الشهيد, دون أن يكن مقتنعات بها, ولكن حتى لا تتشوه سمعتهن أمام من حولهن, بما فيه أبنائهن وبناتهن. وبالطبع بسبب هذا ضغطا نفسياً شديداً يُضاف للفقدان الأساسي.

في بعض الحالات, وخاصة عندما تكون الأرملة دون أطفال, أو شابة مع أطفال صغار, وعندما تستطيع أسرتها الأصلية مراعاتها, أو عندما تكون لديها مهنة تستطيع ضمان دخل ثابت لها, تأخذ أطفالها وتعود للسكن لدى أسرتها الأصلية. في أحيان أخرى, وعندما تريد العودة لبيت أهلها, تفرض عليها أسرة الزوج ترك أطفالها لعنايتهم, فاقدة الحق في حضانتهم. هذه القرارات أو تلك, تحمل دائما مخاوف كبيرة ومركبّة بالنسبة للمستقبل.

حيث لا يكون هنالك أي شيء واضح أمام الأرملة. فهي أحيانا تستطيع أن تتزوج مرة أخرى من غريب ولكن بثمن تنازلها عن أولادها. في بعض الأحيان تتزوج الأرملة سلفها, أخ الزوج, متنازلة عن شعورها الحميمي أو قدرتها على الإختيار. وفي معظم الوقت, يرافق هذا الحل شعور متبادل من قبل الزوج والزوجة بسلوك سفاح المحارم. ولكن السواد الأعظم من الأرامل لا يستطيعن أن يتزوجن مرة أخرى وخاصة إذا أصّرين على البقاء مع أطفالهن. وهكذا تفقد الحميمية والعلاقات الجنسية من حياتها الشخصية بغض النظر عن جيلها أو رغباتها. في كل هذه الحالات, هنالك فقدان إضافي وتراكم للضغوطات النفسية الناجمة عن القرارات الشخصية في السكن. والحضانة التي تُتبع نتيجة للفقدان.

بعض الأرامل تحتمي اجتماعيا بابنها البكر, بغض النظر عن جيله, فتسحبه لكل مكان. وهكذا تحوّله بعد الفقدان لولد/ولي أمر parent child. بهذا قلب للأدوار فبدل أن تحمي الأم أبنها تتوقع أن يحميها من الأهل والمجتمع. أما بعض الأرامل الأخريات فحكين أنهن يحتمين بوالدتهن التي تقف أمام الحمى والحماة.

يشتعل صراع آخر بين أهل الشهيد وبين أرملته حول مفهوم ومعنى الفقدان لكل طرف. يُطرح الموضوع للنقاش أمام المعزين من فئات المجتمع الذين يزورون الطرفين ويكون السؤال الذي يُناقش بحثا عن جواب: أيهما أعمق, شعور الفقدان لدى الأرملة أم لدى الأم الثكلى؟ إن الأهداف من الإنشغال بمثل هذا السؤال أولا, التفريغ والمشاركة في عِظم المصيبة وتجسيدها أمام المعزين بقدر الإمكان وثانيا, إعادة الشهيد "ملكية أو تبعية" أهله وليس "ملكية أو تبعية" زوجته.

هنالك منفعة مادية صرفة للصراع, حيث تُحَوّل أموال التعويض مباشرة أحيانا لأهل الشهيد وأحيانا أخرى مباشرة للأرملة. بسبب الفقر الشديد للسكان الفلسطينيين, فإن المبلغ الصغير المصروف لأسر المصابين أو الشهداء يُعد نجدة, أو الدخل المضمون الوحيد, لأسر كثيرة. هنالك إنتقاد مباشر وحاد لكل طرف للسلطة الفلسطينية التي تختار هذا الطرف أو ذاك للتعويض.

سلوكيات الأمهات تجاه باقي أولادهن ما بعد الفقدان والضرورة العلاجية

١) عظيم مكانة الميت لدرجة التقديس: "الله فوق وهو تحت" قالت أم عن إبنها الشهيد لإبراز حبها وتفضيلها له.

يكف الأهل عن التعامل مع الميت على حسب من كان. ولكنهم يصورونه كإنسان فوق العادة في الحنان والأخلاق والطاعة والنجاح والجمال. أيضا يتخيلونه ذا قدرات فوق عادية وكأنه كان يستقرئ وفاته فيعددون سلوكيات يومية. ولكن ينسبون لها تحضيرا من الإنسان لموته:

"دار على كل خواته وزارهم في نفس الأسبوع"، "قال لي قبل ما يطلع بامّه انزعي عليّ"، "يوم جنازة صاحبه قال أنا لاحقه كمان شوي". يصعب هذا التعظيم للفقيد على الأسرة أن تهضم فقدانه ويكون من أهداف العلاج إعادتهم للتعامل مع ذكراه كإنسان عادي دون الشعور بالمساس بمعنى الفقدان.

٢) إهمال الأولاد وطردهم من البيت حتى يتسنى للأم الثكلى أن تتوحد مع ذكرى فقيدها دون إزعاج. وكذلك تفعل أمهات المطاردين. قالت إحدى أمهات المطاردين والذي تخشى على حياته:

"امبارح اولاد بنتي اجوا وصاروا يغاوشوا ما تحملتش. قلت الها خذيهم. تضايقت عشان ابني المطارد إله كم يوم مش متصل. بس مش كل الاوقات بكون هيك. فكرت في ابني قلت ابصر شو صار معاه. طلعت على الحيط [تعني السطح] وصرت اعيّط على حالي وعلى أولادي". وقالت أم شهيد: "محسن ابني الصغير بطلب مني آخذه على المتنزه. كيف أروح على المتنزه؟ بيقول لي "وأنا شو خصني مين بدو ياخذني؟" شو بدي أعمل؟ كيف أخلص حالي من هاي الطلبات. أي أنا الي قلب أطلع أصلا من البيت؟ وهذا لمّا ما بعطيه شو بدّو بصير يحسّ بالفعل راح أجن".

إن العودة للمهام اليومية من أقسى الطلبات على النساء الفاقدات, وخاصة العناية بشؤون باقي الأبناء والبنات. من ناحية أخرى, تعد هذه العناية من الأمور التي تساعد الفاقدة على إيجاد معاني إيجابية لحياتها. إن إهمال الأولاد يثير الغيرة البارزة أو المكنونة للإخوة الأحياء تجاه الشهيد/ة. قالت بعض المشتركات في المجموعات أن أبناءهن عبّروا عن رغبتهم في الموت حسدا من الوضع الذي آل عليه سلوك والدتهم تجاههم. ولدى مجموعة أخرى, عبّر بعض الإخوة عن تحطيطهم للإستشهاد حتى يحتلوا نفس نوع

الحب والإهتمام الذي حظي به الشهيد. كان من الضروري في مثل هذه الحالات لفت نظر الأمهات للفقدان الذي يعاني منه الإخوة، وللتغييرات الشديدة التي حصلت في أسرتهم بعد الحادث وخاصة خسارتهم للعلاقة العادية مع والديهم. تعلمت الأمهات نقل فكرة إدارة المجموعات لجلسات مع أفراد عائلتهن ومساعدة الجميع على الفضفضة والتفريغ والمشاركة في المشاعر الدفينة, الإيجابية والسلبية تجاه الفقدان. من جهة أخرى, كان لتبني الأم مبدأ "الحي أفضل من الميت" الأثر البيّن على عودة الأم للإهتمام بباقي أولادها ومحاولة مساعدتهم ونقل فكرة "الحي أفضل من الميت" للجميع.

٣) كانت هناك الكثير من الشكاوى من الأمهات في بداية اللقاءات حول التراجع الدراسي لأبنائهم و/أو بناتهن بعد فقدان الأخ/ت. تعاملت الأمهات في المراحل الأولى للقاءات وكأن هذه مشكلة إضافية يُثقل بها عليها أولادها "غير الطيّعين" و"غير الحساسين لوضعها". أثناء اللقاءات تفهمت الأم أن هذا ليس موجها ضدها وليس مبرمجا عمدا للإثقال عليها ولكنه أحد تعابير الضائقة النفسية التي يعاني منها الأولاد أنفسهم. بعد التوجيه المناسب عادت الأمهات لتوفير الأجواء العاطفية الدافئة والمناخ الدراسي المناسب داخل العائلة. ساهم هذا في شعور المرأة بفائدتها وبحسن إدارتها لشؤون أبنائها وبناتها وبسيطرتها على توفيرحلول بنّاءة لمشاكل أسرتها.

٤) بعض الأرامل اللاتي يعانين من توتر نفسي شديد كن يهددن أولادهن في ساعات الضغط أنهن سوف يتركن البيت والأولاد ويلجأن لأهلهن! هذا يترك باقي الأولاد في حالة فزع وعدم إستقرار.

٥) حرمان الذات من أنواع الطعام كتماهي مع حرمان الإبن/ة منه. والدة أخبأت البزورات التي اشتراها ابنها لعام ونصف حتى خروجه من المعتقل. أثناء هذه الفترة حرمت نفسها والبيت من البزورات. بينما حرمت إحدى الأخوات نفسها من كل ما أحبه أخيها الميت وفعلت مثلها الكثير من المشتركات متباهيات بتعذيبهن لأنفسهن كتعبير من تعابير الحب للفقيد. يعد هذا النوع من التماهي غير بنّاء (Disfunctional) لأنه لا يؤدي لأي دور به هضم أو تفهم لتجربة الفقدان. في مثل هذه الحالات وُجهت المجموعة لتذكر ما أحبه الميت ومشاركة كل أحبائه واصدقائه وكل أحباء وأصدقاء الفاقدة به مثل أنواع طعام (مخبوزات, حلويات, ملابس, رحلات في الطبيعة, أنواع أفلام أو موسيقى وما أشبه من هوايات). كما وطُلب من الفاقدات الحديث عن حب الفقيد لما تقدمه أو تفعله كي تعيده لمقاييس الإنسان العادي. هكذا سمحت الفاقدة لنفسها بمزاولة الحياة بواسطة إعادة إحياء ما أحبه الفقيد. أي أن الفقيد ساعد الفاقدة باستعادة حقها في الحياة, بدل جذبها لسلوك الموت والحرمان.

٦) كما في معظم الأسر, يغضب أحيانا أحد الأبناء أو البنات ويتمنون الموت أو الأذى (جهرا أو سرا) لوالد/ة أو أخ/ت كبير/ة يؤذيهم بطريقة من الطرق. عند استشهاد هذا الفرد, يشعر من تمنى له الأذى بلوم شديد للذات وبالندم وبالمسؤولية تجاه الخسارة الفادحة. بعض النساء في المجموعات شاركن الأخريات هذا الأمر كسر خاص في أسرتهن. كن يخشين مشاركة الناس بهذا الموضوع لئلا يحكموا سلبا على العلاقات داخل أسرتهن. فلاقين الأمان والتفهم, بمساعدة الميّسرات, للخوض في هذا الموضوع. من جهة أخرى, لم يعرفن عِظم الضائقة النفسية التي يعيشها من تمنى الموت لإبن/ة الأسرة. تعلمت النساء كيفية مساعدة اقاربهن وتخليصهم من شعور المسؤولية حيال الفقدان. كان هذا مهما جدا للجميع وعلى الأخص للأطفال والمراهقين. إحدى زوجات المطاردين تمنت أن يُحبس زوجها لمدة شهرين حتى ترتاح من طلباته. عندما استُشهد ندمت على أمنيتها. وفي مثال اخر تمنى أحفاد إحدى المشتركات أن يموت خالهم لأنه يمنعهم اللعب وإصدار ضجة عند وجودهم في بيت جدتهم. ظن الأطفال أنهم السبب المباشر في استشهاد الخال وخجلت والدتهم من سلوك أولادها وشعرت بالذنب تجاه والدتها لدرجة أنها امتنعت عن زيارتها لئلا تُحرج.

تأثر العلاقة الزوجية بالفقدان

كان لفقدان الإبن/ة أثره البالغ على طبيعة العلاقة بين الزوجين وخاصة إذا كان سبب الإصابة غير واضح قطعيا. حكت المشاركات قصصا تفيد لوم الأزواج وأهلهم لهن لأنهن سمحن لأولادهن بالخروج للأزقة أو الحارات وهناك استشهدوا. وقصصا أخرى تفيد لوم الزوجة لزوجها بعد سماحة للإبن بالمكوث خارج البيت واستشهاده. بعض النساء صرّحت بأنه لا علاقة بينهن وبين أزواجهن, ولا حتى كلام, منذ الفقدان. والبعض الآخر قلن أنهن يتحدثن, يطبخن ويغسلن للزوج ولكنهن يرفضن إقامة علاقات جنسية معه منذ الفقدان. حكت إحدى النساء عن البعد الذي حصل بينها وبين زوجها بعد إصابة إبنهما

"انا وجوزي تطلبنا نتحمل بعض في البيت وصار يفش بدنه في الأولاد ويضربهم وانا انصايح معه ونتيجة لهيك راح لرام الله وصار يشتغل مكان ابنه بالرغم من أنه مريض. بس أحسن عشان هو نايم هناك ومش حاق في البيت".

بعض الخلافات بدأت بعد أن إتهم الزوج زوجته بأنها قطعت رزقه في إسرائيل لأنها لم تمنع ابنها من مقاومة الجيش. بالإضافة لفقدان مصدر الرزق والذي أثر سلبا على الجميع, عانت الزوجة من عنف نفسي ضدها. قالت مشتركة

"زوجي محملني الذنب بقول لي انت قطعت رزقي. لازم اللى زّيك يحط راسه في الحيط. كل هظا عشان بطلوا يعملوا له بطاقة من بعد ما تصاوب ابني [أي رفضوا منحه إذن عمل]".

تأثرت العلاقة الجنسية أيضا بين الأزواج بسبب نوم الأولاد مع الأهل في غرفة واحدة. حصل هذا نتيجة لفزع الأولاد من الدوريات أو بسبب بحث الأسرة عن أكثر غرف البيت أمانا وبُعدا عن إمكانية الإصابة بقذيفة. تأثرت كذلك العلاقة الجنسية نتيجة للتوتر النفسي المتراكم وإذلال الزوج من الجيش الإسرائيلي. كان هذا الموضوع من المواضيع التي ارجأت المشتركات الحديث عنه للمراحل المتقدمة في لقاءات المجموعة. بعد أن تأكدن من مستوى الثقة والدعم المتبادل, استطعن الفضفضة في هذا الموضوع الذي يبقى عادة في خصوصية المجال الخاص (Private Sphare).

بعض الأزواج اختلفوا حول كيفية ممارسة الحزن لدى كل منهما. فأحد الأزواج قرر المشاركة في فرح أحد أصدقاء إبنه مدة بسيطة جدا بعد استشهاده, لأنه آمن أن هذا يسعد إبنه. أثار هذا السلوك حنق زوجته التي اعتبرته عدم حساسية لحزنها ولإعتبارات الحداد. من جهة أخرى, كان الزوج يلومها على أشكال الحداد التي مارستها الزوجة وأثّرت على مجرى الحياة اليومية داخل أسرتها.

مساعدة النساء الفاقدات العودة للحياة البنّاءة السوّية

كان لسماع الفاقدات مشاكل الأخريات اليومية بعد الفقدان أكبر الأثر على الحكم على تجربتهن أنها ليست شاذة وليست الأصعب. من جهة أخرى, سمعت كل واحدة معاناة أسر الأخريات نتيجة لبقاء الفاقدة في مراحل الفقدان الأولى: الصدمة والإنقطاع عن الحياة اليومية. إهتم البرنامج الداعم بتوجيه النساء تدريجيا حول سبل مواجهة الفقدان:

١) إتاحة الفرصة للنساء الفاقدات واللاتي لم يستطعن توديع أحبائهن والبكاء عليهم أن يفعلن هذا داخل المجموعة. فهناك بعض النساء ممن أعطين حُقنا أو عقاقير مهدئة عندما نُقل إليهن خبر استشهاد أحبائهن. تصرفت هذه المجموعة وكأن الحدث يخص غريبا عنها. عندما رأين أنفسهن في شريط فيديو بعد أيام لم يصدقن أنهن تمالكن أنفسهن بهذا الشكل او أنهن استطعن أن يصرّحن بما قلنه لأجهزة الإعلام. كن يتصرفن تحت تأثير التخدير. كن مسلوخات عن مشاعرهن Dissociated. كانت هذه الفئة تنتظر حادث استشهاد لدى أسر أخرى حتى تذهب وتبكي على فقيدها هي لتفريغ مشاعرها المكبوتة. قالت إحدى النساء اللاتي ثكلت إبنتها:

وأنا بالطوارئ تذكرت بنتي و سرحت فيها وبعدين الدكاترة أعطوني الإبر ورّوحت عادي ولا

كأنه في موات. نمت ما سألتش. قمت ساعدت بالحمام والجهاز ولا كأنه في أموات. هاظ الله صبّرني حممناها ولفناها ولا صرخت ولا طلّعت صوتي قدام الرجال. مشيت بالجنازة عادي ودفناها ما فرجيت حدى على حالي. حتى إبني حكى معي من السجن وانا واقفة على قبر بنتي وعادي حكيت معاه. ولا كأن في إشي. لما إجت الصحافة صوّرت ولا كأن في إشي. اما بعدين ثاني يوم بكيت بدون عقل. ثاني يوم تذكرتها وما قدرت امسك حالي. لحد الآن بس اتذكرها بتمنى ابكي.

استطاعت النساء داخل المجموعة الإصغاء لبعضها البعض والبكاء من جديد على أحبائهن دون شروط أو حث أو تحديد. كان هذا النوع من الفعاليات يشبه السايكودراما Psychodrama.

٢) في المرحلة الثانية, بدأ الحديث عن الإهتمام بمشاعر باقي أفراد الأسرة الذين يعانون هم أيضا من مشاعر الفقدان. هنا أخذت المشتركات مهام مسؤولية فحص طريقة المواجهة الآنية للفقدان لكل فرد داخل الأسرة. جعلت هذه المهمة النساء المشتركات حادات الحساسية, ومصغيات جيدات لأسرهن. وتعلمن وسائل أساسية لتفهم السلوك السوي مقابل السلوك المرضي في وضع فقدان. كان لهذا التوجه للنساء أثره في تمكينهن (Empowerment). فبدل أن تتثبت صفة عدم الفعالية في سلوكهن Disfunctional تم تجنيدهن, كطالبات مجتهدات, لتشخيص وتحسين الصحة النفسية داخل أسرهن. عادت النساء بعد هذه المهمة مع ملاحظات وتساؤلات حول الصحة النفسية لأولادهن, بناتهن وأزواجهن. وتلقين إرشادات مناسبة لمساعدة كل فئة على تحسين سلوكها النفسي الناتج عن الفقدان. أكدت هذه المهمة للنساء قدرتهن الحقيقية في المساهمة البنّاءة في إعادة أسرتهن للسلوك النفسي السوي. كان لتعدد أشكال الفقدان ولتفاوت أجيال أبناء وبنات المشتركات أثر تعليمي إيجابي, حيث طُرحت أسئلة وتعلمت المشتركات أجوبة تحص تقريبا كل الفئات العمرية وشتّى أشكال السلوكيات النفسية. كانت هنالك حالات قليلة نادرة نُصحت بها المشتركات التوجه مع الإبن أو الإبنة لعلاج نفسي مهني بسبب خطورة الوضع.

٣) تعلمت المشتركات مشاركة أبناء أسرهن بمشاعرهن وأفكارهن حول الشهيد/ة ولكن بطريقة مبنية ومبرمجة. فبدل الإعتكاف والهدس الداخلي به أو بها, طُلب من المشتركة تخصيص بعض الوقت أثناء اليوم أو مرة في الأسبوع لمشاركة الجميع في حديث حول الفقيد/ة. طُلب من المشتركة أن تفعل هذا مع التأكيد على أن الفقيد كان إنسانا عاديا. لذا تشجعت النساء أن تحكي عن حسناته/ا, وعن المرات التي تضايقت بها منه/ا, عن الأمور التي أحبـ(ـت)ها والتي كره(ت)ها وما أشبه. تم الإقتراح أيضا مشاركة

أصدقاء/صديقات الفقيد/ة في بعض جلسات الأسرة للإستماع عن الجوانب الإجتماعية لديه/ا. ساهمت هذه الفعالية أولا في إعادة دور المشتركة كمديرة للمهام العاطفية لأسرتها, وثانيا عالجت مشكلة الإغتراب العاطفي بين أبناء الأسرة, وثالثا شجّعت جميع أفراد الأسرة على الفضفضة والحديث عن مشاعرهم, أيا كانت, ودون خوف من مس في 'قدسية" الفقيد/ة, وأخيرا أدخلت هذه الفعالية أصدقاء وصديقات الشهيد/ة مرة اخرى للعائلة, للمنفعة النفسية للطرفين.

تم توجيه الأمهات لضرورة جمعهن كل المعلومات الطبية الصحيحة والدقيقة حول الوضع الصحي للإبن/ة المصاب/ة ومراحل وإمكانيات العلاج ونقل كل هذا للمصاب/ة وباقي الإخوة والأخوات. كانت النساء تخاف مواجهة الحقيقة. وتخاف كذلك شرح الوضع الطبي الحقيقي للأسرة والمصاب. هذا الإجراء يساعد الأمهات على تحويلهن لشريكات في التخطيط العلاجي للمصاب/ة وبتأكيد المسؤولية الأمومية عليه.

إقتراحات من الحياة اليومية للمساهمة في إعادة الأهلية النفسية والإجتماعية للمرأة الفاقدة تساهم بعض الطرق العلاجية بإعادة تأهيل المصاب نفسيا منها: العلاج بالتشغيل Occupation Therapy والعلاج بواسطة أنواع الفنون Art Therapy (مثل علاج بواسطة الرسم, الفخار, التمثيل) والعلاج بواسطة رواية القصص Bibliotherapy والعلاج بواسطة سرد وإعادة صياغة معنى القصة الذاتية Narrative Therapy وما أشبه. اقترح البرنامج الداعم, ومن خلال معرفة داخلية للحياة اليومية الطبيعية للبيئة التي تعيش بها النساء المشتركات, تنفيذ فعاليات يومية أو أسبوعية لها أثر علاجي واضح. من هذه الفعاليات:

١) العودة للعمل داخل البيت لجميع النساء اللواتي كن يعانين من العصبية والتوتر وتوقفن عن العمل داخل بيوتهن بسبب الإكتئاب الشديد. تم توجيه النساء أن يعملن جسديا لبعض الوقت يوميا وخاصة إذا كن غاضبات بشكل غير عادي (تنظيف سجاد, فرك الشبابيك, شطف البيت بماء كثير وما أشبه). ساهمت هذه الفعالية في التفريغ المتواصل للتوتر الجسدي والنفسي الذي كانت تعاني منه الفاقدات وساهمت كذلك بعملية ضبط التوتر (Conflict Management).

٢) الحق في الفضفضة اليومية ضمن بيئة إجتماعية داعمة. لذا تم تشجيع النساء على الحفاظ على اللقاءات الإجتماعية حول فنجان القهوة الذي تجتمع حوله الجارات شرط أن لا تسمح المرأة للأخريات بإحباطها أو توجيهها لعكس ما تعلمته في المجموعات الداعمة. ساهمت هذه الفعالية بإعادة النساء للحياة الإجتماعية ولمناقشتهن العادات والأفكار لباقي النساء حولهن. يعمل الإجتماع حول فنجان القهوة عمل المجموعات الداعمة

(Support Groups) ضمن إستعمال مبادئ العلاج بواسطة القصة Bibliotherapy ومبادئ العلاج السردي Narrative Therapy . تم كذلك توجيه النساء المتعلمات إلى كتابة كل ما يريدون قوله للفقيد/ة ثم تجميع كل هذا ونشره بمناسبات خاصة مهمة مثل ذكرى الاستشهاد, يوم الشهيد, عيد ميلاده/ا وما أشبه. وتم تشجيع غير المتعلمات على تأليف وحفظ بعض الزغاريد, الأهازيج وأبيات النواح التي تصف شعورهن. تم توجيه الجميع أن يكنّ على اتصال مع دوائر وجمعيات وصحف وأناس من السلطة الفلسطينية حتى يستطعن تحقيق نشر نتاجهن. هذا يجعلهن يعدن للحياة العامة بشكل له معنى جديد وإضافي وبه تمكين واضح. فيصبح الفقدان 'رافعة" نقلتهن من طريقة مواجهة للمصاعب لطريقة ثانية جديدة وقوية في حياتهن.

٣) لتأكيد على حق المرأة بالإسترخاء اليومي. شُجعت النساء اللواتي يمارسن الصلاة خمس مرات في اليوم أن يفعلن هذا بشكل هادئ وتأملي وليس بطريقة الصلاة الميكانيكية التي لا تستطيع المرأة الإسترخاء أثنائها. تعلمت المشتركات طرقا للتأمل أثناء الصلاة (Meditattion) كوسيلة للسكينة النفسية. كما تشجعت النساء أن يسمعن تسجيلات قرآنية وأدعية وابتهالات دينية وذلك حتى تساعدهن الإبتهالات والموسيقى على الإسترخاء. كان في هذه التوصية تأكيد على أن من حق المرأة أن تعزل نفسها بشكل مدروس يوميا عن الضغوطات العادية حتى تعتني بنفسيتها وبالأمور الروحانية المهمة لها. أكّدت النساء اللاتي اتبعن هذه الطريقة على تمتعهن بالصلاة أكثر من ذي قبل.

٤) أن تسير يوميا أو عدة مرات في الأسبوع في الطريق التي كان يمشي بها فقيدها للعمل, للدراسة أو لبيوت أصحابه/ا. الكثير من النساء عانين من أمراض سايكوسوماتية بعد الفقدان. معظمهن فرضن على أنفسهن الإعتكاف في البيت وسبب هذا لهن المزيد من ضغط الدم وارتفاع في الكولسترول. أردنا أن نشجع النساء أن يسرن عدة مرات في الأسبوع حتى يخففن من توترهن الجسدي والنفسي ويسترجعن صحتهن الجسدية. كان هناك الكثير من التشكك والتحسب لمثل هذا الإجراء بسبب العادات والتقاليد والتخوف من الإنتقاد الإجتماعي. إقترحت الحلول التالية:

أولا: المرأة التي تعرف أين كان يحب أن يسير من فقدته, "فلتسر فوق خطواته" وترى ما كان يراه, وتتأثر من المناظر التي كان يتأثر بها.

ثانيا: مجموعة ثانية تستطيع أن تختار السير في الطريق التي سار بها نعش الفقيد لأنهن يشعرن بحرمانهن من هذا.

ثالثا: تستطيع بعض النساء أن تختار طريقا جانبيا وتمشي بها من أجل "مسيرة" من فقدت.

بعد أسبوعين من توجيه النساء لهذه الفعالية في إحدى المجموعات الداعمة, بدأت حوالي ثلث المجموعة تنتظم ومع أنتهائها كان حوالي ١٢ من أصل ١٥ إمرأة سرن أزواجا ومجموعات ومع قريباتهن. كان لإعلان أن المرأة تسير في طريق فقيدها, تشجيع للبيئة الإجتماعية على تقبل الأمر وساهم في إنضمام بعض النساء من بيئة المرأة لمسيرتها. هذا يشبه إنضمام النساء للفاقدة لزيارة القبور في الأماكن التي تسمح العادات والتقاليد بها. بعض النساء سرن كمجموعات ووصلن لجبل وعر وهناك صرخن وبكين دون رادع أو ضبط وبدون أن يخفن على مشاعر باقي أفراد الأسرة. وبعد التفريغ عن أنفسهن عدن هادئات راضيات للبيت.

كانت إحدى المشتركات في المجموعة مقعدة على كرسي عجلات فتطوعت بعض المشتركات في المجموعة للسير معها من بيتها المؤقت المستأجر لأطلال بيتها الذي لم تزره منذ إصابته بقذيفة والتي أدّت أيضا إلى شللها. ساعدت هذه المسيرة المتكررة المشتركة المشلولة على مواجهة واقعها وتخطيط مستقبل "أفضل" لها. مع الإشراف على نهاية البرنامج الداعم كانت قد تسجلت للجامعة وبدأت تخطط لدراستها.

٥) إخراج طعام كصدقة عن روح الفقيد/ة. تشجعت النساء على عمل الطعام والحلويات التي كان يحبها الفقيدون, ودعوة اصدقائهم وأحبائهم ممن يستفقدون لهم وتقديم هذا الطعام أو الحلويات لهم. كان هنا إستخدام لعنصر العلاج بواسطة التشغيل Ocupational Therapy وربطه مع قيمة دينية لمساعدة المرأة على إعادة حياتها ونفسيتها وعلاقاتها الأسرية والإجتماعية للمسار السوي. إن إخراج الصدقات, مهما كانت ومهما ناسبت نفسها لفقر حال الأسرة, فيه شعور بمساهمة الأسرة في ضمان مصير طيّب للشهيد/ة بعد الوفاة وبهذا شعور ايجابي للأهل. قالت إحدى المشتركات أنها بعد الجلسة اشترت الكنافة التي كان يحبها إبنها ودعت جميع اصدقائه وجيرانها. وهكذا جمّعت حولها من أحبها وأحب إبنها وشعرت أنها أسعدت نفسها وأولادها وفقيدها. بعض النساء صرن يخترن أن يدعون أحد أحباب الفقيد كلما طبخن ما كان يحبه لإطعامه عن روحه. هذا التوجه أبدل التوجه الحرماني الذي اتبعته معظم الفاقدات قبل البدء في العمل داخل المجموعة. بعض النساء تعودن على عمل المعجنات وتوزيعها عن روح الشهيد ومع الوقت صرن يبعن هذا المنتوج, وهكذا استفدن ماديا منه.

٦) العمل في الحديقة وزرع الخضراوات. ساعدت هذه الفعالية على تفريغ الضغط النفسي وساهمت في توفير الخضار الأساسية لإحتياجات الأسرة.

٧) ترتيب ألبوم صور للفقيد بحسب مراحل عمرية وفعاليات بعد تجميع صوره من عند الأصدقاء وعمل نسخ عنها. ساعدت هذه الفعالية على الإتصال مع زملاء وأصدقاء الفقيد/ة وإجراء علاقات إجتماعية معهم. وتحويل المحافظة على ذكرى الفقيد/ة مشروع يضم العائلة والأصدقاء.

٨) كتابة مذكرات, رسم, وكتابة رسائل للفقيد (للنساء القادرات على الكتابة وأبنائهن).

مصاعب أساسية في العمل داخل المجموعات الداعمة

كانت هنالك مصاعب عامة تمس السياق العام (Context) الذي يعاني منه كل المجتمع الفلسطيني ومصاعب أخرى لها علاقة مع المضمون الذي حاولت من خلاله المجموعات الداعمة إجراء تغيير في صيغة المضمون(Text) أو في معناه. بالنسبة للصعوبات من النوع الأول فقد واجهت المجموعات الصعوبات التالية:

١) إقناع جميع المشتركات بعدم إنتماء المشروع التالي لأي فئة سياسية منتفعة منه.

٢) مفاوضة المشتركات للميّسرات بشكل إلحاحي حول إضافة المساعدات المالية للمساعدات النفسية وذلك بسبب درجة الفقر الشديدة التي عانى منها المجتمع والتي أثّرت حقا على الوضع النفسي للنساء[٥].

٣) صعوبة الوصول لأماكن اللقاء بسبب الإغلاقات حول مداخل القرى والمدن لمن تحضر من خارج الحي.

الإضطرار لتأجيل لقاء أو أكثر بسبب منع التجوّل. في هذه التجربة مقولة مهمة: **أن الفلسطيني, مهما يكن في حاسما أسلوب عمله, لا يستطيع أن يستعمل كامل مهنيته أمام قوى جيش الإحتلال, في الأمور المهنية التي يريد من خلالها أن يعلم الأسر طرقا لمواجهة أذى هذا الإحتلال.**

---

[٥] بالرغم من التفهم الشديد لهذا المطلب فلم يكن بالإمكان تنفيذه. أدّى هذا إلى ترك إمرأة أو أكثر المجموعة وإنضمام أخريات بدلها.

٤) التسامح مع المشتركات الفلاحات اللاتي كن يبعن منتوج الأرض ويعدن متأخرات ويصلن من السوق رأسا للمجموعة. لم يكن بالإمكان الضغط عليهن وإلزامهن بالإنضباط في ظروف إقتصادية خانقة للجميع.

٥) ضرورة إتصال الميّسرات في إحدى المجموعات في جميع المشتركات شخصيا ولمدة كل النصف الأول من فترة اللقاءات (ستة أسابيع) لتأكيد وصول النساء في الوقت. وذلك لغياب ثقافة الدقة في المواعيد في المجتمع العام لهذه القرية.

أما الصعوبات التي تتعلق في تغيير المضمون فشملت:

أ- تغيير في قيم النساء التي تدعو لإخفاء مشاعر يعتبرها المجتمع "عيبا" Inappropriate ولا تناسب سلوك الكبار مثل التعبير عن الضعف, الخوف, الغيرة, الغضب وما أشبه. فمثلا تم تشجيع المشتركات على إظهار الخوف من الجيش والحديث عنه بصراحة داخل المجموعة.

ب- البحث عن طرق لمساعدة الأولاد الشباب للتعبير بصراحة عن خوفهم دون المس بهم كجبناء أو "لا يناسبون للثورة".

ت- إيجاد المعادلة المناسبة لضمان عدم المساس بالمفاهيم الدينية. ولكن السماح بفحص العرف والتقاليد فيما يخص السلوك اليومي للفرد داخل الأسرة. وفيما يخص ايضاً معنى الموت, الشهادة, ومفاهيم ما بعد الموت.

ث- إقناع النساء بحق الأولاد في الإصغاء لمطالبهم وإنتقاداتهم وأشكال تعبيرهم عن حدادهم وضرورة توفير طلباتهم. وبالتالي إتباع أسلوب حداد أو تعبير عن الفقدان واحد داخل الأسرة وللأهل (مثل الخروج لزيارة المقابر) وآخر للأبناء (مثل سماع الموسيقى التي أحب[ت]ها الفقيد/ة) وضمان توزيع الوقت بين الشكلين.

و- مناقشة الخوف من أشكال الضبط الإجتماعي والمخاوف من إنتقاد البيئة للفاقدة إن هي تغيّرت وتبنّت ما تعلمته داخل المجموعة. بعض النساء كن يخفن أن "يفككن حدادهن" لئلا ينتقدهم من حولهم. ويسيئوا لهن بواسطة القيل والقال ضدهن. أحدى النساء قالت أنها تخاف أن تضحك خارج بيتها لئلا يُقال أنها أم شهيد وتضحك! آلية "ماذا سيقول الناس" من أصعب ما تواجهه مجموعة أحد أهدافها تغيير في مفاهيم مواجهة الفقدان.

ز- صعوبات تعلم دور ولية الأمر الوحيدة Single Mother وتقبله من منطلق قوة بدل منطلق المغلوب على أمرها. قالت إحدى الأرامل لتجسيد التناقض بين مفهوم العلاج وبين مفهوم الثقافة العامة تجاه المرأة 'الواحدة بدون زوجها ما بتسوي شي".

س- الإستعمال الشعبي الخاص للغة. لم تكن المشتركات يتحدثن مباشرة عن رأيهن وإنما كن يطّعمنه بالتعابير الدينية والآيات القرآنية والأمثال الشعبية. وكانت هنالك حاجة للإصغاء للمضمون ولما بين السطور. ساهم التوثيق الحرفي في التمعّن بما قصدت النساء قوله. من الأمثلة على ذلك قول إحدى المشتركات قولاً تتطلب إصغاء حادا وتفهما داخليا عميقا للثقافة (Culture): 'الحمد لله, حالتنا بالمرّة".

من جهة أخرى, يبرز في لغة المشتركات غلبة المصطلحات العسكرية الإسرائيلية والفلسطينية, مخلوطة بالعربية والإستعمال الأصلي العبري. فلهن دراية في أنواع الدبابات والأسلحة وأنواع الفرق العسكرية وما أشبه.

صعوبات ميّسرات المجموعة

١) التعوّد على إدارة مجموعة مهنية دون إستعمال لغة تشخيص مرضية Pathologizing Diagnosis Language كما يتناسب مع النظرية السردية (Narrative Therapy) والنظرية النسوية (Feminist Therapy) التي تعي التمكين (Empowering).

احدى الميّسرات كانت إبنة الحي الذي جرت به لقاءات المجموعة وكانت المشاركات تتحدث معها وبشهدّنها على صدق حديثهن 'مش هاظا اللي صار في المخيم؟ مش هيك تصرفت حماتي؟ إنت شاهدة!". كانت هذه الميسّرة ترى أن المشاركات يتعاملن معها كجارة وليس كمهنية. وتزعزعت ثقتها بقدراتها في إدارة المجموعة في البداية. بعد عدة لقاءات اكتسبت ثقة وآمنت أن كونها من نفس الحي بشكّل قوة وليس ضعفا لها. بالإضافة, تأكدت أن الحديث داخل المجموعات الأخرى والذي يشبه 'حديث بين مجموعة جارات" (أي دون إستعمال مكثّف للمصطلحات من مدرسة علم النفس) هو أيضا حديث علاجي يفيد المشتركات. بل يفيد لأنه يتحدث بلغتهن وبمواضيعهن وبنبر طرق تعاملهن العادية ولكن يعيد تسخيرها للحدث وعند الضرورة وبطريقة مهنية.

٢) خلال العمل في البرنامج سجن زوج إحدى الميّسرات وأصبحت تعيش نفس تجربة النساء في المجموعة. تسمى هذه الحالة في البحث النوعي "اصبحت من العيّنة المدروسة" (she became native). في بداية مرحلة اعتقال زوجها كانت تتأثر وتبكي مما كانت تسمعه من معاناة وتقارن مع نفسها ومع ابنتها الطفلة. ولكن بعد الإرشاد المهني, أصبحت تتعلم من تجارب النساء طويلة المدى للنساء اللواتي عشن مع زوج مطارد أو معتقل لمدة طويلة (أحدهم مطارد منذ ١٩ سنة). لقد أصغت للحِكم في إختيارات النساء وتعلمت منهن طرقا لمواجهة هذه الأزمة.

٣) شعرت الميسّرات بالضيق وبالمسؤولية الشخصية لإقناع المسؤولين عن المشروع بتوفير محفزات مادية للمشتركات بسبب عطفهن وشفقتهن الشديدة على وضعهن المادي.

٤) صعوبة الميّسرات في المراحل الأولى من اللقاءات وخاصة الشابات -أربعة من الستة وأحيانا في جيل بنات المشتركات- في الحد من تأثير النساء ذوات الأسلوب المسيطر داخل المجموعة، وتحويلهن لنساء مصغيات للأخريات وحساسات لمشاعرهن. ولكن, نتيجة لإكتسابهن كلا الأليتين: الحسم المهني والحساسية الحضارية, نجحت الميّسرات بالتدريج في فرض فكرة الحق في الإصغاء لجميع الأصوات. وعدم إخراس أي صوت لأي مرأة داخل المجموعة. قالت إحدى الميّسرات في مجموعتها بعد أن تدخلت إحدى المشتركات طالبة من مشتركة أخرى أن تسكت على آلامها الناتجة عن غضبها من زوجها:

وهين تدخلتْ وقلتْ إحنا بهاي المجموعة دورنا ما نقول احمدي الله ونصبر. لا. دورنا نحكي قديش صعب. ونحكي كل اللي بقلبنا. وبوعدكم ولا مرة إح نقول انه وجعك اخف من وجع ام الشهيد او هيك. لا. كل واحده فينا وجعها قد الدنيا. وعشان هيك احنا اليوم موجودات تصدقي كملي.

٥) كانت المضامين التي تعرضها النساء الفاقدات مؤلمة حقا إلى درجة الإختناق. كانت الميّسرات يتألمن للقصة ويبكين مع الباكيات كل أسبوع. وحالا ظهرت ضرورة توفير التفريغ النفسي والدعم المعنوي لهن حتى يستطعن مواجهة المضامين القاسية. والمحافظة على القدرة المهنية لتوفير التوجيه والنصح والدعم المطلوب. تم توجيه الميّسرات لإستعمال طرق للتفريغ عُرضت سابقا على المشتركات في المجموعة لتخفيف العبء النفسي الذي تراكم لديهن أثناء العمل في المشروع.

تلخيص

بدأ مشروع المجموعات الداعمة بتحضير شديد العناية بالتفاصيل لضمان توفير الخدمات الداعمة لكل إمرأة تشترك في المجموعة. بعد التغلب على صعوبات ناجمة عن التحهيزات المناسبة انتظمت اللقاءات. في المرحلة الأولى للعمل كان من الصعب إقناع النساء أن المساندة النفسية ليست أقل دعما من المساندة المادية. مع مضي الوقت, وبناء ثقة متبادلة والبدء بتطبيق التوجيهات المكتسبة داخل المجموعة, بدأت المشتركات يقدمن تقارير حول التغييرات النفسية الذاتية وحول المناخ النفسي الأكثر سلامة داخل أسرهن نتيجة للتشجيع على التفريغ الحقيقي والصريح, فرّغت المشتركات الكثير من المشاعر المدفونة بالإضافة للمشاعر التي كانت تسبب لهن الخجل والإحراج. للمرة الأولى في تجاربهن, لاقين تفهما ودعما لما حصل معهن, دون لوم إجتماعي أو تأنيب أو تذنيب.

علّمت الميسرات المشتركات طرقا لتفحص الوضع النفسي الناتج عن الفقدان لباقي أفراد الأسرة, وطرقا للتخفيف عنه. بهذا, تحولت النساء من اتكاليات, سلبيات, وضحايا الفقدان لمسؤولات ومعالجات للفقدان داخل أسرهن. وبهذا تحققت عملية تمكين وإعادة المرأة لتبوأ مركز القيادة الإيجابية داخل أسرتها ومجتمعها.

بالرغم من أن قصص الفقدان صعبة جدا نفسيا واجتماعيا على جميع المشتركين, بما فيهم ميّسرات المجموعة (facilitators) إلا ان سماع النساء للروايات الشخصية لكل واحدة زاد من الحساسية الإجتماعية للفقدان, وتفهم تعدد معانيه. ووفرت المشاركة في المجموعات أدوات مواجهة متنوعة تمد الجميع.

لتلخيص تأثير المجموعة على النساء, نجلب هنا الرأي المباشر للمشتركات بواسطة نقل حرفي لجُمل عفوية لخّصت بها المشتركات في المجموعات الثلاث تأثير المجموعة عليهن وعلاقتهن بها:

"بشتّنا يوم الثلاثاء. بحس انه في اشي بنزاح عن قلبي لّما آجي على المجموعة"; "المجموعة ساعدتنا ورجعنا تعبنا في بيوتنا"; "وبصراحة انا بحب اجي على هيك مجموعة الواحد بحكي اللي بقلبه ولا بضل بالقلب ليطفح الكيل"; "الواحد بغير جو. اشي بدفعني اني اطلع يوم اللقاء. لحلات ناس بتردد اني اطلع. بس في اشي بدفعني أجي للمجموعة. يمكن يكون التزامي اتجاه المجموعة" "والله بيجي و ماعلى بالنا نروح بس بيجي يوم الاثنين بقول للبنات أنا اليوم مش مسؤولة عن اشي. هادا اليوم إلي"; "والله أنا بعمل المستحيل عشان اجي يعني تركت وراي فرم الملوخية وبدي اطبخها اليوم والله اني بحبكم"; "صرت احس إنه احنا زي الخوات. اندمجنا مع بعض وصرنا زي الصاحبات. صرت بلاقي حدا احكي له همي. امن قبل ما كنتش الاقي حدا"; "انا هون حكيت شغلات مش ممكن احكيها ادام اي حدا. ما الي اخت ولا أم ولا ست ولكن هون بحس بانه احنا عيلة و فاطمة وايمان [الميسرات] كثير

بتدعمونا واحنا منثق فيكم و تعلمنا شغلات جديدة": " لما نشوف احداث كثيرة عند الباقي بتهون الأمور علينا. يعني اللي صار معي مش قليل بس الواحد لمّا بشوف مصيبة غيره بتهون عليه مصيبته": "احنا أعطينا أمان لبعضنا. مع إني ما عمري فكرت بإنه يكون عندي علاقات وصديقات, خلص ملتهية ببيتي وولادي, بس لما شفتكم [الميسرات] الواحد وثق فيكم وصرتم عنوان الي وإلنا كلنا".

توصيات

هنالك الكثير من القضايا التي تكشفت أثناء العمل داخل المجموعات الداعمة ولكن لم يكن بالإمكان التطرق لها. مع هذا من الضروري الإشارة لها لإتمام منظومية العمل من جهة, وللوصول للسلامة النفسية للمواطنين الفلسطينيين من جهة أخرى:

١) توسيع دائرة التداخل العلاجي لتشمل بالإضافة للعمل مع النساء, العمل مع الرجال ومع الأطفال في الأسرة.

٢) التشبيك مع المؤسسات المتخصصة فيما يتعلق بالعمل مع الأمراض النفسية للأطفال والمراهقين.

٣) التشبيك مع المؤسسات المتخصصة بخصوص محاضرات حول حقوق الأرامل ومصابي الإنتفاضة, وتسهيل الوصول للجمعيات الداعمة.

٤) بناء مرحلة ب Phase 2 للمجموعات الداعمة بهدف تعميق العمل مع بعض الفئات وخاصة: اولا, الأرامل بهدف تدعيمهن إزاء الخوف من المجتمع. بالإمكان تحديد هدف تحويل الأرامل من ضحايا الإنتفاضة والمجتمع إلى 'وكيلات تغيير إجتماعي": وثانيا, بعض النساء اللاتي عانين من ضغوطات نفسية جمة احتجن لمرحلة ب في المجموعة لتثبيت التعبير الذي بدأن في تبنيه في حياتهن.

٥) هنالك حاجة ليترافق عمل ميّسرات المجموعات مع لقاءات داعمة لهن ضمن مجموعة ميّسرات بشكل مبني وثابت لمساندتهن النفسية وتفريغ الضغوطات التي يمتصونها من المشتركات المنكوبات.

★ ★ ★ ★ ★

الفصل الخامس

بعض الروايات كما ترويها صاحباتها

ساما عويضة

كثيرة كانت المقابلات التي أجراها فريق العمل الميداني بتوجيه ومتابعة من قبل فريق الباحثات، لاستطلاع الوضع بشكله الأولي وبالتالي لوضع الاستمارة، وبناء التدخل المطلوب بشكل جماعي..

مقابلات حوتها صفحات عديدة..وختمت ذكرياتها على قلوب عضوات فريق العمل..حتى أننا اضطررنا في مراحل مختلفة إلى استدعاء الفريق للتفريغ النفسي لتمكينهن من استكمال المشوار..

في هذه الدراسة اخترنا أن نضع بين الأيدي ملخصّات لبعض تلك المقابلات..اخترناها بشكل عشوائي، ودون أن نفضّل أحدها على الأخرى، بل حاولنا أن نشمل جميع المناطق وحوادث فقدان مختلفة..

حكايات ستتعب كل من تقرأها أو يقرأها تماما كما أرهقتني كتابتها..وكما أرهقتني كل كلمة كتبت فيها، واصفة أوضاع يعجز عنها الخيال، ويبقى علينا أن نتصور إلى أي حد أرهقت الميدانيات وهن يسمعن ويعشن مع صاحباتها لحظات الانهيار ولحظات التعب، والأكثر من ذلك لنتصور حال أصحاب وصاحبات تلك القصص التي عاشوها فعليا..

وإننا إذ نضع هذه العينة من القصص اليوم، لنعد بنشر المتبقي منها على مراحل وفي مناسبات أخرى لا لشيء ولكن حتى لا ننسى، وحتى لا ينسى العالم ما حل بالشعب الفلسطيني تحت بصر وسمع المجتمع الدولي الذي لم يحرك ساكنا، فيما لم تولِ المبادرات السياسية المطروحة أي اهتمام يذكر بتلك المآسي والويلات التي عاشها شعب بأكمله، حيث تمّ من خلالها انتهاك كل حقوقه كشعب، وانتهاك كل حقوق أفراده، ليتم ومن خلال ذلك نسف كل المبادئ التي قامت على أساسها الأمم المتحدة وكل الأسس التي تمّ اعتمادها في صياغة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وما تلاه من اتفاقيات وإعلانات دولية، وبالتالي انتهاك كل مبادئ وأسس القانون الإنساني الدولي والقانون الدولي لحقوق الإنسان.

فـي أول رحـلة لـي إلـى مخيـم جنين بـعد الـكـارثـة
الزيـارة الـتي مهدّت لـهذا المشـروع

ساما عويضة

حديث الصباح

أحمد (١٠ سنوات):ماما أرجوك أن لا تذهبي إلى جنين.

- لماذا؟
- أخاف عليك.
- لا تخاف يا حبيبي، لن يصيبني مكروه
- ولكن لماذا عليك أن تذهبي؟
- حتى أستطلع أوضاع الناس، وأتمكن من معرفة واقعهم، علّنا نعرف كيف نساعدهم، وماذا سنطلب من الآخرين لمساعدتهم. فإن لم نبادر نحن الفلسطينيون فلن نستطيع أن نطلب من غيرنا أن يفعل. علينا دوما أن نبدأ بأنفسنا.
- ولكن، لماذا أنت، هناك الكثيرين غيرك؟!
- لست وحدي كما أنني قد تعودت أن أقوم بواجبي دوما، وهكذا أحبك أن تكون.
- مع السلامة،،قبلة

الطريق إلى جنين

وصلت فندق الأمبسادور في القدس حيث يتجمع أفراد الوفد،،وفد متعدد الجنسيات من أمريكا، إيطاليا، فرنسا، واسكتلندا، ونادرة كيفوركيان (صديقتي وزميلتي في العمل).

'بهية عمرة" من الإغاثة الطبية كانت قد نظمّت الرحلة، وعندما طلبت منها أن أشارك أنا ونادرة لم تسألنا لماذا ولا كيف، فقد كانت تعرف هي الأخرى أنه واجب كل فلسطيني. تودعنا حتى الباب وتطلب منا الإهتمام بأعضاء الوفد.

في الباص جلست بجانب عجوز أمريكية ناشطة في مجال الكنائس وحقوق الإنسان، حدثتني طويلا عن نشاطها، وعن ما رأته في فلسطين خلال زيارتها،،للحظات أحسست بأنه كان واجبي أنا أن أحدثها ولكنني كنت فعلا قلقة،،نبضات قلبي تتسارع،،وخوف كبير ينتابني. لا مما قد يحصل لي، بل مما سأراه، وإن كنت حقا سأحتمل تلك المشاهد التي رأيت بضعها عبر شاشات الفضائيات المختلفة.

الطريق طويلة. حيث كان لا بد أن نذهب عبر مدينة 'أم الفحم" الفلسطينية التي تقع داخل الخط الأخضر،وما أن دخلنا المدينة. حتى انتابني شعور غريب،فتلك هي 'أم الفحم". كيف لم أدخلها من قبل،مدينة عربية بكل ما فيها. شعبها. بيوتها. مبانيها،وفجأة يلوح لي نصب تذكاري كتب عليه 'دوار الشهيد" اعتقدت أولا بأنه نصب لكل الشهداء. ولكن سرعان ما لاح آخر يحمل اسم الشهيد 'أحمد إبراهيم صيام" . وثالث يحمل اسم الشهيد 'مصلح أبو جراد". ولافتة كبيرة رسم عليها الأقصى مكبلا بالسلاسل وكتب عليها مهرجان 'الأقصى في خطر".

يرتفع صوت السائق ليسأل إن كنا جميعا نحمل الماء. أستغرب من السؤال. ونادرة تقول لي أنهم يقولون بأننا قد لا نجد الماء هناك،كيف يعيش إذن الناس هناك؟! هل علينا أن نحمل لهم الماء؟،وأحس بسلبية لم أعرفها من قبل،سلبية أفقدتني القدرة على اتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب،وصمت.

نبضات قلبي تتسارع. أتسائل في داخلي عن كيفية تقوية نفسي" عليّ أن لا أنهار أمام الناس. فنحن هناك لتقويتهم لا لكي ننهار أمامهم.

أطفال وشباب ونساء أم الفحم ينظرون إلينا ويحيونا. وامرأة تقول لنا 'يا ليتكم تأخذون قطعة من قلبي معكم وتهدونها إلى أهالي مخيم جنين".

الباص يصعد طريق جبلية وعرة وضيقة،ما زلنا داخل المدينة. ولكنها مدينة محرومة من الخدمات التي تعطى للمدن الإسرائيلية،شكرا لعنصريتهم. فقد أبقت كل أم الفحم وسكانها فلسطينيين. وهذا ما يعيد لي الأمل بأن تلك الدولة لن تصمد على المدى البعيد. فلا يمكن لدولة مبنية على أساس العنصرية أن تستمر مهما طال الزمن،فالأساس رديء.

تقف الحافلة. ونبدأ بالسير على الأقدام تجاه مدينة الطيبة. ومن ثم تجاه 'رمانة" عبر طريق ترابية وعرة مليئة بالسواتر الترابية. وأخيرا نصل إلى حيث تنتظرنا السيارات. نمر بمدرسة رمانة فيخبرنا السائق بأن تلك المدرسة كما مدرسة الطيبة كانت تعج بأهالي المخيم. حيث أتى الجنود بسياراتهم وألقوا بالعديد من سكان المخيم في تلك المدارس،استضافوهم أهل القريتين. البعض في بيوتهم والبعض في المدارس. ولم يتوان أهل أم الفحم والمدن الفلسطينية الأخرى وراء الخط الأخضر عن تزويدهم بالمساعدات العينية اللازمة لمدة عشرة أيام قبل أن يتمكنوا من العودة إلى المخيم.

نسير على طريق ترابية وعرة. يخبرنا السائق بأنها طريق عام. ولكن مرور الجنزرات والدبابات الإسرائيلية قد أحالها إلى طريق ترابية وعرة.

ندخل مدينة جنين، حيث لم يعد هناك طرق معبدة، ولا شبكات مياه ولا هاتف ولا كهرباء، وعدة مباني مهدمة تشهد على الكارثة، وعمال في الطرقات يحاولون إصلاح ما أفسدته همجية القرن الواحد والعشرين.

دخول المخيم

ما أن اقتربنا من المخيم، حتى شعرت بقلبي يهوي،،كيف سأقابلهم، وكيف سأخذت معهم،،وما الذي سأراه؟! تقف السيارة ويقترب منا شباب يلبسون قمصان بيضاء كتب عليها فرق إسعاف الإغاثة الطبية الفلسطينية، ويقترب مني شاب ويسألني لو كنا نحن الوفد الذي ينتظر، أهز رأسي بالإيجاب، يسألني لو كان هناك من بين الوفد عرب، أقول له بأنني ونادرة عرب.

- من أين؟
- من المراكز النسوية؟
- نحن نعرف ساما عويضة من المراكز.
- أنا هي، فمن أين تعرفني؟
- حقا أنت؟! نحن تدربنا في موضوع النوع الإجتماعي ضمن البرامج التي نظمها مركزكم هنا في جنين وقرأنا اسمك على كافة مواد التدريب، وكم كنا نرغب بلقائك،،يا شباب هذه ساما عويضة.

أحس براحة كبيرة، وابدأ الرحلة مع 'سامي" ورفاقه لنقود الوفد داخل المخيم.

داخل المخيم

ما أن دخلنا المخيم حتى بدأنا نتنفس رائحة الموت تلك الرائحة التي طالما كتبت عنها جدلا، والآن تملأ رئتي فعلا،،أنظر أمامي فأرى أكواما من الأسمنت والحديد، تتدلى من بينها بقايا ملابس وبضع قطع أثاث بالكاد تميزها، أتساءل 'لمن كانت تلك الملابس، وأين أصحابها اليوم؟" وعندها لا أقوى على منع دموعي من الانهمار،،يقترب 'سامي" مني ويقول لي كان لا بد وأن يتم تزويدنا بالكمامات، وبعض المواد المعقمة، لقد بدأت الأمراض بالانتشار، وفرق الإنقاذ لم يتم حتى إعطاءها أي تطعيم،، هناك حتى الآن ثلاث حالات جرب، وقد تنتشر الأوبئة سريعا، فلذلك علينا أن نستعد وبسرعة.

ألتفت شمالا، لأجد بيتا وقد هدم نصفه، بينما مازال نصفه الآخر موجود، وبعض اللوحات ما زلت تزيّن النصف الموجود، وألمح من بين الأنقاض امرأة تقف متسمّرة دون حراك، حتى أنك بالكاد تميز أنها على قيد الحياة لولا أنها تقف على أرجلها،،يلتفت سامي نحوي ويقول،،لم تري شيئا بعد، فلندخل إلى داخل المخيم.

نتجاوز مياه المجاري التي تملأ الأرض ونسير في الوحل. لنرى بأن ذاك البيت الذي رأيته ما هو إلا البداية كما قال سامي،وفجأة نرى عشرات الناس تتجمهر فوق تلة من الأنقاض. وصوت صياح،لقد انتشلوا للتو جثة طفل من بين الأنقاض،

نسير أكثر. ولم نعد نرى بيوتا في حارة الحواشين. بل أكواما من الركام،تنظر باتجاهنا امرأة من المخيم وتعلّق 'لقد أصبح المخيم متنزها للسواح"،ألتفت نحوها وأقول لها 'الحمد لله على السلامة". فترد: وسلامتك يا أختي. أنا والله لم أقصد سوى أن الكلاب أحالونا إلى 'فرجة". أقدّر مجيئكم ولكن ماذا لو كنت مكاني؟!..لقد مكث الجنود في بيتنا ٥ أيام بلياليها. أصابوا زوج أختي وأخي بجراح، وفقدنا ابن أختي ولا نعرف الآن أين هو. لقد أرغمونا على نزع ملابسنا كما أرغموا رجالنا على ذلك. لقد كانوا يتلذذون في إهانتنا..قولي للأجانب كل ذلك. ترجمي لهم ما أقول.

وابدأ بالترجمة، ويلتف من حولنا الأطفال والشباب يطلبون مني أن أترجم كلماتهم. بينما تحاول 'نادرة" أن تحاور الأطفال وتهدئهم،

- ثائر (١٣ سنة) لقد شاهدنا الجثث تملأ شوارع المخيم. تركنا بيتنا وهربنا إلى الحارة الشرقية إلى بيت جدي.
- أطفال ': بهستيريا"، نعم لقد شاهدنا الجثث. شاهدنا الجثث. عددها كبير. بعضهم نعرفه. 'وليد" زميلي في المدرسة كان من بينهم. لقد رأيته بأم عيني ملقى على الأرض،وبالأمس فقط انفجر لغم 'بأسد". وأسد هو اسم طفل في العاشرة من عمره،
- أطفال آخرين: لم يكن 'أسد" لوحده بل أيضا كان معه طفلان. لقد تطايرت أطرافهم،أنا رأيت ساق أسد. لقد أخذوها إلى المشفى.
- سامي: لو كنت هنا قبل أيام. لشاهدت كم ساق ويد ورأس وكتف جمعنا. لم نكن نعرف لأي جثة يعود كل عضو من تلك الأعضاء،كل ما كان بوسعنا هو نقلها إلى المستشفى.

وفجأة تظهر 'شيماء"،طفلة في الحادية عشرة من العمر،جميلة جدا. وهادئة جدا. تنظر إلينا من بعيد. تناديها نادرة وتبدأ بالتحدث إليها. ولكنها لا تجيب. فبالكاد أخبرتنا باسمها،أحسست بأن هما كبيرا يقف وراء صمتها،اقتربت منها. عانقتها،قبلتها. ومن ثم عرفنا منها بأن بيتها قد هدم بالكامل. وبأنها تأتي يوميا لتزور أنقاضه، رغم صمتها إلا أنها لم تتركنا. كانت تسير مع نادرة. وتقترب منها أكثر. وفجأة أصبحت وكأنها طفلة نادرة. وكأنها كانت تبحث عن حب. عن أمان. عن عطف. عن دفء فقدته. تماما كما فقدت بيتها. فحتما إن أهلها قد فقدوا الأمن مع فقدان بيتهم. فكيف لهم أن يعطوه لشيماء!

تقترب منا امرأة. وتقول 'ما رأيكم أن تعملوا شيئا مفيدا،ساعدونا على رفع الأنقاض. علّنا

نجد أطفالنا" وتلتفت لي وتطلب مني أن أقوم بترجمة ذلك فأفعل,,يسأل أعضاء الوفد عمّا إذا وصلت وفود خبيرة بذلك. والجواب أن فرق الخبراء الأجنبية منعت من إدخال معداتها للمخيم. فيعدوهم بأن يفعلوا شيئا تجاه ذلك.

تقترب مجموعة شباب. ويطلبون مني أن أترجم أقوالهم:

- نحن لا نريد مساعدات مادية، نريد مساعدات سياسية
- قولي لهم أننا فقدنا أحبائنا
- قولي لهم أن الإعلامين الأوروبي والأمريكي متحيزان. وأن عليهم أن ينقلوا ما يرونه بصدق.
- قولي لهم بأننا نعرف أن الصهاينة يسيطرون على عقول الغرب. ولكن آن الأوان لتغيير ذلك فليبدأوا منذ اليوم.
- قولي لهم أننا لن نترك المخيم. وأننا سنعيد بناءه
- قولي لهم أن ما يرونه اليوم لا يمثل المأساة كاملة، فقد كان عليهم أن يأتوا قبل ذلك ليروا أكثر من ذلك
- قولي لهم أننا لسنا إرهابيين كما يظن العالم. وأننا قُتلنا هنا في بيوتنا
- قولي لهم أن الإرهابي هو من يقتل الناس ويهدم البيوت ويقتلع الشجر
- قولي لهم أن ما حصل في مخيمي صبرا وشاتيلا كان تقتيلا للناس. أما هنا فقد قتلوا حتى الحجر
- قولي لهم,,قولي لهم,,قولي لهم. حتى أنني لم أعد أذكر كل ما قالوه. ولكنني ترجمته كاملا وبكل أمانة.

فوق تلة الركام

هناك فوق أحد تلال الركام,,كانت تجلس,,امرأة في بداية الأربعينات وربما كانت أصغر من ذلك,,تجلس بصمت، وتنظر حولها. وبيدها زجاجة ماء.

ما أن رأيتها. حتى صممت أن أصعد إليها. وفعلا صعدت إلى أن وصلتها. وجلست على حجر بقربها

- الحمد لله على السلامة
- الله يسلمك يا حبيبتي
- هل هذا بيتك
- كان بيتي. وكان بيت أخي. وكان بيت أخي الآخر,,لقد كان مبنى من ثلاث طوابق. أحرقوه ومن ثم أتوا بالبلدوزر وهدموه.

- إن شاء الله تكونوا خرجتم منه بالسلامة
- الحمد لله,,لقد خرجنا بالسلامة. كلنا على ما يرام. لقد أخذوا معهم أخوتي الثلاثة,,لا نعلم عنهم شيئا,,الحمد لله كلنا على ما يرام!
- والأطفال؟
- أخذتهم أمهاتهم وذهبوا إلى بيوت أهالي أمهاتهم
- وأنت؟
- كما ترين,,أجلس فوق البيت كل يوم منذ الصباح وحتى المساء. ومن ثم أجد لي غرفة في أحد البيوت المجاورة الذي ما زال فيها غرفة غير مهدّمة فأنام فيها مع الجيران.
- ولكن لماذا تجلسين كل يوم هنا؟
- أحرس البيت
- ولكنه ركام
- ومع هذا فقد أجد فيه مالنا، أو أشيائنا,,أنا الآن مسؤولة عن أطفال أخوتي. من أين لي أن أصرف عليهم. علي أن أجد مالنا حتى أقوم بواجبي تجاههم
- ولكن قلت أن البيت احترق
- قد أجد المال,,سأنتظر حتى يأتون بجرافة لتساعدني في رفع الركام. ولكنهم لا يأتون بها أبدا. سأنتظر...
- أتمنى لك كل التوفيق.

غرفة العروس

بينما كنت مع تلك المرأة التي تحرس بيتها. دخلت نادرة بقايا بيت، والتقت فيه مع عروس كانت زُفت لعريسها قبل شهرين من الإجتياح. تُدخل العروس نادرة إلى غرفة النوم لتريها بقايا الموبيليا، وملابسها الجديدة بما فيها ملابس النوم التي كوّمها الجنود وبالوا عليها جميعا.

العروس تعلّق: لم أفرح بالموبيليا بعد ولا بملابسي,,وتصمت,,لم أفرح حتى بعريسي فقد افتادوه معهم

أكاليل الزهور

تطالعنا بين فترة وأخرى أكاليل زهور، ونعلم بأنها موضوعة حيث وُجدت جثث وحيث يعتقد أن هناك جثث. فهذا كل ما أمكنهم عمله.

لقاء رانية

من بين الأنقاض. أشاهد نادرة تعانق صبية وتبكي،،تجهشان بالبكاء المر. أقترب أكثر فأجد "رانية السلعوس"،،أنتظر لحظات حتى تراني،،تعانقني وأجدها فرصة مناسبة لسكب بعض الدموع التي كنت قد حبستها رغما عني.

شيماء تبدأ بالحديث

أقترب من شيماء بعد أن ألاحظ بأن نادرة قد أخرجتها من صمتها. وأسالها:

- ماذا ستكونين عندما تكبرين؟
- لا أعرف..لم أفكر بذلك بعد
- ولكن عليك أن تفكري منذ الآن
- ولكن تعرفين أنني فكرت، وأنني قد سبق وقلت ذلك
- آسفة،،لم أسمعك. هل لك أن تعيدي ذلك
- حسنا،،سأكون استشهادية
- لا يا شيماء، أنت طفلة جميلة يجب أن تحيا
- ولماذا، وأين؟
- لماذا لأنهم هم يريدونك أن تموتي، ونحن نريدك أن تبقي. وأين؟ هنا حيث سيبنى بيتك من جديد، وسيكون أجمل من السابق.
- صمت
- تمسك بيد نادرة لتساعدها على تخطي أكوام الإسمنت والحديد،،

في بيت فاتنة

هناك استدعتنا فاتنة لدخول ما تبقى من بيتها، وأمها تحدثنا:

لقد جمعونا ٣٦ شخص. ووضعونا في الطابق السفلي في غرفة واحدة، ومنعونا من الخروج منها، وهددوا بإطلاق النار علينا لو خرجنا من الغرفة،،لقد عشنا في تلك الغرفة عشرة أيام متواصلة نفترش الفراش ليلا ونهارا حتى أصبحت رائحته لا تطاق. فالأطفال بالوا أكثر من مرة بسبب الخوف. ناهيك عن رائحة العرق، حيث لم نتمكن من استبدال ملابسنا مرة واحدة. وكنا نطلب الإذن لإستخدام المرحاض، حيث يرافقنا أحد الجنود الذين تمركزوا في بيتنا، وكانوا حتى يفتشوا المرحاض بعد أن نستخدمه. وما أن سمعنا صوت البلدوزر تجرف المصطبة التي كنا نجلس عليها خارج الدار، حتى رفعنا الرايات البيضاء وخرجنا نستجديهم خوفا من أن يهدموا البيت علينا.

تأخذنا فاتنة إلى الطابق العلوي، وتزيح غطاءً كان يغطي الحائط، لنرى خلفه فتحة كبيرة، علمنا أن الجنود قاموا بفتحها ووضع الغطاء من خلفها، حيث تمركز القناصة خلفها ليشرفوا على المخيم.

فاتنة ترينا بقايا علب الأطفال التي كانوا يجمعون فيها أموالهم، وهو ما نطلق عليه الحواشة أو الحصّالة، حيث فتحها الجنود وأخذوا القطع النقدية التي ادخرها الأطفال.

تضيف فاتنة، بأنه وما أن أحس الجنود بالخطر، حتى أمروها بحمل ابن شقيقها (٤ أيام) والوقوف به باب المنزل، حيث استخدموها كدرع بشري منعا لإطلاق الرصاص باتجاههم لفترة من الزمن.

وبحسرة أكبر تضيف فاتنة: لم يخرجوا كما دخلوا بل أخذوا كل الشباب معهم، بينما يضيف والدها الكهل لا نعرف إن كانوا قد أخذوهم أم قتلوهم، نحن لا نعرف عنهم شيئا بعد، فأهالي المخيم قد شاهدوهم يقتلون العديد من الشباب الذين كانوا يقتادوهم.

حارة الدمج

أما حارة الدمج، فلم يعد هناك ما يشير إلى أنها كانت حارة عامرة بالبيوت، فالبيوت كانت تشكّل عائقا أمام الجنزرات التي لم تستطع أن تتجول في أزقة المخيم الضيقة، فجرفوها وعملوا لهم شارعا كما ينبغي، دون أن ينذروا السكان، و ما أن عرفت بأننا قد نكون فعلا نسير على الجثث حتى شعرت بالغثيان، فكيف لي أن أدوس جثة شهيد.

الأهالي منهمكون

المشهد العادي في المخيم هو انهماك الأهالي في البحث بين الأنقاض، عن الجثث وعن آخر ما تبقى من الممتلكات، أما المشهد غير العادي، فقد كان مشهد تلك المسنة التي كانت تروح وتجيء بحثا عن حفيدها، حيث ما زال عندها أمل بأنه قد يكون قد خرج من البيت قبل هدمه عليه وعلى أسرته علّه يعود إلى هنا، فهو طفل لا يمكن له أن يذهب بعيدا، وحتما سيعود ليتفقد البيت، وستجده هي وتأخذه معها„هكذا تعتقد، وهكذا أتمنى أن يكون„

دوّار الشهداء

على باب المخيم دمار من نوع آخر، فهنا وكما أخبرني سامي كان دوار الشهداء السبعة الذين استشهدوا في الإجتياح السابق، حيث دفنهم أهالي المخيم وبنوا لهم نصبا تذكاريا كتب عليه أسماءهم„همجية القرن الجديد لم يعجبهم ذلك فنسفوا الدوار وأخرجوا منه الجثث وألقوها، فما كان من الأهالي إلا أخذها ودفنها من جديد في مقبرة المخيم.

في مستشفى جنين

محطتنا الأخيرة كانت في المستشفى الحكومي المحاذي للمخيم،مستشفى تنقصه كل إمكانيات المشافي الحديثة تقريبا، وتنقصه كل الإمكانيات ما عدا تلك الإمكانيات البشرية المخلصة، ولا سيما مدير المستشفى الذي قابلناه وهو الدكتورمحمد أبو غالي.

الدكتور يحدثنا عن الكثير:

- لقد حاصروا المستشفى بشكل كامل، حتى منعوا وصول أي من الجرحى، ومنعوا طواقمنا من الخروج لإحضار الجرحى،دمروا سيارة الإسعاف التي كانت تقف أمام المشفى، ضربوا المولد الكهربائي فانقطعت عنا الكهرباء عشرون ساعة، حيث يمكن لكم أن تفكروا بعدها بأحوال المستشفى دون كهرباء ولا سيما بنك الدم،حاصرونا بالدبابات، ضربوا خزانات المياه، والأكسجين وأنابيب الغاز الطبيعي، طلبنا مساعدة الصليب الأحمر الدولي، وخلال اجتماعنا معهم في هذه الغرفة أطلقوا علينا الرصاص (يشير إلى آثار ثلاث طلقات في السقف والجدار)،بعد جهد تمكنا من الحصول على إذن لإصلاح مولد الكهرباء لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من الدم. هددونا لو خرجنا لإسعاف الجرحى فسيكون مصيرنا كمصير الدكتور خليل سليمان، إذ أطلقوا الصواريخ على سيارة الإسعاف التي كانت تقله وثلاثة من الطاقم، فتوفي على الفور في حين أصيب الثلاثة الآخرين بحروق بنسبة ٧٠٪ وتم تحويلهم إلى مستشفى المقاصد في القدس لتلقي العلاج، والآن أطلقنا على المستشفى اسم ذاك الطبيب الشهيد البطل. أجرينا العمليات بأقل الإمكانيات المتاحة، عملنا ليل نهار، دفنا بعض الجثث في باحة المشفى (على مكتبه كانت خارطة برسم اليد تشير إلى أماكن الجثث وأسماءها).
- كم جريح وصلكم
- ١٤١ جريح
- فقط؟!
- لم يكن هناك مجالا لعلاج الجرحى، فقد قتلوا كل الجرحى قبل أن يصلوا إلى المشفى، حتى أنهم قتلوا أحدهم بعدما وصل مدخل المشفى وتحديدا على درجات المدخل، ولم نتمكن من إدخاله حيث تواصل إطلاق الرصاص، وقد هدموا غرفتين من غرف المستشفى.
- وماذا عن عدد الشهداء؟
- لا يمكن لنا الآن تحديدها، فقد كنت أراقب من هنا من نافذتي ثلاجة الموتى التي كانت تحضر مرتين يوميا، وطولها ١٢ مترا، تحمّل الجثث وتأخذهم بعيدا، هذا بالإضافة إلى من دفن في مدافن جماعية داخل المخيم، ومن ما زال تحت الأنقاض. الآن وصلتنا جثة طفل ولم نستطع تحديد الجنس أو العمر بعد. هناك الكثير من المفقودين لا نعرف إن كانوا في عداد الشهداء أم المعتقلين.

نادرة: تتحدث عن كل ذلك، هل رأيت الثلاجة بأم عينك؟

- نعم
- ورأيت الجثث؟
- نعم
- وتعرفت على أي منهم من بعيد؟
- نعم
- وما زلت قادرا على الحديث؟!
- لقد مات قلبي، وأنا الآن مجرد طبيب يقوم بعمله

أنطلع إليه وقد كنت قريبة منه بشكل كافي لأراقب كل تلك المشاعر التي كانت ترتسم على وجهه، وددت لو أقول له "لا يا دكتور فقلبك لم يمت بعد، ومن يتفانى في العمل مثلك لا يمكن إلا أن يكون صاحب قلب حي".

وفود أكثر تدخل المشفى، ما يحتم انصرافنا.

"أسد"

قبل الإنصراف، اسأل سامي " لو كان ممكن أن نزور "أسد" في المشفى..نذهب لزيارته في غرفة الرعاية المكثفة، طفل صغير غائب عن الوعي، يده مقطوعة، أمّا وجهه ... فهو ما لم أستطع أن أنظر له، لقد أعاد لي ذكرى أليمة، ذكرى حروق أطفالي (فايز وأحمد) في بداية الإنتفاضة والناجمة عن انفجار ابسط ... لا اختلاف بين الوجوه ... التنفخ والسواد ... و... نهاية التماسك...

لم أستطع أن أصمد أو أن أتماسك أكثر من ذلك، وخرجت باكية من الغرفة لأجد أمه أمامي،عانقتها،قبّلتها،أكّدت لها أن لا أحد يفهمها في هذه اللحظات كما أفهمها،تمالكت وقلت لها أن أطفالي كان لهم نفس الوجه وبأنهم قد تعافوا الآن. فسألتني وماذا عن يده وأصابع قدميه،أطرقت ومشيت، إلى أن التقيت بوالده يبكي ويرجوني أن أساعده في نقل ابنه إلى مشفى آخر، أو أن أطلب من الوفد مساعدته (لن يشفى هنا، ولن تكتب له النجاة) هذه كانت أخر كلماته. في حين وعدته ببذل كل جهد ممكن.

خرجت من المشفى وهاتفت (تيري بلاطة) رئيسة مجلس أمينات مركز الدراسات النسوية على الفور، حدثتها عن أسد ورجوتها أن تتصل فورا بلجنة كويتيون من أجل القدس. علّهم يعالجوه في الكويت، وقالت لي بأنها ستفعل، وأن علي إحضار تقريره الطبي،التفت إلى سامي وأناشده أن يعمل على متابعة التقرير فورا، وإرساله لي عبر الفاكس، فوعدني بذلك

رحلة العودة

أما رحلة العودة، فقد بدأت بعد أن استضافتنا لجان الإغاثة الطبية لأخذ قسط من الراحة ومقاسمتهم وجبة خفيفة قام الشباب بإعدادها بأنفسهم،ركبنا السيارات وتوجهنا إلى رمانة، فالطيبة، وقد تمكن السائقون من إيصالنا إلى آخر نقطة ممكنة قبل الطريق الترابي الذي يفصل بين الطيبة وأم الفحم والمليء بالسواتر الترابية.

وما أن تجاوزنا ثاني ساتر ترابي، حتى وجدنا بعض الشباب بين الأشجار، وقالوا لنا بأنهم كانوا ينقلون حمولة شاحنة مساعدات وصلت من الأهل وراء الخط الأخضر، فاكتشف أمرهم الجنود وأطلقوا الرصاص باتجاههم مما دفعهم لترك الحمولة على الأرض والهرب.

لحظات تفكير ونقاش قررنا بعدها أن نقوم نحن بنقل الحمولة من الساتر الترابي الثالث حتى الثاني. فمعظم الوفد أجانب، وبالفعل بدأنا وقمنا بنقل المعونات،وصل الشباب لأخذها وتمريرها عبر الساتر الثاني عندما تنبه الجنود وحضروا مسرعين،الشباب تنسحب ونحن نقف.

جدال كبير دار بيننا وبين الجنود الذين أمرونا بترك المعونات على الأرض ومغادرة المكان فورا، نحن نناقش بالإنجليزية والنقاش يدور حول وقاحتهم في منع وصول مواد ضرورية لإنقاذ الناس، ولقد كان للون بشرتي وشعري الفاتحان وتمكني من اللغة الإنجليزية مزايا مكنتني من الظهور كأجنبية ضمن الوفد، ومن خوض النقاش معهم بشكل قوي.

يحتدم النقاش بيني وبين المجندة التي سألتها:

- ما هي مشكلتك في أن يصل هذا الفراش إلى طفل فينام عليه الليلة؟!
- مشكلتي أن هذا الطفل سيقوم بعملية انتحارية بعد ذلك تقتل العديد من الإسرائيليين
- الأطفال لا يفجروا أنفسهم
- ألا تعلمي بأننا أمسكنا طفل قبل أسبوع حاول التسلل من هنا بحزام ناسف
- كاذبة
- أنا لا أكذب
- بل تخترفين الكذب،هل رأيت وضع الأطفال في مخيم جنين. وكيف يعيشون الآن حتى تمنعي مساعدات كهذه من الوصول إليهم؟!
- هل رأيت ضحايا التفجير في إسرائيل
- لا يمكن إجراء المقارنة،أراهن بأنك لا تعرفين ماذا هناك في جنين

تثور وتبدأ بالصياح. فأقرر الإنسحاب قبل أن تكتشف هويتي فيكون لها ما تحلم به. ويقترب أعضاء الوفد لمتابعة النقاش معها. أكاذيبها حاضرة. في حين تحاور نادرة الجندي الآخر بالعبرية. وتنهمك صبايا الوفد مستغلين الحوار في نقل المعونات للشباب بسرعة كبيرة.

يستمر النقاش. ويستمر نقل المعونات إلى أن ننجح في ذلك,, الجندة تعجز عن الرد على الطبيب الأمريكي. تلتفت لي فتصب جام غضبها علي مدعية بأنني لا أحترم نقاشها. فأترك لها المجال وأنصرف مرة أخرى خوفا من أن تكتشف هويتي,,

فجأة تصل تعزيزات عسكرية. وتأمرنا بإبراز جوازات السفر (وهذا ما لم أحسب له حساب) أحاول أن أتسلل بين الأجانب. يلاحظني جندي ويأمرني بالعودة. أؤكد له بالإنجليزية بأنني سأفعل ذلك حالا. تلهيه نادرة. وتنتبه العجوز الأمريكية فتقول لي وبصوت عال أنا عجوز غير قادرة على المشي ساعدني. أساعدها حتى أبتعد. وبعد ذلك أتركها تنتظر الباص. في حين أعود ماشية لمدينة أم الفحم لانتظارهم هناك ولم يطل انتظاري.

لا داعي لمتابعة الإجراءات

تتصل 'تيري" وتخبرني بأن لجنة كويتيون من أجل القدس أبدوا الإستعداد لاستقبال الطفل. وبأنهم سيبدأون الإجراءات مع وزارة الصحة الكويتية فورا,,أشعر بارتياح وأحاول أن أنام في الحافلة بعد هذا اليوم الشاق.

جرس الهاتف النقّال,, سامي على الخط الآخر

- سامي ,,جيد أنك تحدثت لا تنسى تقرير أسد فقد أخذنا الموافقة
- لا داعي لذلك يا ساما
- ماذا تقول يا سامي؟
- لقد استشهد الآن

وتنتهي الرحلة بالدموع. تماما كما بدأت. ولكنها حتما هي البداية. وكان لا بد أن نعود لنعمل معهن ومعهم جميعا من خلال هذا المشروع كبداية.

٢٣/٤/٢٠٠٤

الحزن عندنا فقط

كانت هذه هي الكلمات التي أصرّت عائلة الأطفال الشهداء عبد ونضال على ترديدها بطرق مختلفة وبألفاظ مختلفة...ابتداء من رفض نور التحدث مع الباحثات، مرورا بتردد والدته عن الحديث، وانتهاء بمحاولات والده المستمرة لإقناع زوجته بإنهاء حديثها معهن...

هذه العائلة كان لها نصيب كبير خلال اجتياح الأربعين يوماً في بيت لحم، وباعتقادهم أن قصتهم بدأت عندما طلب أحمد (عامين ونصف) الموز، فأصر إخوانه الثلاثة (عبد ونضال ونور) على تلبية رغبته، خارجين من المخيم شاقين طريقهم نحو بيت لحم دون أن يعلموا ما الذي كان ينتظرهم...

وتذهب بذكرياتها إلى ذلك اليوم...خرج الأولاد...سمعنا صوت الانفجار...أحسست أنهم هم...ركضت مع غيري من الناس...وعلى الفور أدركت أنهم أولادي، فقد عرفتهم من أحذيتهم...حيث كانوا قد حملوهم ولم تبقى سوى الأحذية...رجعت إلى البيت وسمعت النبأ عبر شاشة التلفاز...

لحظات صمت وبكاء...ثمّ ما تلبث أن تواصل الحديث في حين يرجوها نور وبعصبية بأن تسكت، فهو لا يريد أن يتذّكر ذلك اليوم، لا يريد أن يتذَّكر فقدانه لأخوته وفقدانه لأطرافه...لا يريد أن يتذكر ذلك اليوم الذي حبسه في مقعد متحرك وحرمه من الأخوة المحبين...

تتدخل الأم، ولكنه يصر بأنه لا يريد أن يسمع أحد، يؤكد بأنه يعرف بأنه وبإعاقته أصبح طفلا غير مرغوبٍ فيه...فيما يتدخل الأب أيضا ويطالبها بالسكوت حيث لم يعد الحديث يجدي نفعا...

وعبر لحظات الحلم نبدأ بترديد إيجابياتهم...فتتذكر عبد الذي كان دائما يهتم بعمل الشاي لأسرته...أخلاقهم...حبهم لأمهم...حنيتهم...مساعدتهم لها في أعمال البيت، قلاية البندورة التي أعدّها نضال صباح يوم استشهاده، وكم كانت متقنة ولذيذة ...ولكن أين هم الآن؟!...أين هم؟

ومن ثمّ تشير إلى ابنتها مؤكدة حبّها لها، فقد كان الشهيد عبد يحبّها، ولذا تعتقد بأنها تحبها...وإلى منصور وقد أصبح عدوانيا يكسّر الألوان ويمزّق الأوراق..والأب ليس له مورد رزق ثابت...

كل ذلك يهون أمام الذكرى السنوية لاستشهاد الأحبة، والبيت فارغ منهم وفارغ من الناس...لم يذكرهم أحد، فالحزن عندنا فقط...كانت تلك الكلمات التي أنهى فيها الأب حديثه...

أصعب موقف

عندما فتحت السيدة "د" (٥٧ عام) قلبها لرانية، تحدّثت عن أمور عديدة وصعبة عاشتها وعائلتها أيام احتياح مخيم جنين، شأنها في ذلك شأن العديد من الأسر التي عاشت بشاعة همجية القرن الواحد والعشرين.. تحدثت السيدة "د" عن معاناة الحصار.. نقص الغذاء.. جوع الأطفال.. قلة الماء.. اعتقال الأولاد والشباب.. بشاعة فراقهما...عن اشتياقها لإحتساء فنجان القهوة مع ابنها المعتقل حيث كانت لا تهوى في الدنيا أمرا كما تهوى سماعه وهو يتحدث معها أثناء شرب القهوة، التي كانت تعدّها لتشربها معه لتطرب لأحاديثه التي كانت تنسيها هموم الدنيا...عن انقطاع التيار الكهربائي لعدة أيام متواصلة..عن رائحة الموت التي انتشرت في المخيم... خوف أحفادها من صوت القصف.. بشاعة الروائح الكريهة التي انتشرت نتيجة عدم التخلص من أكوام القمامة...إلى أن كان سؤال رانية لها عن أصعب موقف تعرضّت له فأجابت وبكلماتها:

"لمّا انصاوب جوزي وفش إسعاف يسعفه، أنا دايما بحطاط من شاش، قطن، مطهر، لزقات، مقص، وأسعف اللي بقدر عليه، بس كان برّه وتصاوب...كان ابني بدو يخرج يجيبه قلت له لا...أبوك استشهد الله يرحمه...بفقدكوش إنتو كمان، قال طيب إنت اطلعي...قلت لهم: فقدتوا أبوكم تفقدوا أمكم كمان..."

بهذه الكلمات وصفت السيدة "د" ذلك الموقف الصعب عندما خرج زوجها (٦٥) عاما لكي يحاول أن يجد أي طعام لأولاده وأحفاده الجائعين.. لقد اختار أن يخرج هو كرجل كبير بالسن حتى لا يعرّض أولاده الشباب لرصاص الجيش الإسرائيلي، ظنا منه أنهم قد يتغاضون عنه كرجل كبير في السن...ولكن وما أن خرج من باب البيت حتى قنصوه برصاصة دخلت في بطنه وخرجت من ظهره...صرخ من شدة الألم..حاول أبناؤه الخروج لإسعافه ...ولكن هنا كان يكمن القرار الصعب...أن يتركوه حتى الموت أو يضحوا بآخر...الأم رفضت أن يخرج أبناءها الشباب مدركة بأن خروج أي منهم يعني فقدانه هو الآخر، وخافت أن تخرج هي حتى لا تترك العائلة بدون أم...فيكفيهم أنهم فقدوا الأب...

في بادىء الأمر لم يستسلم الزوج وحاول وبرغم جراحه أن ينقذ نفسه فقد زحف على الأرض وبعد فترة تمكّن من دخول البيت من بابه الخلفي ليموت بينهم...تقترب منه بشجاعة وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة لتقول له وبكلماتها: "إنت كريم، والكريم مأواه الجنة، طول عمرك مليح..صحلك معي عمرك ما أهنتني عمرك ما كنت عاطل.. حسست على كتفه.. وبستة من راسه، وبس مات قلت إنا لله وإنا إليه راجعون"

وتضيف لتصف مشاعر البنات والأولاد لحظة الفراق.. وتتحدث عن صراخهم وعويلهم ولكن مرة أخرى نبهرنا موقفها الصلب الذي تطلبته المرحلة منها كمسؤولة عن هذه الأسرة بعد

فقدان والدهم.. حيث طلبت منهم عدم البكاء مذكرة إياهم بأنهم في موقف قد يموتون فيه جميعا...فالموت وكما كانت تراه كان يقف لهم ولجميع سكان الخيم بالمرصاد...وعليهم أن يفكروا معها في كيفية النجاة والصمود...

تشعر بضعف ابنتها الحامل على مواساة أطفالها الخائفين بعد كل ما جرى. فتتكفل هي رغم آلامها بمسح جراحهم وتهدأتهم وتأخذ دور الراوية. لتؤنسهم برواياتها...والمغنية لتطربهم بغنائها...ولا تنسى النكات حتى تبعد شبح الخوف عنهم...

ومن أغنياتها التي كانت ترددها للأطفال سجلنا هذه الأغنية:

يا ستي يا ختيارة — *يا زينة كل الحارة*
طلعتلي سيجارة — *أولعها في الغارة*
وستوته يا ستوته — *إن شاء الله اتضلي مبسوطة*
يا ستي ابريقك مليان — *اسقيني منو نقّوطة*
يا ستي يا ست البيت — *طعميني خبزة مع زيت*

ثم تخرج هي وقد باتت المسؤولة عن العائلة في محاولة إحضار ماء بعدما نفذ تماما من البيت. وتتحدث عن رحلة ساعات أحست فيها بالموت يلاحقها...إلى أن عادت وقد خرجوا من البيت بعدما أصبح غير آمن...ثم تعاود رحلتها لتلحق بهم وما أن تصلهم حتى تعاتب الأطفال ساخرة عن تركهم لها ولتضحكهم من جديد...

واجهت موت زوجها...واجهت خوف الأطفال...كما واجهت الجوع والعطش. إلا أن أمرين اثنين لم تستطع حتى الآن التكيّف معهما:

الأول: اعتقال أبنائها. وهنا تعلن افتقادها أحدهما أكثر من الآخر...ذلك الذي كان لا يحتسي قهوته إلا معها...ولا يحلو له السمر إلا معها...وتحدّثنا كيف أن اعتقاله سرق النوم من عينيها. وبأنها تبكيه نهارا وليلا. فهو من كان يحدّثها باستمرار. وهو الذي كان يفهمها كما تقول. وهو الذي كان يجيبها إذا سألت...وهو أيضا الذي كان أنيقا مثلها...

والثاني: تساقط شعرها وتحوله إلى اللون الأبيض. فالسيدة "د" تؤكد كما يؤكدن بناتها بأنها وحتى بداية الإجتياح لم يستطع الشيب أن يغزو رأسها, وكانت تتباهى بضفيرتها السميكة. لأنها كانت امرأة تهوى الجمال والأناقة. ولديها من الملابس والروائح ما يجعلها دائما أنيقة...أما الآن فقد تساقط شعرها, وابيّض لونه لدرجة أنها أصبحت تخاف أن

تواجه المرآة. وبالفعل فهي لا تواجهها حتى الآن...في الوقت الذي أصبح جسدها فيه في حالة رجّة دائمة.

تلك هي لقطات من مقابلة طويلة أجرتها الباحثة مع هذه الأم...ولم ينتهي اللقاء دون أن تذكّر السيدة "د" بعدة أمور نورد منها:

- قلقها الدائم على ولديها المعتقلين (كيف ينامان. هل يأكلان وهل وهل وهل...)
- عدم تقبلها لعمل أي شيء لا تحب أن تقوم به وهو ما تعتبره عنفا
- خوفها من الإغلاقات المستمرة التي تحرمها من رؤية بناتها وأحفادها
- تأكيدها أن العيد هو عيد الدول العربية فقط الذين لم يعد لديهم دينا على حد تعبيرها
- حزنها على المخيم وقد تحوّلت كل بيوته إلى بيوت عزاء أو خراب
- أملها الوحيد في جمع شمل العائلة كلّها

وننهي المقابلة، ولكن لم تنتهي آلام السيدة 'د'. فإلى متى؟!

الشعور بالألم كان هو الشعور الطاغي

كانت حلوة وهادئة...تتصرف بشكل يوحي بأنها أكبر مما هي عليه فعلا...تحب أن تقدّم القهوة لوالدها يوميا ولا تنسى تقديم كوب الماء معها...كانت مجتهدة في المدرسة. محبة لأخواتها الأصغر في البيت...كنت أحب أن أرافقها إلى السوق فلطالما أحببت ذوقها في المشتريات. وطريقة تعاملها مع الباعة

هذه هي الكلمات التي وصفت فيها والدة الاستشهادية آيات الأخرس ابنتها...تتكلم والدموع لا تفارق عينيها. فيما تحاول جاهدة أن تضغط على يديها في محاولة لتحريك أصابعها...فقد توقفت أصابع يديها مع توقف عقارب ساعة حياة آيات. وبعد محاولات جادة بدأت تحرك يديها بصعوبة إلا أن أصبعا واحدا ما زال يرفض الحركة وكأنه يصر على أن يتوقف عن النبض تماما كما توقف قلب آيات...

جلست مع الباحثات هي وزوجات أولادها المعتقلين جميعا. الذين اعتقلوا بسبب استشهاد آيات...تحلقن حولهن فيما رحبّت الأم بالحديث معهن. وكأنها كانت تبحث عمن يسألها عن مشاعرها دون أن يذكّرها بواجبها الاحتفائي تجاه فقدان ابنتها...من يسمعها تطلق مشاعرها دون أن تضطر إلى تغليفها.. عن من يعطيها الحق في البكاء دون أن يلومها عليه...

تحدّثت عن ألمها...عن صدمتها...عن الفقدان...عن اللوعة...عن حالها بعد غياب الغالية...عن حال أخواتها الصغيرات اللواتي تراجعن لا في الدراسة فحسب بل حتى في استيعابهن لبعضهن البعض. وكأن كل واحدة منهن تشعر بأن لا حياة من بعد غيابها...

تحدّثت عن العرس الاحتفالي الذي نظمه الأقارب والجيران وأهل الخيم احتفاءً باستشهاد آيات...تحدثت عنه متسائلة إن كان هذا هو العرس الذي كانت تنتظره لإبنتها المخطوبة...وتؤكد بأنه عرسا لم تكن لتحظى به آيات لو كانت على قيد الحياة. ولكنه عرسا لم تستطع هي أن تصمد فيه فتمّ نقلها إلى المشفى. وكذلك الأب والأخوات وخطيب آيات...

تستغرب جرأة آيات...تستغرب إمكانياتها التي لم تشهدها من قبل...كيف وصلت إلى القدس رغم الحصار. وهي التي لم تكن لتصل بيت الجيران لوحدها...كيف تجرأت على فعل ذلك وهي التي لم تجرؤ على ما هو أقل من ذلك...كيف ضحّت بجمالها، بشبابها، بخطيبها، بمستقبلها؟؟!!!

كل تلك كانت أسئلة تطرحها والدة آيات كما طرحها والدها أيضا دون أن يتمكن أي منهما من إيجاد أجوبة لها...

تغيب مع صورة آيات المعلّقة على الحائط. ثمّ ما تلبث أن تعود وتؤكد أن لديها شعوراً غريباً ينتابها أحيانا...شعوراً أن كل ما حدث ليس صحيحا. وأن آيات ما زالت على قيد الحياة...وأنها سترجع...نعم سترجع إلى حضن أمها التي ما زالت تنتظر عودتها وترفض تصديق النبأ...نعم فقد رفضت تصديقه منذ البداية...كيف تصدّق ما يقال في نشرة إخبارية عن ابنتها؟...كيف يصلها نبأ استشهاد ابنتها عبر التلفاز مثلها مثل كل الناس الآخرين؟...هل يعقل أن يصلها خبر يخص ابنتها عبر التلفاز؟...تتصرف وكأنها لم تسمع النبأ...تنزل إلى الشارع لتسأل اخوتها عنها وهم الذين لم يسمعوا الخبر بعد...تطالبهم بالذهاب للبحث عن أختهم التي تأخّرت في المدرسة، فقد كان من المفترض أن تتقدم لإمتحان التربية الدينية وتعود. وقد عدن أترابها ولم تعد هي...تطالبهم بإصرار أن يبحثوا عن أختهم متجاهلة النبأ الذي سمعته إلى أن تطالها أصوات الزغاريد وتصل المهنئات، ويقع الانهيار وتنقل إلى المشفى...

لم تصدّق الخبر في البداية، ولكنهم أجبروها على تصديقه. فهاهم جميعا يزغردون ويحتفلون. وهي مجبرة على الاحتفال...مجبرة على المشاركة. إذن فالأفضل أن تغادرهم جميعا وتغيب عن هذا الوعي إن كان ثمنه تصديق فقدانها لآيات...

تصمت والدة آيات، وتبدأ بالذكريات...وكأنها من خلال الذكريات تحاول جاهدة مرة أخرى أن تصدّق الخبر...تتحدث عن إعجاب آيات بالاستشهادية وفاء إدريس...بلومها لها واتهامها لأمها بالبخل.

حيث كانت تتسائل آيات وبطريقة فكاهية عن سبب بخل أمها بتقديم شهيدة في حين لديها من البنات سبعة. وتطالبها بأن لا تكون بخيلة وبأن توافق على تقديم واحدة منهن...

تتذكّر كل ذلك. وتتذكر كيف أنها لم تولِ لذلك أهمية. فقد كانت تأخذ حديث آيات على محمل الفكاهة. ولم تتصور أبدا بأن آيات كانت تخطط لهذا اليوم. ولماذا تخطط له؟!

تلوم نفسها على عدم تعاملها مع أحاديث آيات بجدية. وتتسائل لو كانت القطة تدافع عن أطفالها فهل يعقل أن لا أدافع أنا عن آيات لو علمت بما تخطط له. وفي مقابلة أخرى مع والدها يؤكد نفس الحكاية...

تعود بذكرياتها إلى ذلك اليوم. فتتحدث عن الأمسية التي سبقته حيث كان الخطيب وأهله يسهرون معهم. وكلما هموا بالرحيل تطالبهم آيات بتمديد الزيارة وكأنها تودعهم...وعندما يذكرونها بامتحانها. تؤكد لهم بأنها قد درسته بشكل جيد. وتطالبهم من جديد بالبقاء إلى أن كان الفراق الذي لا بد منه...ولم يعد لخطيبها سوى الذكريات فيعود بين فترة وأخرى لزيارة أهلها علّه يواسيهم وعلّهم يواسوه...

في الصباح تطلب من أمّها أن تدعو لها بالتوفيق. وعندما تسألها أمها لماذا الدعاء تؤكد لها بأنها بحاجة لبركات أمها في الامتحان...تذهب للإمتحان فعلا. وتحصل على علامة كاملة فيه وهو ما أكدته مدرستها. وبعد الامتحان تسير نحو الامتحان الآخر ولا تعود...

ذهبت آيات. وذهبت الراحة معها...فاليوم وفي هذا البيت لا يوجد غير الذكريات...ذكريات الشابة الجميلة المحبة للجميع...وذكريات الشباب الذين ما زالوا في المعتقل...وبقايا أخوات فقدن رغبتهن في الدراسة ...وأمراض استوطنت في جسدي أمها وأبيها...

ذهبت آيات ولم تترك خلفها إلا الحزن واللوعة ..لوعة الأسرة على فقدانها...وشعورهم بالضيم وقد عوملوا كأسرة "إرهابية" حيث تم تجميد عمل والدها الذي كان يعمل في مؤسسة إسرائيلية منذ ثلاثين عاما دون إعطاءه أية تعويضات. واعتقال جميع اخوتها...وشعور بالظلم لأن عليهم أن يحتفلوا بفراقها...وشعور آخر بالحزن لأن آيات مضت ولم يمض معها الظلم. فما زالت رفح تقصف وما زال أهالي جنين يعانون. وما زالت المعتقلات ملأى بالمعتقلين. وما زال الظلم يرفع راياته. وما زالت الإذاعات العربية تغنّي. وما زالت الصحافة العربية على حد تعبير والدها تنقل أخبار الرقص والغناء ولم تأبه حتى لتنقل حياة آيات وأحلامها التي مضت من أجل العرب...

الحمد لله أننا ما زلنا أحياء

كانت مبتسمة تقف أمام بيتها لتستقبل الباحثتين..لقد أخبرتها حماتها بأنهما قد زارتاها وسألتا عنها وعرّفتاها بأهداف المشروع. فانتظرتهما بتلك الابتسامة التي ارتسمت على وجهها الطفولي الذي وكما قالت عنه روضة. بأنها تفاجأت بأن هذا الوجه نفسه كان يخفي معاناة تثقل تحت وطأتها الجبال...

بدأت تتحدث بهدوء عن أحداث ٢٠٠٢/٤/٧ في مخيم بلاطة...واصفة ذلك اليوم بأنه كان يوماً هادئا خاليا من القصف أو أية مواجهات. وبأنها كانت تجلس في بيتها بينما كان ابنها يوسف مسترخيا على سريره في غرفته المطلة على السهل...

وفجأة ودون سابق إنذار سمعت أصوات الدبابات والجنزرات تتقدم. كما سمعت مكبرات الصوت تطالب أهالي البناية البيضاء بإخلاء البناية...

"لم نعلم بأننا المقصودون...لم ندرك بأن بنايتنا كانت هي الهدف...لم نتحرك من مكاننا"..تلك كانت كلماتها الأخيرة قبل أن تنهار وتبدأ بالبكاء. وتشير بيدها إلى الجدران التي بدأ الرصاص ينهال عليها. ووسط شلال الدموع تصف لنا مشهد هروبهم من الدار إلى الطابق السفلي...مشهد بقدمها حافية القدمين مكشوفة الرأس ...

لم تستطع أن تنهي وصف المشهد...فقد كان الحدث أكبر ما يمكنها أن تحتمل...امتلأت العيون بالدموع. واصفرّ الوجه وبدأ الجسم يرتجف... ما استدعى وقف المقابلة. ومساعدتها عبر بعض تمارين الإسترخاء حتى تتمالك نفسها من جديد...

مرّة أخرى تبدأ سناء بالحديث لتصف مشاعرها بالفقدان والضياع والخوف...لقد تمكنت هي وأولادها وزوجها من الهرب من بيتهم والإلتجاء إلى داخل المخيم. حيث استضافتهم أسرة من الأسر الكثيرة التي كانت تفتح أبوابها لكل من يقصدها من منطقة القصف...شعور نسبي بالأمان في هذا البيت الآمن نوعا ما وبين سكانه الذين فتحوا قلوبهم قبل أبوابهم لهم...ولكن ماذا بعد؟!

في حوالي الساعة التاسعة مساء بدأت مكبرات الصوت بالمناداة..هذه المرة كانت مكبرات محلية...مكبرات الشباب من داخل المخيم تطلب متطوعين لإطفاء الحريق الذي شبّ في بيت جعارة...أي بيت سناء...

قلبها يهوي وتحس بآلام حادة في معدتها...لحظات ويدخل بعض الجيران ويخبرونهم بأن غرفة من غرف بيتهم قد احترقت وهي غرفة ابنهم يوسف...

يخرج زوجها مع الشباب...إلى البيت الذي كانت النار تشب في كل زواياه. في حين انقطع التيار الكهربائي كما انقطعت المياه...وبهمة الشباب يبدأ نقل المياه من البئر في محاولة لإخماد الحريق...محاولة نجحت بعد ساعات وبعد عناء اشترك فيه العشرات...

يعود هو إلى حيث زوجته ولكنه غير قادر على الكلام...السواد يلفّه بشكل كامل، وقدرته على الكلام ضاعت واختزل الموقف بقوله "لقد انخرب بيتنا"...

لم تعِ ما قال، أو أنها لم ترغب في أن تعيه...خرجت لتسأل الآخرين، والذين أكدوا لها بأن غرفة من البيت قد احترقت...تعود لتهدأنه معتبرة بأن ما ضاع من الممكن تعويضه، إلى أن كان الصباح...

صباح لم تتوقعه في حياتها، وكل أملها أن تمحوه من ذاكرتها...صباح عملت الكثير من أجل أن لاتعيش مثله...لقد كانت تعيش في أسرة كبيرة وفي ظل أب مريض لم يستطع أن يتكفل فيهم جميعا ما جعله يزوج ابنته بشكل مبكّر...

عاشت مع زوجها وحققت حلمها فكان لها البيت الذي حلمت به...بجهده وتدبيرها كان لهما ولأطفالهما هذا البيت، والذي حرصت على أن تزينه بكل ما تحب وأن تؤثثه بكل الأثاث الذي حلمت به...وأخيرا اشترت بوفيه ب ٥٠٠ دينار أردني وذكرته خلال المقابلة أكثر من مرة..

في هذا الصباح رأت حلما يتهاوى...البيت قد تحوّل إلى رماد...احترق الأثاث...احترق السجّاد...! لتحف الملابس الشتوية والصيفية...الصور التي كانت تحمل الذكريات...ذكريات الأولاد قبل أن يكبروا، وذكريات العرس...ولم يبق شيء.

من يلومها على تركها لبيتها...من يلومها إن عادت إلى بيت أهلها لتبحث عن الأمان...هذا البيت لم يعد آمناً...لم تعد تشعر فيه بالأمان...لم يعد فيه ما يخصّها...جدران محروقة تحدّث عن الفاجعة...وبقايا أثاث محروق وقد غطته بملاءات استعارتها من بيت حماتها...لا لم تكن ترغب في الرجوع إليه. فالتجأت إلى بيت أهلها علّها تشعر في الأمان...

ثلاثة شهور مرّت وهي ترفض العودة. ولكن ومع إصرار الجميع ولا سيما أمها عادت. ولكن لتبحث عن الأمان من جديد فتجده لدى إحدى جاراتها الكبار احتضنتها كأمها. أحسّت وكأنها طفلة من جديد تحتاج إلى أم لتكون معها...فكانت لها تلك الجارة التي لم تبخل عليها بالحب والعطف وحتى ببعض ما تملك...كيف لا وهي التي تعرفها قبل وبعد الكارثة. وهي التي استقبلتها في ذلك اليوم المشؤوم

تبكي سناء ولا تكف عن البكاء...ما زالت تحتاج إلى من يحميها بعد كل هذ العمر...ما زالت تفتقد إلى الأمان...فقدت حتى مشاعرها تجاه الحياة...تتجاهل السؤال حول علاقتها مع زوجها لتعود وتؤكد بأن ابنها الخائف أيضا يصر على النوم بجانبها...تحاول أن تعطيه الأمان في الوقت الذي تبحث هي، فيه، عنه...ولكنها لا تنسى أن تردد بين الحين والآخر "الحمد لله أننا ما زلنا أحياء..."...

أم حكـــــم

امرأة في السابعة والخمسين من العمر...شهدت هجرة عام ١٩٤٨، فهاجرت مع أهلها عندما كانت في الثالثة من عمرها..سكنت نابلس، وتعلمت فيها حتى الصف الرابع الأساسي...تزوجت عندما كانت في التاسعة عشر من العمر من بائع جرائد يكبرها بتسع سنوات، وعاشت معه في مخيم بلاطة...انجبت ١٢ مرة، فكان لها سبعة أولاد وبنت واحدة فيما لم تكتب النجاة لأربعة مواليد آخرين...

شامخة وقوية...وتأبى أن تكون غير ذلك...تقول بأنها شعرت بالقوة حين طردت الخوف فأصبحت مجابهة عنيدة لقوات الاحتلال...فيما لم تشعر بالضعف إلا حين غلبها المرض (آلام الظهر والمحاشم) فلم تعد تقوى على التنقل والمواجهة كما كانت...

تصر على قوتها وعلى جرأتها فلا تتحدث عن مشاعر حزنها، في حين يأبى انحناء ظهرها وآلامه إلا أن يخبرا عن كمية القهر والحزن التي تختزنهما...

سنوات طويلة ومنذ الإنتفاضة الأولى وهي تتنقل من معتقل إلى آخر...فلقد تناوب أولادها جميعا دون استثناء على المعتقل وبعضهم لأكثر من مرة...في حين حفظتها أروقة مشافي المدينة في زياراتها المتكررة لأولادها الجرحى، فمنهم من أصيب برصاصة بالصدر خرجت من الظهر، وآخر بثلاث رصاصات في الظهر فمكث في المشفى أربعة أشهر، في حين أصيبت هي شخصيا برصاص مطاطي في الكوع...حتى حفيدها (١٤) عاما • وهي المسئولة عنه نظرا لأنه يعيش معها بعد طلاق والديه- لم يسلم، و كانت إصابته خطيرة.

تنقلها بين المشافي والمعتقلات جعلها تخرج ابنتها الوحيدة من المدرسة لتهتم بشؤون البيت في ظل غياب أمها الدائم عنه...

تصف نفسها بأنها "كثيرة غلبة" حيث لا تستطيع أن ترى الجنود يضربون أو يعتقلون شابا حتى تهجم عليهم محاولة تخليصه من أيديهم ما جعلهم في مرة يطلقون عليها الطلقات

المطاطية فتصيب كوعها وتسقط أرضا. فيلحقونها ضربا على ساقها والتي ما زالت تشهد بقعة سوداء فيها من آثار الضرب...

مشاكل أم حكم مع قوات الاحتلال لم تتوقف عند اعتقال أو جرح أولادها، بل تعدّت ذلك إلى المداهمات العسكرية للبيت. حيث كانوا يداهمون البيت ويجمعون أفراده في غرفة واحدة ويبدأون بعملية تفتيش تمتد لساعات. في حين تأبى هي الانصياع إلى أوامرهم فترافقهم طيلة عملية التفتيش برباطة جأش مجيبة على أسئلتهم بذكاء وبسرعة بديهة...فعندما يتساءلون عن سبب لوجود صورة لشهيد تجيبهم فورا بأنهم إذا أحبوا الصورة فمن الممكن أن يحملوها معهم. وإذا سألوها عن سبب وجود علم. لا تتردد في عرضه عليهم دون أن تبدي خوفا. وحين يسألوها عن سبب وجود صورة لأبو عمار تجيبهم "لأنه رئيسي وتاج راسي" في حين يصر ضابط على أن رئيسها هو شارون. فتتجاهله دون خوف

ومضت الحياة صعبة إلى أن كان ذلك اليوم الذي أخبروها فيه بإصابة حكم...وبالرغم من أنها لم تكن الإصابة الأولى, إلا أنها هذه المرة أحست بأنها لم تكن إصابة...منع التجوال حال بينها وبين الوصول إلى المشفى. ولكن مشاعر الأمومة دفعتها لتحدي ذلك. فخرجت مع زوجة ابنها حين اشتد الظلام ومشت مسافات طويلة متهربة من الجنود إلى أن وصلت المشفى لتجد الشباب متجمهرين يسألونها بكل فخر لو كانت بحاجة لأي شيء ,مضيفة وبفخر بأنها معروفة من قبلهم جميعا ومحبوبة أيضا...حكم لم يكن ابنها الوحيد في المشفى فقد كان ابنها الآخر في مشفى آخر...

تسأل الطبيب فيعلمها بأنه غير موجود...شعور قوي ينتابها بأنه في ثلاجة الموتى...ولكنها لم تجده...يخبرونها بأنه قد تم نقله إلى مشفى آخر...وتسير نحو الآخر حتى تصله...الطبيب يحظر زيارته...وبداية الانهيار...انهيار أم تعلن بأن ما من قوة ستحول دون تمكينها من لقاءه...تلتقيه في غرفة العناية المركزة...إنه هو حكم في حالة موت سريري...

وتعود للبيت فتصلها الأنباء حول مداهمة البيت مرة أخرى...ما بين البيت والعناية المركزة /أربعة أيام متتالية...ومداهمة أخرى للبيت. وبعد خروج الجنود ,تعلمها الجارة عن حاجة حكم إليها في المشفى

تسرع إلى المشفى...لقد طلبها ...فهل أفاق من غيبوبته...عواطفها تسبقها وتنتظرها هناك قرب جثته الهامدة. حيث كان حدسها قد أعلمها قبل أن تصل. وانهيار آخر ترفضه. وتصر على أنها قوية. عبر أن استشهاده فاقم من مرضها فلم تعد تقوى على المشي...

تعد نفسها رغم مرضها لترحل مع أهالي الشهداء لأداء فريضة الحج. مصرة بأنها ستقاوم...

الهجرة الثالثة

هذه هي الهجرة الثالثة ...تلك كلمات السيدة أم أحمد (٤٧ عام) من مخيم جنين عندما طردها جنود الاحتلال من بيتها هي وبناتها مع نساء وأطفال مخيم جنين. في حين سيق زوجها وابنها للمعتقل مع العديد من رجال المخيم...

خرجت أم أحمد مع أهالي المخيم بقرار من جيش الاحتلال الإسرائيلي بعد مسلسل من الأحداث الدامية في المخيم. أحداث تحدّثت عنها بتفاصيل دقيقة وحسرة كبيرة. وبقلق أكبر حول ما يحمله الغد...

بترحيب حار، جالسة على أرض بيتها، مقتربة من الباحثات اللواتي جلسن على فراش أرضي بدأت أم أحمد حديثها واصفة أحداث نيسان ٢٠٠٢ (اجتياح مخيم جنين) بشكل دقيق وكأنها أرادت أن تسمع كل العالم حقيقة ما جرى في المخيم علّه لا ينسى ولا يغفر...

مدارية فتحة كبيرة في الحائط بكل الوسائل الممكنة -فراش كبير ومن فوقه أكوام من الردم- لكي تعيد لهذا البيت خصوصيته فتحمي بناتها من عيون الناس. وتمنع عنهن أي أذى...تاركة الباب الداخلي وقد دمّرته الرصاصات والساعة المدمرة فوقه دون أن تعطيهما أي انتباه يذكر نظرا لكونهما شؤونا داخلية من الممكن التغاضي عنها في المرحلة الراهنة...

تتنهد ما بين الحين والآخر مرددة جملتها (المرأة بعد الحرب بتتحمل مسؤولية أكبر) مؤكدة على الحمل الذي تركه لها زوجها بعد اعتقاله...

تتحدث أم أحمد كشاهدة أولا على تدمير العديد من البيوت على رؤوس أصحابها...تتذكر النساء والأطفال والرجال الذين لم يسلموا من الدمار وفي عيونها حسرة...تتذكرهم واحد واحد وطفلا طفلا...تصف حروقهم وجراحهم دون أن تنسى وصف مشاعرها تجاه تلك المناظر...

ثم تتحدث عن استضافتها العائلة الجارة المكونة من ٦ أشخاص بعد هدم بيتهم، وتقاسمهم معهم بيتهم الصغير، مشيرة إلى أن ذلك كان تمّ بعد منتصف الليل ما استدعاها أن توقظ بناتها طالبة منهن أن تستضيف كل واحدة في فراشها طفل من أطفال الجيران. واصفة أياماً عاشوها معا تقاسموا فيها القليل المتوفر من الغذاء بهدف الصمود...علما أن بيتها لم ينجُ من القصف ولم يسلم زوجها من الإصابة نتيجة لذلك...

تقف الكلمات في حلقها عندما تصف رجال المخيم عارين إلا من ملابسهم الداخلية حين

اقتادهم الجنود بشكل استعراضي لإهانتهم. مرددة كلمة "عورة" أكثر من مرة لتؤكد بأن إجبار الرجل على إظهار عورته إنما هي منتهى الإذلال...

ثم ما تلبث أن تأتي على ذكر الواقعة الكبيرة حين قام الجنود بتجميع النساء والأطفال في ساحة المخيم من الساعة الثانية ظهرا وحتى العاشرة مساء...واصفة حال الأطفال الجياع وحال الأمهات اللواتي لم يبقَ لهن حول ولا قوة أمام جوع وخوف أطفالهن إلا محاورة الجنود لاستدرار عطفهم دون فائدة...إلى أن تصل إلى وصف حال الأطفال الذين أجبروا على أن يبولوا حيث يقفون، ولم يسمح لأي منهم بالتبول بعيداً، ما أثار روائح كريهة... إلى أن كان دور النساء اللواتي لم يسمح لهن أيضا بقضاء حاجاتهن. فتجمعن بشكل دائري وتناوبن داخل الدائرة لقضاء حاجاتهن في حين وقفت الأخريات بجلابيبهن لسترهن. حيث لم تنس أم أحمد هذه المرة أيضا أن تذّكر بعورة النساء التي قرر الجنود أن يستبيحوها إمعانا في إذلالهن...

كل ذلك كان محتملاً إلى أن طلب منهن مغادرة المخيم...في ذلك الوقت انهارت أم أحمد وبدأت تصرخ "إنها الهجرة الثالثة" والنساء تحاول طمأنتها...فيما يطلب الجنود منهن التوقف وكشف رؤوسهن للتأكد من أنهن نساء، وأم أحمد تصرخ بأعلى صوتها "لا لن نكشف شعرنا..."وتبدأ المساومة بينهن وبين الجنود: يكشفن شعرهن أم يكشفن صدورهن فيستسلمن لكشف الشعر على قاعدة "مصيبة أهون من مصيبة"

اللجوء كان مصيرها ومصير بناتها...مرة في مقر مشفى وآخر باستضافة أسرة قاسمتهن القليل المتيسر. إلى أن تمكنت من العودة إلى بيتها لتسد الفتحة الموجودة في الحائط بإمكانيات متواضعة، وتعمل كحارس من أجل بناتها وحتى لا يطالهن ضيراً أو الألسنة خاصة في ظل اعتقال والدهن في حين تم الافراج عن ابنها (١٣ عام) بعد أيام قليلة...

كثيرة هي الأحداث التي وصفتها أم أحمد. وإنني إذ أجد من الصعب احتوائها في هذا السرد أجد نفسي مضطرة للتوقف عند بعض كلماتها:

- التغلب على الحرب صعب
- كلمة عنف تذكرني فورا بإسرائيل
- الحياة مستمرة والذي يتوقف هو الخسران
- الإجتياح هو استمرار للناس ومشاعرهم
- الواحد مش لازم يضل حزين ويائس (على الإنسان ألا يبقى حزينا ويائسا)
- أنا فرحت لنجاح ابنتي بالتوجيهي ووزعت الحلو رغم ما نحن فيه
- أتدبر أمري بدخل قليل. فأشتري الخضار عندما يقل سعرها وأجففها. وأصنع الحلوى للأطفال في البيت حتى لا أشعرهم بالحرمان

- كل أملي أن تستطيع ابنتي أن تكمل دراسة الطب. وهذا يتطلب مصاريف سأعمل جاهدة على توفيرها حتى ولو حوّلت غرفة الصالون إلى متجر بسيط
- يا الله ما أصبر المرأة (تتعجب لقدرة المرأة على الصبر)
- المجرم لن يفلت من العقاب ولو بعد حين
- دوري في الإجتياح كان خادمة تعمل طوال الوقت من أجل توفير ما يساعد عائلتي على البقاء وحماية البنات. حتى عندما يذهبن للحمام فقد كان علي أن أقف لهن عند الباب لأحميهن..

أي منهم أو منهن الضحية؟!

ثلاث زيارات هن مجموع الزيارات التي قامت بها الباحثتان الميدانيتان أمل وروضة إلى هذا البيت...ثلاث زيارات انتظرتهن طفلة الشهيدة بفارغ الصبر. وكأنها تريد أن تتحدث عن أمها العمر كله. أو كأنها كانت تنتظر من تسر له عن مشاعرها منذ حين فهل استطاعت؟!

ثلاث زيارات رحّب بهما طفل الشهيدة. وقد بدا متماسكا وقويا ولكنّه أيضا أراد أن يتحدّث. أراد أن يعبّر عن مشاعره تجاه فقدان أمّه...تجاه ظروفه الجديدة...تجاه غضبه على من قتل أمّه. وليعبّر بفخر عن كيفية تجاوزه أزمته, إن كان حقا تجاوزها...

ثلاث زيارات كانت هي أيضا في انتظارها...إنّها أخت الشهيدة وزوجة زوج الشهيدة بعد استشهادها. فهل هناك من أعطى مشاعرها اهتماما. أو كشف النقاب عن همومها. أو حاول التخفيف عنها هي أيضا؟!

وتبدأ الحكاية. حكاية أم صارعت المرض بقوّة. وعملت جاهدة على أن تتعامل مع طفليها (البنت عشرة أعوام. والولد ١٣ عاما) بطريقة حاولت أن تدربهم فيها على الإعتماد على نفسهم بالرغم من أن مرضها كان يعني العجز الجزئي ولم يعني بتاتا لها أو لأي كان الموت...إلا أن المرض لم يكن هو وحده على موعد مع هذه الأسرة الصغيرة. بل كان هناك من يتربص للعائلة بالمرصاد...فقد كان هناك ما هو أشد خطراً من المرض. وأكثر ضراوة...لقد كانت هناك آليات جنود الإحتلال وقذائفها..

يبدأ الطفلان حديثهما ليعلنا عن أن انتقالهم للسكن في المخيم كان هو السبب فيما هم عليه...لقد تمكّن والدهم من تملّك بيت على مشارف المخيم. فتركوا بيتهم في نابلس وسكنوا المخيم...تركوا مدارسهم وأترابهم. كما تركت الأم صديقاتها من جيرة البيت القديم...

ومضت الأيام عادية، ولم يشعر الأبناء بالغربة، أو بالحزن...فقد دخلوا مدارس المخيم، وتفاعلوا مع أهله، إلى أن شعروا بأنهم جزء لا يتجزأ منهم، دون أن يحسبوا حسابا لذلك اليوم الذي حوصر فيه المخيم...

بدأ الحصار، وبدأ الجنود يفرغون البيوت من أهلها...خرجوا كغيرهم وتمّ تجميعهم في عمارة من ثلاث طبقات، حيث تجمهر الجميع في الطابق الأول...فيما يهز صوت القصف لا الشبابيك فحسب بل الطمأنينة أيضا...

تدخل القذيفة حيث يتجمعون...يدخل تحت اللحاف محاولا أن لا يرى ما يحدث...أن يهرب من الحقيقة...يهزه صوت أمّه مناديا إياه...صوت ضعيف لم يكن من الصعب عليه أن يحس بأنه صوت إنسان يطلب النجدة، ولكنه هو أيضا خائف ويتمنى النجدة فهيهات أن يخرج من تحت اللحاف...

يدخل الجنود ويبدأون بإخراج الناس من الغرفة...يغطي الدم وجهه وقد اخترقته بعض الشظايا...فيما يرى أخته الصغيرة وقد تصاوبت في ركبتها...وبعيونهما الصغيرة يريانها وقد حملها الجنود إلى الدبابة...لم يكن من الصعب عليه أن يعرف بأنها أمه, وبأنها مصابة, فقد استطاع أن يتعرف على بنطالها، في حين عرفتها ابنتها من عباءتها كما تقول

يتناول حجراً عن الأرض، فيما يتناول الجندي زجاجة ماء, مادا إياها ليغسل وجهه المدمي...يتناول الزجاجة وقد عقد العزم على أن يرميها والحجر بوجه ذلك الجندي بعد أن تغلّبت عليه مشاعر الإنتقام لوالدته التي أدرك فورا خطورة إصابتها...إلا أن تدخل أبيه يحول بينه وبين ذلك، ولم يزل يلوم نفسه لإنصياعه لأوامر أبيه ولعدم تمكنه من الإنتقام في تلك اللحظة...

أيام قليلة تعيشها الأم المصابة في حالة موت سريري، ثمّ ما تلبث أن تلفظ أنفاسها الأخيرة لتنضم لقافلة شهداء وشهيدات فلسطين، ولينضم طفليها إلى قوائم أيتام ويتيمات مذابح شارون، فيما يستمر فرض نظام منع التجول على المخيم.

دفنها في المخيم كان هو ما يشغل بال طفليها وأبيهما...فلقد رفضا دفنها خارج المخيم، وانتظروا أياماً تنقلّت فيه الجثة بين بيتي عمهما و عمتهما إلى أن استطاعا إدخالها إلى المخيم...

"أردنا أن تكون بقربنا، حتى نزورها ونقرأ لها الفاتحة ونضع على قبرها بعض الزهور"...تلك كانت كلمات طفليها التي عبّرا فيها عن مشاعرهما تجاه مكان الدفن، وليعلنا بأنهما قد استطاعا تحقيق ذلك كحد أدنى

شهران مرّا والطفلان عند جدتهما، ولكنهما يصران مرة أخرى على الرجوع إلى البيت...يمران أولا بالبيت القديم ليخبرا جارتهما عن هول ما حصل. تبكي الجارة أمهما وقد كانت أعز صديقاتها، ويبكيان معها ليفرغا شحنات من الغضب والحزن...

ثمّ يعودان إلى البيت، ليعيشا مع ذكرياتها. فهنا كانت تمشّط لي شعري، وهنا كانت تساعدني على الدراسة، وهنا كانت تغطيني عندما أنام...تلك كانت بعض كلمات الطفلين...

وتدخل الخالة إلى البيت...لتصبح زوجة الأب...تدخله رحمة بأولاد أختها، ورحمة بحالها بعد عراك مع الحياة لم تشعر فيه بأن الحياة قد أنصفتها يوما...في حين يتقبلها الطفلان على قاعدة أن الخالة أفضل من الغريبة مع إصرار قوي على أنها الخالة ولن تكون الأم مهما كانت...

هذه الخالة لطيفة جدا، ولكنها ليست أمّنا...إنّها مختلفة تماما عن الأم...تلك كانت قوية وهذه ضعيفة...تلك كانت متحدية بيد أن هذه مستسلمة لقدرها...

رغبة جامحة للعودة إلى البيت القديم للعيش بقرب صديقات أمهما المشابهات لها...للعيش في بيت لم تمت فيه أمهما كما ماتت هنا...ولكن هيهات...

يتحسن حال الطفل بعد دخوله نشاطات لا مدرسية ومنها دورة في الإسعاف الأولي يحس من خلالها بأنه أقوى وسيتمكن من مساعدة الآخرين. وتبقى هي على حالها تظهر القوة فتكذبّها في ذلك شفتها التي ترتجف بين الحين والآخر، فتدخل للداخل بأي حجة حتى تهدأ وتعود حتى لا يرونها ضعيفة...وتشكو من أن مدرسة الإناث لا تهتم بالنشاطات اللامنهجية...

أما هي الأخت، فهي التي فقدت أختها التي كانت تحب...الأخت التي كانت تسمع شكواها وتتضامن معها...وهي التي فقدت الحنان عندما توفي أباها وهي طفلة وتركها لأم لاطمتها الأقدار فلم تجد الوقت لتعطيها الحب والأمان...وفقدت الأمل عندما كان لا حول لها ولا قوة إلا أن تعيش من أجل أطفال أختها...تحترمه لأن أختها كانت تحبّه...ولأنه لطيف معها، ولكنها لا تستطيع أن تنسى بأنها هناك في حضن رجل كانت أختها لو عاشت لتكون فيه فتبكي بحرقة...

تعلن بأنها ليست كأختها فكيف لها أن تكون أما لهما كما كانت الأخرى..."أنا ضعيفة وهي قوية". "أنا استسلمت لقدري مذ كنت طفلة وتركت المدرسة. في حين تحدّت هي قدرها وأكملت دراستها الثانوية رغم صعوبة الظروف"...تلك هي الجمل التي كانت ترددها وهي تقارن مقارنة ما كان يجب أن تجريها بينها وبين أختها...معلنة بأنها كانت وستبقى الأضعف...ولكنها مؤمنة بأن ربّها سيكون دائما معها لأنها كانت دائما مع أمّها البائسة واليوم مع أطفال أختها الأيتام...

تدخل الطفلة وهي تحمل ملابس العيد فيما ترتسم الفرحة على وجهها...تسألانها عن مشاعرها ومشاعر أخوها عندما جاء العيد. فتجيب بأنها شعرت بأن أمها كانت معهما في العيد...

لم تستطع أن تودع طفلتها

تسكن مع أهل زوجها في بيتهم المتواضع في مخيم الدهيشة في محافظة بيت لحم...تصر على رسم ابتسامة على شفتيها أثناء الحديث وكأنها تريد أن تنفي ضعفها...أو لتثبت قوّتها وثباتها...تضحك في حين تنهمر الدموع من عينيها وهي تكلمنا عن إسماعيل ...زوجها الشهيد

ما زالت هيلين (٢١عاما) تقيم في بيت أهل زوجها كما كانت قبل اعتقاله...تحاول أن تتقاسم الهم مع حماتها التي تفتقد غياب ابنها الشاب, وتتمنى أن تجد من يساعد هيلين ويخرجها من حزنها على حد تعبيرها...

تستقبل الحماة الباحثات مؤملة أن يسهموا في مساعدة هيلين. وكأنها مصرة على أن هيلين هي الحلقة الأصعب التي تحتاج إلى مساعدة...

تبدأ هيلين بسرد الذكريات...ذكريات تبدأ بمداهمة البيت أثناء اجتياح الأربعين يوما كما يسمونه الأهالي في بيت لحم وحصار كنيسة المهد... وهي حامل في شهرها الخامس, لقد كانت الساعة الثالثة صباحا حسب ما أفادت هيلين عند مداهمة الجنود للبيت...طلبوا من كل الشباب إخلاء البيت ما أشعرها بالخوف والذي تترجم فورا إلى آلام حادة في بطنها...

بعد دخولهم البيت طلبوا من الجميع إخلاءه رغم برودة الطقس في الخارج. مانعين السكان من الإلتجاء إلى أي بيت من بيوت الجيران, مصرين على إبقاءهم في ذاك الجو البارد...عاثوا في البيت فسادا فلم يسلم الأثاث منهم حتى غرفة الصالون أتلفوا أثاثها...

خرجوا من البيت بعد أن اقتادوا إسماعيل معهم وهم يوسعونه ضربا أمام زوجته وعائلته ودون أن ينسوا وضع رباط على عينيه, وتقييد يديه خلفه ما أثار الخوف لدى زوجته وزاد آلام بطنها...

مضت أيام وهيلين في حالة رعب مما قد يلحق بزوجها الذي كان يعمل شرطيا لدى أجهزة السلطة الوطنية الفلسطينية. ولكن الإفراج عنه أعاد إليها الأمل من جديد...ذاك الأمل الذي لم يدم حيث تعودوا أن يعتقلوه في كل اجتياح إلى أن كان يوم ٢٠٠٢/٦/١٨ حيث اعتقلوه وطالت أيام اعتقاله...

تحت كل ذلك الضغط النفسي وضعت هيلين طفلتها التي كانت ضعيفة ولم تعش سوى أيام قليلة...لقد توفت أثناء فرض نظام منع التجوال, ولم تتمكن هيلين من الذهاب إلى المشفى لوداعها حيث خاطر جدها ووصلها ليدفنها بهدوء, في حين لم تتمكن وهي في فترة النفاس من المشي نحو المشفى حيث كانت طفلتها ترقد جثة هامدة...

ما زالت هيلين حتى لقاء الباحثتين معها تنتظر عودة إسماعيل دون أن تجف دموعها على طفلة لم تشبع من حضنها, ولم تستطع أن ترضعها من ثدي استعد لإرضاعها, لا ولم تستطع حتى أن تقبلها قبل موارانها التراب...

ضربتين في الرأس توجع

في بيتهم الأقل من متواضع في مخيم عسكر شمال الضفة الغربية كان اللقاء...بيت معتم يكاد يخلو من الأثاث...وتكاد لا ترى فيه سوى حصيرة بالية وبعض الأقمشة الرثة المعلقة هنا وهناك وقد فقدت رونقها ولونها ومقاعد بلاستيكية مهترئة. وكم كبير من صور الشهداء تزين الجدران...

ولأنه بيت صغير وكثافة السكان فيه عالية, والذكريات التي تلفّه في معظمها إن لم تكن كلها حزينة. فقد افتقد كل شخص فيه لمعاني عديدة مثل الأمن, الإستقرار, الخصوصية, أو حتى الفرح...تلوم الشابات فيه تأخر الباحثات عنهن بعد استشهاد الأخ الثاني, فقد أرادت كل منهن أن تسري عما في نفسها منذ حين...

في هذا البيت يسكن كل من الأب الذي فقد عمله بعدما فقد توازنه العقلي إثر رصاصة أصيب بها على أيدي جنود الإحتلال إبان حرب الخليج, وأم فقدت الشريك الفعلي ولم يبقَ منه سوى صورته وتخبطاته العقلية, وابنين عانيا من الإعتقال ثم ما لبث أحدهما أن استشهد بعد خروجه من المعتقل بستة أشهر, وآخر استشهد في مواجهة الدبابات التي اجتاحت المخيم بعده بفترة وجيزة, وابن فقد أصابع يديه على أثر ثالث إصابة أخرى استهدفه بها ذات العدو...وبنت أصيبت في بطنها, وأخرى سئمت العيش مع زوجها فعادت إلى أسرتها, وثلاثة أخوة وثلاث أخوات يبحثن عن الأمان والفرح ويتساءلن لو كان هذا الفرح ما زال يتذكر هذا العنوان...

الأب (٥٥ عام) ضيّعته رصاصة...أنسته واقعه...أدخلته في عالم آخر...يستشعر بغياب الأحبة (أولاده الشهيدين), يلوم الأم على استشهادهما مصرا على أنها هي المسؤولة عن ضياعهما, ثمّ ما يلبث أن يعود لضياعه مستسلما لواقعه غير متذكر من واجباته سوى واجب التعنيف كأب

مسؤول عن الأسرة...الأم (٥٣عام) وقد حوطتها المصائب فتتخبط بين مشاعر تسّميها مشاعر فرح، وأخرى تقر بأنها مشاعر حزن غير محدود...فهي فخورة باستشهاد أبنائها الأبطال اللذين قضيا دفاعا عن الوطن كما تقول...وحزينة لأنهما ليسا معها اليوم ولن يكونا بعد ذلك...حيث فقدتهما كأبناء حملتهما في رحمها وأرضعتهما من ثدييها وسهرت الليالي من أجلهما. وكمعيلين استطاعا أن يحلا مكان أبيهما الضائع فكانا لها السندين المتينين...

أما البنات فلكل منها حكاية قد تختلف في شكلها وتفاصيلها عن حكاية أختها. ولكنها حتما وبعد التدقيق ذات الحكاية...حكاية شابات وجدن أنفسهن في بيئة فقيرة معدمة فانعدمت فرصهن في الحياة...قبعن في البيت وفي رأس كل منهن حلم بالزواج من فارس الأحلام الذي سيحملها على فرسه. فيخرجها من هذا الفقر، ويشبعها حبا وعطفا...حبا وعطفا افتقدته كل منهن بعد إصابة الأب أولا وما آلت إليه أحوال الأسرة. وبعد استشهاد الأحبة ثانية وتحول البيت إلى مأتم، وغرق الأم في أحزانها على ولديها والتي تصر بأنهما كانا الأفضل. وهذا شعور كل أم فاقدة حيث تشعر بأن من فقدته كان الأفضل فكيف لو كان مناضلا وشهيدا؟!...أم تحولت حياتها إلى مأتم مستمرة...حيث تصر على المشاركة في كل جنازة شهيد. وحضور كل مأتم شهيد مهما كانت ظروفها...

تتحدث الأخوات بصوت واحد عن مراقبة المجتمع لهن كأخوات الشهداء...فاليوم ولأنهن لسن كغيرهن من الشابات فهن مطالبات باحترام ذكرى الشهيدين على طريقة المجتمع التقليدية، الدخول في حداد طويل الأمد...حداد يمنعهن من الخروج حتى من البيت...يتحدثن عن إحتياجاتهن المادية، المتعلقة بتلبية حاجيات أساسية مثل شراء دواء أو قطرة لعين الأخت التي وما أن تلقت دعم مادي لعملية في عينها وأجرتها بالفعل حتى خرجت من المشفى لتصدم بنبأ استشهاد أخاها الثاني فنزعت ضماد العين وأخذت بالبكاء لينتفي أي تقدم أحدثته العملية..ويتمنين أن يجدن فرصة عمل مهما كانت...

أما الأخت الأخرى فقد فقدت فرصتها في الزواج حين قام أبيها وبسبب اختلاله العقلي بطرد العريس وكل المدعوين يوم خطبتها...

وأخرى تزوجت. ولكنها عادت لتخبر الأخريات بأن الزواج لم يزدها إلا هموما. فعادت لتسكن مع أخواتها وتتقاسم معهن الأحزان من جديد...

تصمت الأم قليلا لتبدأ حكايتها من جديد...لتخبّر عن ألمها كزوجة بعد مصاب زوجها عن ألمها كأم تلاحق أبناءها المعتقلين عن حسرتها على ابنها الذي فقد أصابع يديه...وعن لوعتها على ابنيها الشهيدين. وألمها على ابنتها التي عادت من بيت زوجها حزينة. وتلك المريضة التي لا تملك ثمن الدواء .ومكسورة الخاطر الأخرى التي تركها العريس يوم خطبتها...وعن...وعن ..وعن ...دون أن ننسى أن

تحدثنا حكاية استشهاد ابنها الثاني وشعورها كأم بأنه كان سيكون شهيدا في ذلك اليوم...

لقد أعطاها مقتنيات (جهاز الجوّال، السترة، علبة الدخان، والولاعة) وطلب منها أن تسبقه إلى قبر أخيه وأن تقرأ القرآن لأخيه الشهيد إلى أن يلحق بها...بغريزة الأم عرفت بأنه لن يلحقها...تابعته فرأته يتصدى للدبابات...نادته...ارتعبت لفكرة أن تفقده هو الآخر...عاد وطمأنها وألح عليها بالطلب...استجابت...ذهبت إلى قبر أخيه...أمسكت بالقرآن وبدأت بالقراءة ولكنها لم تكمل سورة واحدة...أحست بالضيق فعادت إلى البيت...اتصل صديقه يسأل عن رقم هاتفه...ازداد احساسها بالفقدان...أخبروها بأنه مصاب بالمشفى فبدأت بترديد (بالروح بالدم أفديك يا شهيد...بالروح بالدم أفديك يا بسمان) معلنة شهادته قبل أن تسمع النبأ...

إلى المشفى ذهبت لتبحث عنه في ثلاجة الموتى لا في أسرّة الجرحى...كانت تعلم بأنه قد استشهد دون أن يخبرها أحد بذلك...

تتحدث عن حزنها، عن لوعتها...عن مصابها الكبير...مؤكدة بأن ضربتين في الرأس توجع، مرددة أغنيتها:

ولك يا شارون شو دلّك عليي
قتلت صغيري وكبيري اللي غالي عليي
بقوا زغاليل في حضني وفروا من ايدي
برصاص لعين طخيتهم وحزنوا عليي

دون أن تنسى ترديد أغنية أخرى للمعتقلين وثالثة للقدس، مؤكدة بأن "شيء انخلع من قلبها" حد تعبيرها، ولكنها فخورة وحزينة في ذات الوقت تطالبنا بأن لا نذكر العيد أمامها، فقد نسيت ما قد يعنيه العيد...تحاول أن تلملم جراح أسرتها دون أن توفر فرصة وجود دبابة لتضربها ولو بحجر...متمنية الموت في كل لحظة حد تعبيرها أيضا.

★ ★ ★ ★ ★

خاتمة

تلخيص شمولي لإنجازات المشروع

د. خولة أبوبكر

البحث النسوي ذا المنحى العملي، سياسية الفقدان، وكيف تعلمنا من أم أحمد والأخريات وساعدناهن

بالرغم من التداخل طويل المدى بهذا المشروع وسماع مئات القصص عن المآسي الحياتية لنساء يعشن آثار الحرب هن وأسرهن في فلسطين فإن الحاجة للبكاء بعد قراءة كل قصة ما زالت رد الفعل الثابت في العمل لدى طاقم هذا المشروع. أفكر في رد الفعل هذا من منطلق مهني. هل هو صحيح؟

المتتبع لسياسة الفقدان وللفقدان السياسي لدى النساء الفلسطينيات يستنتج أنهن حتما تفرض عليهن ردود فعل ومواقف وسلوكيات سياسية هن غير راضيات عنها ولكنهن مجبورات على تبنيها، على الأقل أمام عين الرأي العام، الإعلام والمجتمع. النساء الفلسطينيات لسن متخذات قرارات سياسية بشأن مواضيع شمولية تخص الدولة أو تخص عمق الفقدان وتراكمه التاريخي الذي عشنه وعشن أثره منذ ١٩٤٨ وما تلاه من مآسي سياسية، عسكرية ووطنية فلسطينية. وبالرغم من عدم مشاركتهن في صنع القرار فرض عليهن تمجيده وتقبل نتائجه.

إن فقدان النساء الفلسطينيات-- ولباقي النساء في مجتمعات تعاني الحروب-- لأحبائهن، بيوتهن، أملاكهن والصحة النفسية لأسرهن ليست وضعا سياسيا مفروغا منه ولا بد منه. إنه واقع إنساني، وإنسانيا يجب أن نرفض السعي للفقدان وتمجيد حدوثه. هذه سياسة إنسانية يجب الإصغاء لها وإفساح المجال لصوتها ضمن أصوات نواقيس الحرب التقليدية الداعية للدمار والفناء.

كانت النساء الفاقدات اللواتي تحدثنا لهن يعشن ضمن عالمين مزدوجين: عالم يطلب منهن الإفصاح عن رضاهن عن الحرب ونتائجها، وعالم يتحسرن به على ما حدث لأسرهن خلال الحرب ونتائجها. أردنا أن نشجعهن على الإفصاح عن صوتهن الأصيل الصادق وإعطاء شرعية له. معظم النساء نجحن في هذا، وتشجعن في الإفصاح عن مواقفهن السياسية في شتى أمور الحياة، بعد أن وجدن أذنا صاغية واحتراما لما يقلن. خلال المشروع عاشت النساء تجربة احترام صوتها على نوع

مواضيعه دون حكم مسبق أو هجوم أو تلوم او تذليل. هذه تجربة ضروية في عالم أبوي يقمع صوت المرأة وحتى صوت ألمها وبكاءها.

هل من الصحيح أن ابكي كمهنية عند قراءة المعلومات أو قراءة تدوين الجلسات الداعمة؟

تبنينا, كما جاء في مقدمة هذه الدراسة, في هذا المشروع أسلوب البحث النسوي الحساس حضاريا, الذي خلط بين وسيلة البحث الكمية والنوعية, وذا المنحى العملي Action Oriented Research وتصرفنا بحسب ما هو صحيح وطبيعي وإنساني أن نتصرف. من أسس هذه الطريقة أن ننظر للنساء في الحقل ككيان حقيقي قائم بذاته وليس كأرقام على استمارات. هؤلاء النساء كن المعلمات والموجهات لنا حول طرق مواجهاتهن لواقع الإحتلال.

نحن كن باحثات ومهنيات ذوات خبرات في مجالات تخصصنا. كل مرأة وافقت أن نقابلها لتجيب على استمارة البحث, ثم اختارت أن تشترك في مجموعات النقاش البؤرية وأخيرا اشتركت في المجموعات الداعمة كانت مرأة تعرفنا عليها وأثرت بنا تماما كما أثرنا بها. نحن كباحثات, كمعالجات, كأمهات وكنساء, كن نسألها عن حياتها وتجيبنا. القصص التي سمعناها لا يمكن أن نبقى جامدين تجاهها. تسمي طريقة البحث الكمي التوجه الأخير, اي الذي لا تتعاطف به مع الناس موضوع بحثك "موضوعية". حيث يطلب البحث العلمي الكلاسيكي عدم التعاطف وعدم التحيّز مع الميدان.

نحن نؤمن أن هذا المطلب هو غير علمي وغير عملي في البحوث الإجتماعية. وفي مثل هذا البحث نراه رد فعل غير إنساني. من وجهة نظر علاجية فإن التعاطف الوجداني مع الآخر Empathy يساهم في فهمه والغور في مكنونات مشاعره وأفكاره والطريقة التي يتعامل بها مع الأمور. نحن كباحثات ساعدنا الإصغاء الإنساني الحقيقي لدرجة التماهي مع النساء الفاقدات لفهم أفضل السبل التي يجب أن يسير بها البحث.

لم نشعر بالخجل لأننا تعاطفنا مع النساء اللواتي تعاطفنا معهن وبكينا لبكائهن. نحن نؤمن بالمهنية والمهاراتية والحرفية وعندما توظف الأدوات الصحيحة في البحث الميداني النسوي ويتبعها التداخل العلاجي او المجتمعي الملائم فإن هذا يعكس بدقة متطلبات العمل النسوي الحساس حضاريا والذي يتطلب منحى عمليا في الميدان.

لقد لخص الطبيب الذي قابلته ساما في المستشفى أثر عمله ال"موضوعي" عليه بأن قلبه قد مات. نحن كباحثات من منحى نسوي يؤمن بواجب التغيير في الحقل أردنا أن نحافظ على قلبنا حيا طيلة فترة المشروع دون شعور بالتآكل المهني Burn out ومع مطالب لأنفسنا بأن نستمر في العطاء مع كل لقاء مع كل مرأة فاقدة. كان هدفنا الأساسي ليس أن ندير بحثا إنما أن نكون مفيدات للنساء الفاقدات.

لقد تعاطفت الميّسرات مع النساء وفهمن حاجاتهن وضمنها حاجاتهن في المحافظة على سرية تحرك أزواجهن أو أبنائهن المطالبين. جميع الميّسرات استعملن أسماءا مستعارة للحديث المهني مع طاقم المشروع حول هذه الفئة من النساء لضمان عدم تسرب تفاصيل حياتهن اليومية. لم تخل الميّسرات في هذا التوجه في أي مرحلة من مراحل البحث وذلك إدراكا منهن للمخاطر التي من الممكن أن يسببنها للعائلة التي تخفي إبنها المطارد.

تجربة أخرى جعلتنا نتمعن مليا فيما يحصل في الحقل ونتعلم منه كيف تمكّن النساء على التغيير هو قضية معاناة مشتركات المشروع من الإغلاقات العسكرية، منع التجول والتفتيش على الحواجز. لم يكن الجيش موضوعا بعيدا نتحدث عنه كقضية تحليل، ولكنه كان حاضرا في برنامج عملنا اليومي. فلقد عرقل، بسبب نقاط التفتيش وسلوكه على الحواجز سير دورات التأهيل وساعات التأهيل وتوقيتاتها.

قبل أن نبدأ في المشروع شددنا على جميع المشتركات أهمية الإنضباط في المحافظة على يوم ثابت للمجموعات الداعمة وساعة ثابتة. ولكن الجيش منعنا من المحافظة على هذا الإنضباط وفرض علينا قراراته. في كل هذه المواقف، كان السؤال الذي يقودنا لنتعلم ما تعيشه الفاقدات يوميا: إذا كان هذا هو الواقع، الذي لا يستطيع به الإنسان أن يكون سيد نفسه بكامل معنى الكلمة، فما هو أفضل رد فعل نفسي وسلوكي عليه أن يتبع؟ وهكذا تعلمنا أن لا يشلنا الغضب وإنما أن يمكننا Empower us وأن يحثنا على الإستمرار والتغيير.

كنا نعرف الخطوط العريضة التي نريدها ضمن المشروع. بالرغم من هذا فلم نخطط ما هي الحاجات للنساء قبل مقابلتهن وسؤالهن ودرس حالاتهن. أثناء العمل مع المجموعات الداعمة كنا نخطط تداخلا علاجيا لكل مشتركة بعد التعرف على قضيتها، مبنى أسرتها، طاقاتها النفسية والبيئة الداعمة المحيطة بها. كانت جميع تلك التداخلات متماشية ومستندة على المبنى الثقافي للمجتمع العربي.

لقد كانت لدينا مهارات أدوات البحث وكذلك مهارات العمل مع الفقدان. لم نشأ أن نفرض مبنى تداخل جاهز على النساء. فضّلنا أن نلائم التداخل لحاجاتهن وتطورها أسبوعا تلو الآخر. أثار هذا التوجه بعض مخاوف الميسرات لأنهن ظنن أنه إذا لم يكن "كتاب المشروع" بإيديهن فإنهن لن يعرفن كيفية العمل مع النساء. المقولة "نحن سنتعلم من النساء حاجاتهن وسوف نرشدهن مهنيا للطرق التي يصلون بها لهذه الحاجات" وقعت وقعا مزدوجا لدى الميسرات.

فمن جهة أحببن هذه الأجواء "المساوية" والتي لا يوجد بها تعامل إستعلائي على النساء في الميدان، ومن جهة أخرى خمن من عدم التجربة. لقد تعود العاملون في الخدمة

الإجتماعية والصحة النفسية أن ينزل للفرد وللمجتمع "مسلحا" بمنهاج معد مسبقا "وصلب" "Hard Copy" مما يعكس الفكر غير اللين.

الأسلوب البديل الذي اتبعناه في التداخل العلاجي هو فحص الصحة النفسية للمرأة المرحلة الجديدة التي قطعتها بين لقاء وآخر وملاءمة التداخل العلاجي لها. مشروع يتبع هذا النمط يطلب من طاقمه الأصغاء والحوار وتشنيف الآذان لكل ما يحدث من قبل المشتركات والمجتمع, وبهذا تكون ظروف التداخل في المشروع ذات طلبات صعبة, ولكن الميسرات نجحن بها جميعا.

نحن نؤمن أن المهنية والحرفية في البحث الميداني النسوي ذا المنحى العملي هي في البناء المشترك للبرنامج من قبل طاقم الباحثات ومجموعة النساء. حيث يكون دور الباحثات في توجيه النساء لإبراز مهاراتهن الحياتية الشخصية والمجتمعية في طرق مواجهة الأزمات. كنا في كل لقاء نطلب من النساء الحديث عن الأمثلة الشعبية, الآيات القرآنية, الأحاديث النبوية, أهازيج الأتراح, وبعض العادات الشعبية الأخرى التي يستعملنها عند الحاجة لتعزية الفاقدات أو لتعزية الذات. ثم كنا نختار, من خلال معرفتنا المهنية, كيف نعيد تقديم هذه الآليات للنساء كوسائل دعم, تفريغ وعلاج حقيقية وذات فاعلية.

لأن أساليب البحث الكمي طغت على الفكر العلمي, ولأن مصطلحات الصحة النفسية الغربية طغت على مفهوم التخصص المهني, واجهنا في البداية نوعا من شك لبعض الميسرات في فاعلية ما نقوم به. لقد تغلغل لفكرهن أن ما هو تابع للنساء, وخاصة الفلاحات والأميات, هو بدائي, أي دوني, وظنن أن ما يوجهن له هو بسبب انعدام المهنية.

كان يجب شرح كل تداخل علاجي, أهدافه والرؤية بعيدة المدى لدور النساء به للميسرات جميعا لإزالة كل شك. وسريعا بدأن في ملاحظة التغيير الذي بدأت تبديه النساء الفاقدات, شاكرات الطريقة التي تعمل بها الميسرات معهن. إن العمل من داخل المبنى العاطفي والنفسي للثقافة, بالإضافة لإزالة عنصر القوة والسلطة في العلاج, يجعل الدعم النفسي صادقا وفاعلا وسريع المفعول.

كان من الصعب علينا أن لا نأخذ الرواية الشخصية لكل مرأة فاقدة كرواية تمس في كيان كل منا في طاقم البحث. فجميعنا فلسطينيات وجميعنا نساء وجميعنا نعاني بهذا القدر أو ذاك من إسرائيل. كانت إحدى المعضلات التي وقفت أمامنا هي السؤال حول مفهوم المساعدة التي "تفيد" الأسرة الفاقدة. صعوبة هذا السؤال هو في صعوبة الواقع الذي عاشت به هذا الأسر. بعضها فقد البيت والأثاث والملابس وبعض أفراد الأسرة وعانى آخرون بها من إعاقات جسدية أو نفسية وخسر الآخرون عملهم مصدر رزقهم أو دراستهم. قالت إحدى النساء في مخيم جنين أن إسرائيل حوّلت سكان المخيم "فرجة" للعالم.

لم نرد أن نتعامل مع مصابهم كفرجة كما ولم نشأ أن نقف متسمرين على أنقاض عالمهم كما وقفت المرأة التي قابلتها ساما في مخيم جنين. أردنا أن نساعد. أردنا أن نعرف كيف ستساعد ومن أين ستبدأ؟ وكان الدافع الذي نجح في نقلنا من مرحلة التماهي مع النساء الفاقدات لمرحلة توجيههن المهني هو السؤال: كيف أستطيع أن أكون مفيدة لهذه المرأة الآن, اليوم؟ وفي الغد؟ أردنا ان نفعل وأردنا أن تفعل النساء شيئا مغايرا في حياتها يخرجها تدريجيا من دائرة الفقدان والإكتئاب واللاحول (Helplessness).

يتوقع الناس في فلسطين من الباحث/ة أن ت/يساعدهم وأن يتداخل في حياتهم وأن لا يكتفي في دراسة حالتهم. فهم يعرضون قضيتهم ويسألونك عن أطباء تعرفهم, أو مكان عمل يستطيع استيعاب ابنهم الشاب, او مصحة لمعالجة الوضع النفسي لإبنتهم. الطاقم المهني المحدود الذي عمل في المشروع لم يستطع أن يساهم في بناء بيت مهدوم أو تنظيف دمار أو إيجاد عمل أو توفير مؤونة.

ولكنه عالج, حتى في فترة تعبئة الإستمارات عالج التوترات الجسدية والنفسية للمرأة الفاقدة. في مثل هذه الحالات رأت الميسرات أنفسهن مقدمات خدمة للنساء وليس للإستمارة او للباحثات المسؤولات عنها. كانت الإستمارة توضع جانبا وتتجند الميسرات في مساعدة المرأة لتتجاوز أزمتها الجسدية أو النفسية. كان الإنسان هو الأولوية وليس البحث.

ساعد الطاقم في التوسط بين المؤسسات لحل قضايا النساء, ثم توسط مع دول عربية أخرى للمعالجة الطبية لمصابين للتخفيف عن الأرق النفسي لأمهاتهم. كذلك ساهم في إرسال المحتاجين من أبناء الأسرة لمؤسسات متخصصة في العلاج النفسي مخففا أثر هذا المصاب على المرأة وأسرتها. كما وأنه شجع النساء المشتركات في المجموعات الداعمة في إيجاد عمل وساهم في تسجيل إحدى المشتركات المعوقات في الجامعة.

كل هذا كان سلوكا عمليا جرى في جميع مراحل البحث. عند إتمام تحضير الدراسة تم عرضها أمام الجمعيات النسائية والعلاجية الفاعلة في الحقل, التي تبنت توصياتها للإستمرار في تقديم الخدمات لفئات أوسع من النساء الفاقدات وأسرهن. كما وستقدم الدراسة للسلطة الفلسطينية لوضع خطط ميدانية للتعامل السليم نفسيا وأسريا وإجتماعيا مع موضوع الفقدان السياسي. كل هذا نعتبره مجالات في مساهمة المشروع في التغيير.

كانت اللقاءات الأسبوعية في المجموعات الداعمة بالنسبة للميسرات والمرشدة الأكاديمية د. خولة أبوبكر مجبولة بمشاعر الحماس للقاء النساء ودعمهن في مصابهن من جهة مع مشاعر الحزن والتوتر الشديد لكل التفاصيل التي تحكيها النساء من جهة أخرى. لقد كانت كل محادثة تعيد بناء مشاهد وروائح دمار وحرائق وأشلاء أحباء وتطاير أطراف أبناء جيران ورفاق مدرسة, وتذليل شديد للجنود الإسرائيليين لكرامة الفلسطيني كرجل, والد, زوج إبن شاب, ومرأة محترمة ولها حرمتها.

كانت المشاهد حاضرة في جميع الجلسات. كان الإنضباط السلوكي المهني الذي نمارسه أمام النساء يتحول لطقس من البكاء والحاجة للتفريغ بعد إنتهاء كل لقاء. كان التمعن في مصاب كل مرأة وحجم المعاناة المركّبة, طويلة الأمد يفرغنا من الطاقات الآنية ومن الأمل.

وبقيت مسؤولية مساندة كل واحدة من النساء الفاقدات هي مصدر الطاقة الذي من أجله كنا نبحث عن طرق بنّاءة نستطيع ان نوجهها لها حتى تبدأ في تغيير وضعها. لاءم المشروع نفسه للوضع الراهن ومنح الميّسرات جلسات للتفريغ النفسي ولتنفيس الضغط النابع من تراكم التعاطف مع آلام النساء الفاقدات. بدل أن يحصل تدني في مهنية الميّسرات, كما يخشى أسلوب البحث الكمي, شحذت حساسية ومهنية الميسرات وأصبح إصغاؤهن مشغفا لألم النساء وأسرهن أكثر من ذي قبل.

قالت أم أحمد أن المرأة بعد الحروب تتحمل مسؤولية أكثر من الرجل. هل نظرية أم أحمد صحيحة في السياق الفلسطيني؟ إن الإستعراض النظري الذي أجرته الباحثة شلهوب كيفوركيان في هذه الدراسة يؤكد رؤيا أم أحمد بالنسبة لوضعية النساء في الحروب في مواقع مختلفة في العالم وأيضا تأكد ذلك في الدراسات التي أجريت في فلسطين.

أم أحمد, كنموذج لمرأة زُج سياق حياتها وأفراد أسرتها في حالة حرب استجمعت جميع قواها لتحمي أسرتها من آثار قمع الإحتلال لها. فإن جيش الإحتلال, وبعض قواته تعتبر العمل في الجيش مصدر رزقها, اعتقلت زوج وإبن أم أحمد وحرمتهما من مصدر رزقهما الذي يعيل الأسرة. أصبح على أم أحمد أن تهضم فقدانها لزوجها وإبنها, وكما فرض عليها إعادة تدبير نفسها في كل ما يختص مصدر معيشتها وقوت أطفالها.

من جهة أخرى, عندما غاب داخل هذا المجتمع الأبوي الأب والأخ البكر, خافت أم أحمد من نفس المجتمع الأبوي ومن الجيش الأبوي على بناتها الإناث. فجندت كل طاقاتها النفسية والإجتماعية لتحمي بناتها من الأذى الجنسي او المجتمعي. طبعا عانى أبو أحمد وأحمد داخل السجن معاناة جسدية ونفسية وعاطفية وقومية وذاقا من الذل ما أراد لهما الإحتلال أن يذوقا. ولكن أم أحمد كانت تذوق وتحاول أن تتجدد رأسا لدفع دفة الحياة "الطبيعية اليومية" الى الأمام مانعة أي نوع إضافي من الفقدانات.

عند تأريخ Historiography الأحداث الوطنية بأسلوب أبوي يُذكر أبو أحمد وإبنه وأمثالهما داخل فلسطين وفي مجتمعات أخرى تحت صفة "الأبطال الذين قاوموا". ولكن أم أحمد ومثيلاتها في فلسطين وفي مجتمعات أخرى يعتبرن "الأمهات الصابرات". هل أم أحمد لا تقاوم؟ هل هي لا تقود للتغيير؟ هل هي لا تدفع عجلة الحياة اليومية داخل فلسطين للأمام؟ كيف يساهم أبو أحمد أو أحمد في سجنهما اكثر منها؟ لقد فكّرت في تحويل غرفة صالون بيتها لمتجر صغير, بعد فتح باب لها على الزقاق العام.

امرأة أخرى عرفت كيف تحافظ على حياة أولادها وبناتها عندما قرأت الوضع العسكري بطريقة صحيحة ومنعت أولادها إنقاذ والدهم المصاب, ثم منعتهم الصراخ بعد استشهاده حتى لا يكتشف الجيش مكان اختبائهم, ثم عملت لتعيل أولادها وأحفادها ولترفع معنوياتهم ونفسيتهم بطمأنتها لهم بأنها قوية ومرحة وستحميهم دائما.

استنتجنا من هذه الدراسة أن هناك الكثير من الإخراس والصمت في موضوع الفقدان داخل الأسرة الفلسطينية في حالات الحرب. يدور الإخراس في مواضيع منع التعامل مع أدوار النساء مثل أم أحمد, وبالتالي إخراس هذه الأدوار خلال هذه الفترات كأدوار سياسية والمحافظة على توصيفها كأدوار عاطفية "أم أحمد صابرة" وليس "أم أحمد مقاومة". من جهة أخرى يوجد إخراس للأصوات العاطفية الأمومية الطبيعية التي تود النساء الإفصاح عنها بخصوص الفقدان.

بزج أبناء المرأة وزوجها في الحرب أو يختارون هذا عنوة عنها فلا تشعر بأن لها كلمة في إختيار كونها أرملة أو ثكلى. ثم عندما يحصل هذا, تزج الشعارات الجاهزة في فمها لتكرر المقولات السياسية المعلنة إستعداد المرأة ولادة مزيد من الأطفال لزجهم في ساحة المعركة ليقتلوا هم ايضا برضى منها, سواء كانت عروسا تزوجت قبل شهرين أو أما فقدت للموت وللإعاقة سبعة من أولادها العشرة.

بعد الإنتهاء من الضجة الإعلامية, تترك النساء وحدها للصمت الإجتماعي وللمرض النفسي. عندما توجهت الباحثات لمقابلة مرأة فقدت أولادها الثلاثة وفقد رابع أطرافه وأصيبت أبنتها في بطنها صاح بها زوجها أن الحديث عن المصاب لا يجدي نفعا وأن عليها أن تصمت. إن دراستنا, وجميع الدراسات الأخرى في الصحة النفسية في مجتمعات شتى, استنتجت أن الحديث عن الصدمة أو المصاب هي من أهم مقومات فهم الحدث ومعالجته بالطريقة الأصح. فمن الضروري أن نؤكد أن حق المرأة الفلسطينية أن تسمع صوتها الحقيقي والأصيل, ليس الدخيل, بعد الفقدان

أدت الإنتفاضة الفلسطينية الثانية, بسبب تراكم الفقدانات بعد الإنتفاضة الأولى من جهة, وبسبب تعدد أنواع الفقدانات للأسرة الواحدة من جهة أخرى, وبسبب المواقف المتناقضة بين الوطني والأسري, وبسبب النقاش الحاد حول ما هو ديني وما هو بدع في الوقت الراهن لوضعية فراغ قيمي (Anomalie) فيما يختص العادات والتقاليد التي كانت متبعة شعبيا في حالات الفقدان في المجتمع الفلسطيني. فال روح تلك الأم متعددة الفقدانات أن في الذكرى السنوية لإستشهاد أحبتهم كان البيت فارغا منهم وفارغا من الناس, لم يذكرهم أحد. وما بقي ملكهم هو الحزن فقط.

نستنتج من هذه الدراسة أنه من حق الأسرة الفاقدة ان تبنى حولها عادات وتقاليد جديدة تدعمها إجتماعيا ومؤسساتيا. إن العادات المتبعة اليوم من اختطاف الجثث من المستشفيات أو من البيوت والإسراع في تنظيم جنازة شعبية جماهيرية يختطف الفقيد/ة من ملكية أسرته/ا ويحوّله/ا خلال دقائق, بطريقة صادمة (Traumatic) لإنسان ملك المجتمع أو الدولة وليس ملكا لاسرته/ا.

لم تتطور لدى الفلسطينيين, بالرغم من وجود أكثر من ٤٠٠٠ حالة استشهاد خلال سنوات الإنتفاضة بالإضافة لعشرات آلاف الإصابات فكرة تكوين طواقم مهنية متخصصة في نقل أخبار الإصابات للاسرة ودعمها الأولي حالا بعد سماع الخبر الأول. بدل هذا, يسمع أهالي الشهداء خبر فقدان أحبائهم من التلفزيون, أو يتحايل عليهم معارفهم في إخبارهم حول إصابة أبنائهم, ثم تبدأ بعد ذلك رحلة الالام وهم يهرولون بين أقسام المستشفى لينتهي بهم المطاف في البحث في ثلاجة الأموات. طبعا هذه الطريقة تهدف لعدم صدمة الأسرة بالخبر القاسي بكامل حدته.

إن الطريقة مفهومة ولكنها لا تصيب الهدف. بدل هذا, هنالك طرقا مهنية يشترك بها أخصائي/ة في الصحة النفسية, طبيب/ة, مندوب/ة عن المؤسسة السياسية أو العسكرية, ومندوب/ة عن مكتب حقوق أسر الفاقدين. ونحن نوصي هنا إقامة مثل هذه اللجان في كل مستشفى للمساهمة في علاج الصحة النفسية للأسرة الفاقدة منذ لحظة الفقدان الأولى.

إن دور الأسرة هو رعاية أطفالها والعناية بهم. وكل أسرة تقوم بهذا الدور قدر استطاعتها. منذ ولادتهم تحافظ الأسرة على أبنائها وتدافع عنهم. وعند فقدانهم تشعر, بين ما تشعر به, بأنها لم تقم بدورها في الحفاظ على حياتهم. من جهة أخرى فإن الفقدان, كما يفيد المصطلح, بها خسارة ولا يحمل أي ربح مباشر. لذا, فإن رد الفعل الإنساني الطبيعي هو التعبير عن الخسارة والأسى لها.

إن تطوير عادة إبداء مظاهر الفرح عند استشهاد احد أبناء الأسرة يدخل افراد الأسرة في وضع تنافر ذهني ونفسي Dissonance لأن السلوك يتناقض مع مبنى الشعور ومبنى المواقف السليم لأي أسرة سليمة. إن توظيف أهل الشهداء عند لحظة المصاب للخطاب السياسي ترك أثره النفسي السيء جدا على الأسرة في جميع المجتمعات التي عانت من حالة الحرب, بما فيه المجتمع الفلسطيني. من المفضّل أن لا تستعمل مصيبة الأسرة للحاجات الإعلامية. من الممكن الحديث عنها أو معها كأسرة فاقدة للتركيز على معاناتها وليس للتركيز على فرحها الوهمي ورضاها عن الفقدان. بعض الأسر تفضّل أن لا يدخل الإعلام حياتها في هذه اللحظة العصيبة ويجب إحترام هذا المطلب.

من المهم أن يحرص المحيطون بالأسرة الفاقدة والجهات السياسية أو العسكرية التي ينتمي لها بعض الشهداء أن يتركوا الأسرة لبضع ساعات (معدل ثلاث ساعات) وحدها مع الفقيد لتوديعه بشكل حميمي وضيّق دون رقابة أو إلحاح أو حث. هنا نوصي أن تعد المستشفيات غرفة خاصة للأهل, مجهزة من حياة الأثاث بشكل بيتي ودافئ لتوديع الشهداء الذين لا يسمح وضع جثثهم بالإخراج من المستشفى أو إجراء طقوس الطهارة أو في أوضاع منع التجول والإضطرار لإبقاء الجثة في المستشفى.

بينما من الضروري إرساء عادة إختلاء الأسرة في بيت العزاء مع فقيدها لتوديعه ضمن الشروط آنفة الذكر. من إحدى توصياتنا في هذا المشروع هو إعداد طواقم داعمة من النساء الفاقدات اللاتي عانين

سابقا ولكنهن حصلن على الدعم النفسي والإجتماعي المطلوب من اشتراكهن في المجموعات الداعمة. هذه المجموعة سوف تتأهل للدخول للأسرة في حال حدوث فقدان لتوجيه الأسرة وباقي البيئة المحيطة لأفضل السبل للتفريغ النفسي. نأمل أن يتكرر هذا التغيير كعادة إجتماعية بنّاءة.

كإستمرارية لأخذ الأسرة حقها في التعبير عن ألمها ومنع حقنها العاطفي وتكتمها على آلام المصاب, نرى انه من الضروري إستخدام عادات إجتماعية مفيدة في مثل هذ المواقف مثل النواح والنهاليل على الميت. إن هذا الشكل من التنفيس الجماعي يساعد أهل الفقيد, كما ويساعد الكثيرين من الأسر الثكلى والأرامل أن يخففوا من آلامهم بواسطة البكاء المشترك. تهاجم مثل هذه السلوكيات بادّعاء أنها تحرق الميت وأنها محرمة دينيا بينما يؤكد الحديث النبوي المسند الى حق الفاقد في البكاء وزيارة القبور.

هذه القضية أيضا يجب أن تعامل بطريقة مغايرة داخل المجتمع الفلسطيني حيث يساهم "العمل" وقت المصاب على التخفيف عن الفاقد. فإن جمهور الرجال يهتمون بالجنازة وبتفاصيل إجراءات الطقوس الدينية وعملية الدفن ويخفف هذا بعض الشيء حيث يشعر الفاقد بأنه "يعمل" شيئا مفيدا لمن يحب.

بينما يُكتّل جمهور النساء في البيت, يُمنعن من الصراخ أو البكاء, كما ويمنعن في كثير من الحالات من توديع الفقيد/ة, ثم يمنعن من السير وراء الجنازة, وفي بعض البيئات المتدينة جدا يمنعن من زيارة القبور. مثل هذه المواقف تترك الفاقدات مشلولات عاطفيا وسلوكيا أمام الحدث الجلل, وفي نفس الوقت لا نقترح عليهن أي إقتراحات بنّاءة للتنفيس عن أنفسهن. لذا وجدنا أن الكثير من الفاقدات عانين من الإكتئابات ومن أنواع مختلفة من أشكال الضيق النفسي بسبب هذه المحظورات. حيث يوجد عادة إجتماعية تسيء للصحة النفسية يجب إعادة النظر بها وبفاعليتها.

من المهم أن نلغي عادات إجتماعية أخرى تسيء للأسرة الفاقدة التي تريد أن تعود لمسار الحياة العادية ما قبل الفقدان. مثلا المجتمع, أي بعض الجيران والجارات والأقارب ومن له أو لها علاقة بالأسرة الفاقدة من قريب أو بعيد, ي/تنتقد عودة الأسرة لعاداتها السابقة للفقدان في وقت سريع مثل أن لا تلبس النساء السواد أو أن يخرجن لزيارة صديقات أو أن ينخرطن بسرعة في الدراسة أو العمل أو الفعاليات الإجتماعية, أو حتى أن تشترك الأسرة في المناسبات السارة للآخرين أو أن يحتفلوا بالأعياد.

يبدو أن البيئة المحيطة, بدل أن تساهم في إخراج الأسرة من حزنها يحثونها, بواسطة الإنتقاد والقيل والقال على التقوقع والإنغلاق على الحزن والحياة الإكتئابية. يستطيع الجيران, بالرغم من ضيق ذات اليد والتضييق العسكري على الفلسطينيين المساهمة في إخراج الأطفال للملاهي أو

للألعاب التي لا تكلف نقودا, ودعوة الأسرة لفعاليات إجتماعية تدريجية والحث على الخروج من البيت والإنشغال بأمور الحياة العادية تدريجيا وقدر الإمكان ومساندة الأسرة في الإفصاح عن حالات الفرح التي تعيشها, كما ساهمت في دعم حالات الحزن.

نحن نقترح أيضا أن تساهم الجمعيات أو الجهات السياسية أو العسكرية في إدراج الأسر الفاقدة ضمن فعاليات لجان إحياء ذكرى الشهداء, حيث يساهم الأهل والإخوة في التحضير لذكرى أحبائهم والشهداء الآخرين حتى يشعروا أنهم ما زالوا "يفعلون" شيئا بنّاءا وإيجابيا "لصالح" الشهداء. هذه النشاطات تنفيسية وبنّاءة جدا.

من المهم أن توثق جميع الأهازيج الشعبية والزغاريد السياسية التي ألّفتها نساء التي تعتبر بشكل أصيل ومباشر عن معاناتهن من جرّاء الفقدان السياسي ونشرها ككراريس واستعمالها في بيوت العزاء. إن الزغرودة التي أطلقتها أم ثكلى متعددة الفقدانات في أسرتها تناسب الكثيرات من الأرامل والثكالي الفلسطينيات:

ولك يا شارون شو دلّك علي
قتلت صغيري وكبيري اللي غالي علي
بقوا زغاليل في حضني وفروا من ايدي
برصاص العين طخيتهم وحزنوا علي

إن هذه الأهزوجة تعكس بعفوية وصدق نادر مقولة الفكر النسوي "الشخصي هو سياسي" كما وتعكس الصورة السياسية للفقدان. هنا أيضا تخطى كتابات الرجال المنمقة والفصيحة لمنصات أدبية وسياسية, تلك الكتابات التي لا تقرأها النساء ولا تستخدمها عند لحظات ألمها الحقيقي. بينما مثل هذه الأهزوجة حتما تتماهى معها الكثير من الفاقدات. نريد أن يحصل تغيير في نظرة المجتمع لأهمية ما تشعر به, تتصرف به, وتنتجه النساء.

★ ★ ★ ★ ★

استطلاع: الصحة النفسية للمرأة في ظل الفقدان إثناء الحرب

اسم المرأة المُستطلِعة: ________________________________

ساعة البداية: ________________________________

ساعة النهاية: ________________________________

سيدتي المشتركة في هذا الإستطلاع

"مركز الدراسات النسوية" في القدس مع الباحثات والمعالجات المتخصصات د. نادرة كيفوركيان شلهوب ود. خولة أبوبكر بجرين الإستطلاع التالي الذي يهدف لدراسة أثر الفقدان الناتج عن الإنتفاضة الثانية على الصحة النفسية للنساء وأسرهن, وبالتالي تزويد المؤسسات والجهات العاملة في الحقل, بالإضافة للمتضررات أنفسهن بوسائل للدعم النفسي والأسري والمجتمعي الضروري

نحن إذ نطلب من حضرتك المشاركة الصريحة والصادقة في الإجابة على الأسئلة التالية, نشجعك إذا ما شعرت بأي نوع من الضيق على أثر الحديث عن الفقدان على الإتصال بمركز الدراسات النسوية, هاتف رقم ٠٢-٢٣٤٨٨٤٨ والحديث مع المنسقة مي ياسين بهدف ترتيب حديث داعم مع إحدى المرشدات في المشروع. من المهم التأكيد أن الإجابات على الإستمارة, والحديث مع المرشدات تحوطه السرية التامة ولن يُفصح عن هوية المستطلعة في أي مرحلة وتحت أي ظرف. لذا نؤكد على السرية التامة في كل مرحلة من مراحل هذا المشروع.

حتى تجري المقابلات بشكل سلس وبدون حواجز لغوية أو غيرها, قررنا كتابة صيغة الأسئلة باللغة العربية الدارجة القريبة للغة الفصحى, وسوف ندوّن إجاباتك في نفس الأسلوب.

معلومات شخصية:

١) الإسم أو الكنية: ________ الإسم المستعار لأغراض البحث ________

٢) العمر بالسنوات: ______

٣) الحالة الاجتماعية:
أ. متزوجة ب. عزباء ت. مطلقة ث. أرملة ج. مخطوبة ح. فقدت خطيبها. خ. غير ذلك

٤) مكان السكن في منطقة:
أ. بيت لحم ب. جنين ت. نابلس

٥) عدد سنوات الدراسة الرسمية ________________

٦) تثقيف إضافي, دورات وغيرها ________________

٧) المهنة التي تأهلت لها: ________________

٨) العمل الذي تمارسينه اليوم ________________

٩) نسبة الوظيفة: ________________

١٠) الوضع الاقتصادي: أ. فقير جدا ب. فقير ت. متوسط ث. جيد ح. غني جدا خ. آخر

١١) عدد الأولاد ________ وعدد البنات ________

١٢) عدد الساكنين في البيت ________, درجة قرابتهم لك ________

أنواع الضرر أثناء الإنتفاضة الحالية:

١٣) هل كنت ضحية لأذى مباشر في الأموال أو الأرواح في الانتفاضة الحالية؟
أ. نعم ب. لا

١٤) اذا كان الجواب نعم, فما هو نوع هذا الأذى؟
١) أضرار أصابت البيوت:
أ) حرق كامل, ب) حرق جزئي, ت) هدم كامل, ث) هدم جزئي, ج) سرقة ممتلكات,
ح) سرقة مجوهرات, خ) سرقة نقود
٢) أضرار أصابت الأرواح من بين المدنيين:
أ) استشهاد زوج,
ب) استشهاد إبن أو إبنة (اكتبي عدد الشهداء من بين أبنائك وبناتك ________
ت) استشهاد أخ أو أخت (اكتبي عدد الشهداء من بين إخوتك ________
ث) استشهاد أب أو أم
٣) أضرار بسبب الإعتقال:
أ) اعتقال زوج, ب) اعتقال إبن أو أكثر (اكتبي عدد الأبناء الذين اعتقلوا ________)
ت) اعتقال أخ (اكتبي عدد الأخوة الذين اعتقلوا ________),
ث) اعتقال أب ج) اعتقال أم

٤) إعاقات جسدية مستديمة. مين أصيب من عائلتك؟
أ) زوج، ب) إبن/ـة، ت) أخ/ت ث) أب/أم

١٥) ما هو تقديرك لدرجة الضرر اللي أصابت اسرتك:
أ. بليغة ب. متوسطة ت. قليلة ث. غير ذلك: حددي ______________

١٦) هل كنت ضحية لحجز في البيت؟
أ. نعم. الفترة______________ المدة______________ ب. لا

١٧) هل كنت معتقلة أمنية في الانتفاضة الحالية
أ. نعم. المدة؟______________ التهمة؟______________ ب. لا

١٨) هل كنت ضحية خوف أو رعب في الانتفاضة الحالية؟
أ. نعم. السبب؟______________________________ ب. لا

١٩) كيف انعكس أثر الرعب على حياتك اليومية؟ شو صار غير شكل عن قبل؟
____
____
____

٢٠) هل كنت ضحية ضرب أو إساءة جسدية في فترة الإنتفاضة الحالية؟
أ. نعم. مين أساء إلك؟______________________________ ب. لا

٢١) هل كنت ضحية إهانات وإذلال من قبل سلطات الاحتلال؟
أ. نعم. شو نوع الإهانات والإذلال اللي تعرضت إلها؟______________________________
____

٢٢) (أ) أيمتى تعرضت لهاي الإهانات؟______________________ (ب) كم عدد المرات إللي وقعت فيها ضحية للإهانات والإذلال؟______________ (ت) لا لم أتعرض.

٢٣) هل وقع أحد أفراد أسرتك المشترك في الإنتفاضة ضحية للعنف العسكري الإسرائيلي؟
أ. نعم (إذا كان جوابك نعم انتقلي لسؤال ٢٤) ب. لا (إذا كان جوابك لا انتقلي لسؤال ٢٧)

٢٤) حددي ما نوع العنف العسكري ضد أفراد اسرتك:
أ. سجن ب. شهادة ت. استشهادي ث. جريح ج. إعاقة

٢٥) كم فرد من أبناء أسرتك المشترك في الإنتفاضة وقع ضحية اعتداء مباشر من السلطات الإسرائيلية؟______________________

٢٦) حددي نوع إصابته بالنسبة للأسرة حسب رأيك
أ) صعبة كثير كثير ب) صعبة ت) متوسطة محمولة ث) خفيفة ج) غير هيك

القدرة على الاستمرار

٢٧) بالرغم من الظروف الصعبة اللي بعيشها الشعب الفلسطيني في ظل الإنتفاضة. هل تشعري إنك بتقدري تعيشي حياتك العادية مثل ما كانت قبل الإنتفاضة؟
أ. نعم ب. لا
(إذا كان الجواب نعم انتقلي لسؤال ٢٨)
(إذا كان الجواب لا انتقلي لسؤال ٢٩)

٢٨) ما هي الأشياء التي تعملينها كل يوم وتساعدك إنه الحياة تكون عادية؟
١) القيام بشو كنت أعمل مثل الذهاب الى المدرسة, أو الإنشغال بالأعمال المنزلية وغيرها من الأشياء العادية
٢) الإهتمام بأفراد أسرتي ومساعدتهم
٣) الاشتراك بالدورات مثل ________________
٤) ايجاد عمل له مدخول ثابت
٥) الاشتراك بنشاطات سياسية
٦) الاشتراك بنشاطات اجتماعية
٧) الوازع الديني عشان أنا كنت متدينة دايما, أو التديّن والإشتراك بنشاطات دينية
٨) التفكير بطرق جديدة لتنشيط نفسي حتى أقدر أشجع نفسي وأكمل مثلاً
____
٩) الايمان بوجود أمل بتغيير الأوضاع
١٠) وجود عناصر داعمة • مؤسسات وجهات نستطيع الإستعانة فيها مثلا ________
____
١١) الإيمان بحقنا بالأرض
١٢) نشوف الناس ونقول زيّنا زيهم
١٣) طرق أخرى, حددي ________________

٢٩) هل بتشعري بأي من الأمور التالية اليوم في حياتك اليومية؟
١) فقدان الأمل
٢) الشعور بشكل عام بعدم القدرة على القيام بالأعمال المنزلية اليومية العادية
٣) كل يوم منسمع صدمة عن حد بخصنا من أصحابنا وحبايبنا ومننصدم أكثر
٤) الشعور بالعجز في الوضع الحالي, ما في اليد حيلة أبدا
٥) كل واحد مشغول بِوَجَعُه, فش حد يسأل, وفش حد بقدر يساعد حد
٦) أنا لدي شعور آخر هو ________________

الدعم المعنوي والاجتماعي

٣٠) هل صحيح أن التضامن والمساعدة في هذه الانتفاضة خففت على الناس همومها ومصايبها؟
أ) موافقة جدا مابة بالمابة
ب) موافقة, يعني ٧٥٪
ت) الى حد ما, يعني نص نص ٥٠٪
ث) غير موافقة أبدا. فش حد ساعد حد.

٣١) هل تشعرين إنه مريتِ بظروف كنت بها بحاجة لمساعدة؟
أ) كثير كثير مرات ب) أحيانا ت) ولا مرة

٣٢) هل تشعرين شخصيا أن هناك من ساندك وساعدك في محنتك وصعوباتك؟
أ) نعم ب) لا ت) أحيانا

٣٣) كيف بتقيّمي هاي المساعدة ؟
أ) ساعد جدا ب) ساعد ت) ساعد بعض الشيء ث) لم يساعد
ج) سبب لي الضرر بدل المساعدة

٣٤) شو هي مصادر هاي المساعدة؟
أ) عائلية: أقاربي ونسايبي ب) اجتماعية أصحاب, جيران
ت) مؤسساتية: ديني/ سياسي/ نسوي ث) دعم آخر: حددي ________________

التعامل مع الفقدان

هل كنت بتعاني في الماضي أو في الحاضر من الظواهر التالية؟

٣٥) اضطرابات نوم؟
١) قبل الفقدان أ) دائما ب) غالبا ت) أحيانا ث) نادرا ج) إطلاقا
٢) بعد الفقدان أ) دائما ب) غالبا ت) أحيانا ث) نادرا ج) إطلاقا

٣٦) فقدان في الشهية
١) قبل الفقدان أ) دائما ب) غالبا ت) أحيانا ث) نادرا ج) إطلاقا
٢) بعد الفقدان أ) دائما ب) غالبا ت) أحيانا ث) نادرا ج) إطلاقا

٣٧) زيادة الشهية
١) قبل الفقدان أ) دائما ب) غالبا ت) أحيانا ث) نادرا ج) إطلاقا
٢) بعد الفقدان أ) دائما ب) غالبا ت) أحيانا ث) نادرا ج) إطلاقا

٣٨) الانزواء والعزلة (بَحِبش أشوف حد أو أكون مع حد)
١) قبل الفقدان أ) دائما ب) غالبا ت) أحيانا ث) نادرا ج) إطلاقا
٢) بعد الفقدان أ) دائما ب) غالبا ت) أحيانا ث) نادرا ج) إطلاقا

٣٩) الخوف من الوحدة
١) قبل الفقدان أ) دائما ب) غالبا ت) أحيانا ث) نادرا ج) إطلاقا
٢) بعد الفقدان أ) دائما ب) غالبا ت) أحيانا ث) نادرا ج) إطلاقا

٤٠) كوابيس وأحلام مزعجة
١) قبل الفقدان أ) دائما ب) غالبا ت) أحيانا ث) نادرا ج) إطلاقا
٢) بعد الفقدان أ) دائما ب) غالبا ت) أحيانا ث) نادرا ج) إطلاقا

٤١) سماع أصوات (زي ما في براسي راديو مفتوح بحكي)

١) قبل الفقدان أ) دائما ب) غالبا ت) أحيانا ث) نادرا ج) إطلاقا

٢) بعد الفقدان أ) دائما ب) غالبا ت) أحيانا ث) نادرا ج) إطلاقا

٤٢) الشكوى من أمراض جسمية.

١) قبل الفقدان أ) دائما ب) غالبا ت) أحيانا ث) نادرا ج) إطلاقا

٢) بعد الفقدان أ) دائما ب) غالبا ت) أحيانا ث) نادرا ج) إطلاقا

حددي نوع المرض أوالأمراض ______________________________

____

____

٤٣) التشتت وعدم القدرة على التركيز (بعُدش الواحد يقدر يحوِّق)

١) قبل الفقدان أ) دائما ب) غالبا ت) أحيانا ث) نادرا ج) إطلاقا

٢) بعد الفقدان أ) دائما ب) غالبا ت) أحيانا ث) نادرا ج) إطلاقا

٤٤) الرعب المستمر

١) قبل الفقدان أ) دائما ب) غالبا ت) أحيانا ث) نادرا ج) إطلاقا

٢) بعد الفقدان أ) دائما ب) غالبا ت) أحيانا ث) نادرا ج) إطلاقا

٤٥) الخوف من الليل

١) قبل الفقدان أ) دائما ب) غالبا ت) أحيانا ث) نادرا ج) إطلاقا

٢) بعد الفقدان أ) دائما ب) غالبا ت) أحيانا ث) نادرا ج) إطلاقا

٤٦) الخوف من الاجتياح

١) قبل الفقدان أ) دائما ب) غالبا ت) أحيانا ث) نادرا ج) إطلاقا

٢) بعد الفقدان أ) دائما ب) غالبا ت) أحيانا ث) نادرا ج) إطلاقا

٤٧) الخوف من صوت الدبابات والمروحيات والجرافات

١) قبل الفقدان أ) دائما ب) غالبا ت) أحيانا ث) نادرا ج) إطلاقا

٢) بعد الفقدان أ) دائما ب) غالبا ت) أحيانا ث) نادرا ج) إطلاقا

٤٨) البكاء الشديد

١) قبل الفقدان أ) دائما ب) غالبا ت) أحيانا ث) نادرا ج) إطلاقا

٢) بعد الفقدان أ) دائما ب) غالبا ت) أحيانا ث) نادرا ج) إطلاقا

٤٩) جمود المشاعر والشعور بالتخدير, يعني بعدش الواحد يشعر بأي نوع شعور مفرح أو محزن

١) قبل الفقدان أ) دائما ب) غالبا ت) أحيانا ث) نادرا ج) إطلاقا

٢) بعد الفقدان أ) دائما ب) غالبا ت) أحيانا ث) نادرا ج) إطلاقا

أعطيني مثال ____
____

٥٠) تعاطي المسكنات والحبوب

١) قبل الفقدان أ) دائما ب) غالبا ت) أحيانا ث) نادرا ج) إطلاقا

٢) بعد الفقدان أ) دائما ب) غالبا ت) أحيانا ث) نادرا ج) إطلاقا

في حالة تعاطي المسكنات دائما, ما هو نوعها ______________________

وما هي الكمية التي تتعاطينها يوميا ______________________

٥١) الزيارات المتكررة للطبيب

١) قبل الفقدان أ) دائما ب) غالبا ت) أحيانا ث) نادرا ج) إطلاقا

٢) بعد الفقدان أ) دائما ب) غالبا ت) أحيانا ث) نادرا ج) إطلاقا

٥٢) السلوك العصبي (يعني ضرب, مسبات, تكسير, صراخ شديد وما أشبه)

١) قبل الفقدان أ) دائما ب) غالبا ت) أحيانا ث) نادرا ج) إطلاقا

٢) بعد الفقدان أ) دائما ب) غالبا ت) أحيانا ث) نادرا ج) إطلاقا

٥٣) الغضب الدائم, يعني بضلني غضبانة شو ما بصير ولا شي بهديني

١) قبل الفقدان أ) دائما ب) غالبا ت) أحيانا ث) نادرا ج) إطلاقا

٢) بعد الفقدان أ) دائما ب) غالبا ت) أحيانا ث) نادرا ج) إطلاقا

٥٤) إذا بتلبسي الجلباب, هل هذا كان بتأثير الأوضاع السياسية؟

١) قبل الفقدان أ) دائما ب) غالبا ت) أحيانا ث) نادرا ج) إطلاقا

٢) بعد الفقدان أ) دائما ب) غالبا ت) أحيانا ث) نادرا ج) إطلاقا

٥٥) التزام البيت وعدم الخروج أبدا

١) قبل الفقدان أ) دائما ب) غالبا ت) أحيانا ث) نادرا ج) إطلاقا

٢) بعد الفقدان أ) دائما ب) غالبا ت) أحيانا ث) نادرا ج) إطلاقا

٥٦) الإبتعاد الدايم عن البيت, يعني بضل هون وهناك بس ما أكون في البيت

١) قبل الفقدان أ) دائما ب) غالبا ت) أحيانا ث) نادرا ج) إطلاقا

٢) بعد الفقدان أ) دائما ب) غالبا ت) أحيانا ث) نادرا ج) إطلاقا

العنف ضد المرأة من المقربين (عنف مجتمعي)

ما رأيك في المواقف التالية:

٥٧) هل الضرب تأديب للمرأة (يعني من زوجها, إخوتها, أبوها, أسلافها)؟

أ نعم ب لا

يقال أن بسبب الانتفاضة الحالية زادت نسبة

٥٨) العنف الجسدي ضد المرأة (ضرب)

أ- نعم ب- لا ت- لا أدري

٥٩) العنف النفسي و المعنوي (يعني بهدلة, تهديد, تعذيبها بشي بدها إياه وبحرموها منه, إذلال)
أ- نعم ب- لا ت- لا أدري

٦٠) التحرش الجنسي (تسميع حكي جنسي, تشاقيع, ملاحقة, تبصبص, اتصالات مشبوهة بالتلفون, محاولات تحسيس على جسم المرأة أو لمس أماكن حساسة)
أ- نعم ب- لا ت- لا أدري

٦١) العنف الجنسي كالاغتصاب
أ- نعم ب- لا ت- لا أدري

٦٢) حسب رأيك في ١٠ بيوت التي تحيط بك أو بتعرفيها. في كم بيت منهم تعاني النساء من نوع عنف؟
أ. ١-٣ ب. ٤-٦ ت. ٧-١٠ ث. ولا مرّة عرفت شو في داخل البيوت

٦٣) سماح زوجة سجين أمني وتقول أنه منذ سجن زوجها وهي تعاني من عنف نفسي من عائلة زوجها. حسب اعتقادك ما هو سبب معاناة سماح؟

____

____

٦٤) مين هو المسؤول المباشر عن معاناة سماح؟

____

____

٦٥) كيف ممكن مساعدة سماح؟

____

____

٦٦) توجهت سلوى إلى أحد المراكز تطلب المساعدة بعدما تحرش بها الجنود الإسرائيليون جنسيا وآذوها. هل تعتقدي أن هذه الظاهرة كانت موجودة ولكن برزت في الانتفاضة الحالية؟
أ. نعم ب. لا ت. لا أدري

٦٧) هل بتعتقدي أن الظاهرة كانت موجودة على النادر ولكن كثرت في الإنتفاضة الحالية؟
اذا كانت الاجابة نعم. فسري.

____

____

____

____

٦٨) هل بإمكانك أنه تعطينا قصصا سمعتيها في الإنتفاضة الحالية عن تحرش الجنود الإسرائيليين بالفتيات والنساء الفلسطينيات؟

____

____

____

____

____

٦٩) فريال زوجة شهيد وأم لطفلين اقترحوا عليها الزواج من سلفها المتزوج ورفضت رفضا قاطعا. ما رأيك بسلوك فريال ؟ اشرحي

____

____

____

____

____

____

٧٠) هل بتوافقي على إجبار زوجة الشهيد على الزواج من أخ أو قريب زوجها؟

أ. أوافق جدا ب. أوافق بظروف معينة ت. لا أعرف. القرار صعب

ث. لا أوافق ج. مستحيل أنه أوافق

٧١) فاطمة جريحة انتفاضة (جرح صعب) حاولت مؤخرا إنه تلاقي شغل ولكن أهلها منعوها وبدهم يزوجوها من رجل كزوجة ثانية وهي رافضة كليا. ما رأيك بوضع فاطمة؟

____

____

____

____

٧٢) ما رأيك بسلوك الأهل؟

____

____

____

____

____

٧٣) هل تعتقدي أن فاطمة بتعاني من عنف؟

____
____
____

٧٤) سلوى سجينة أمنية سابقة قررت مؤخرا إنه تكّمل دراستها. إلا أن أهلها طلبوا منها الزواج من قريب وهي غير راغبة به، ومنعوها من العودة للجامعة. ما رأيك بوضع سلوى؟

____
____
____
____

٧٥) ما رأيك بسلوك أهلها؟

____
____
____

٧٦) هل تعتقدين أن سلوى تعاني من عنف؟

____
____
____
____

٧٧) هل بتفكري أنه كثير نساء اتضرروا في الإنتفاضة الحالية ولكن إجبروا يخدموا أسرهم وكأنه ما صار شي لنفسياتهم؟ بتعرفي أمثلة عن وضع واحدة إنت بتعرفيها؟

____
____
____

٧٨) هل الانتفاضة الحالية منعت الكثير من الفتيات من الاستمرار بالتعليم؟
أ. نعم ب. لا ت. فش عندي فكرة

٧٩) هل الانتفاضة الحالية قيدت حركة المرأة وقلصت من إمكانيتها للتقدم.
أ. نعم ب. لا ت. فش عندي فكرة

٨٠) هل الانتفاضة الحالية سببت الرجعة لترويج الفتيات بعمر صغير؟
أ. نعم ب. لا ت. فش عندي فكرة

٨١) هل الانتفاضة الحالية سببت زيادة عنف الرجل وعدوانيته ضد المرأة ؟
أ. نعم ب. لا ت. فش عندي فكرة

٨٢) هل بتعتقدي ان الانتفاضة الحالية زادت من خوف الفتيات من الاعتداءات الجنسية من قبل الجنود الاسرائيليين؟
أ. نعم ب. لا ت. فش عندي فكرة

٨٣) هل الانتفاضة الحالية زادت من خوف الفتيات من الاعتداء الجنسي داخل المجتمع الفلسطيني؟
أ. نعم ب. لا ت. فش عندي فكرة

٨٤) إذا سمعت عن أنواع اعتداء احكي لنا عنها:

____

____

____

____

____

٨٥) هل الإنتفاضة الحالية زادت من قتل النساء بسبب مشاكل بسميها الناس "شرف العائلة"؟
أ. نعم ب. لا ت. فش عندي فكرة

٨٦) هل الإنتفاضة الحالية زادت من تحرير المرأة ومساواتها بالرجل؟
أ. نعم ب. لا ت. فش عندي فكرة

٨٧) هل الإنتفاضة الحالية زادت من نسبة النساء العاملات خارج بيوتهن؟
أ. نعم ب. لا ت. فش عندي فكرة

٨٨) هل الإنتفاضة الحالية زادت من نسبة عنف المرأة ضد الرجل؟
أ. نعم ب. لا ت. فش عندي فكرة

٨٩) هل الإنتفاضة الحالية زادت من نسبة عنف المرأة ضد أولادها وبناتها؟
أ. نعم ب. لا ت. فش عندي فكرة

٩٠) هل الإنتفاضة الحالية حرمت الكثيرين من إمكانيات التعليم؟
أ. نعم ب. لا ت. فش عندي فكرة

٩١) هل الإنتفاضة الحالية أثّرت على طبيعة العلاقة الزوجية؟
أ. نعم ب. لا ت. فش عندي فكرة

٩٢) إذا كان الجواب نعم, الرجاء الإشارة للبند المناسب لك:
أ. أحداث الإنتفاضة سببت في ابتعاد واحدنا عن الثاني وتخريب في العلاقة الزوجية
ب. أحداث الإنتفاضة سببت في تقرب واحدنا من الثاني وتحسين في العلاقة الزوجية
ت. العلاقة نفس الشي قبل وبعد الإنتفاضة.

٩٣) هل الإنتفاضة الحالية أثّرت على العلاقة الجنسية بين المرأة وزوجها؟
أ. نعم ب. لا ت. فش عندي فكرة

٩٤) عندك أمثلة من قصص بتعرفيها بهذا الموضوع؟ ________________________
____
____
____
____
____
____
____
____
____
____
____
____
____
____
____
____
____
____

شكرا كثير على التعاون

صفحة ملاحظات للمستطلعة:

تأسس مركز الدراسات النسوية في القدس في عام ١٩٨٩ كمنظمة فلسطينية غير حكومية، و هو مركز يعمل من أجل تحقيق المساواة ما بين الجنسين.

رسالة مركز الدراسات النسوية:

إيمانا منا بأن المساواة ما بين الجنسين هي عامل أساسي نحو تحقيق التنمية الشاملة التي تضمن الحرية والكرامة لكافة أفراد المجتمع. وإنطلاقا من دورنا في تحقيق ذلك. نعمل معا من أجل المساهمة في تطوير وعي مجتمعي كفيل بإتاحة الفرص المتساوية للنساء على كافة المستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والقانونية وإعداد قيادات مجتمعية تتحمل مسؤولية ذلك.

جميع حقوق الطبع
محفوظة © ٢٠٠٤

KVINNA TILL KVINNA

مركز الدراسات النسوية